المملكة العربيّة السعوديّة
وزارة الشّؤون الإسلاميّة
والأوقاف والدّعوة والإرشاد

التَّفْسِير البسيط للقرآن الكريم

الجزء التّاسع والعشرون

بقلم
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

الطّبعة الأولى
١٤٣٢هـ ٢٠١١م

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء التّاسع والعشرين من القرآن الكريم ، يغطّي سورة الملك ، والقلم ، والحاقّة ، والمعارج ، ونوح ، والجنّ ، والمزّمّل ، والمدّثّر ، والقيامة ، والإنسان ، والمرسلات . وقد قمت بعمله على غرار تفسير الأجزاء الثّمانية والعشرين السّابقة . وإنّ هذا الجزء التّاسع والعشرين هو مَيْدان التّفسير للمتسابقين ، في الحقل الأوّل ، الّذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التّفسير ، من بين الحقول الخمسة ، في مسابقة الملك عبدالعزيز الدَّوْليّة الثّانية والثّلاثين ، لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، والّتي عقدتها وزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، برئاسة معالي وزيرها الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشّيخ في أثناء الفترة من ١٤٣٢/١/٢٠هـ حتّى ١٤٣٢/١/٢٦هـ الموافق ٢٠١٠/١٢/٢٦م حتّى ٢٠١١/١/١م وكأنّ هذا التّفسير تتويجٌ للأعمال الّتي تمّت في مجال التّفسير ، في أثناء المسابقة . علماً بأنّ ميدان المتسابقين في المسابقة القادمة بإذن الله تعالى هو الجزء الثّلاثون .

وأنتهز هذه المناسبة المباركة ، كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد ، وعلى رأسها معالى الوزير ، على الفرصة الّتي منحتني إيّاها ، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير ، الّذي حَرَصت فيه ، كما حَرَصت في سابقيه ، على أمورٍ أهمّها ثلاثة :

١- أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .

٢- أن أشير إلى الدّروس الّتي يمكن أن تستفاد .

٣- أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنّه سميعٌ مجيب .

: ﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصْراً كما حَمَلْتَه على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به . واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ﴿ سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين ﴾

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم السّبت
١٤٢٤/١/٥هـ
الموافق ٢٠٠٣/٣/٨م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

أوّلاً
سورة المُلْك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ
لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ
۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا
ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا
سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ
خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ
أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ
إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ
۝١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم
مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ
وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي
هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا
ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا
عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ
أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ هُوَ
ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ
سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلۡ
أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ
﴿٢٨﴾ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ
﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ﴿٣٠﴾

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((تمجّد الله تعالى الّذي خلق الموت والحياة والسّماوات السّبع ، وزيّن السّماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً))

الآيات (١ – ٥)

تَمَجَّدّ وتَعَظَّم الله تعالى وتكاثر خيره عزّوجلّ الّذي بيده المُلك المطلق وهو جلّ وعلا على كلّ شيءٍ قدير . إنّه الله تعالى الّذي خلق الموت قبل الولادة وبعدها ، وخلق الحياة قبل الموت وبعده ليختبرنا عزّوجلّ ويعلم علم ظهورٍ أيّنا أحسن عملاً ، وأسرع استجابةً ، وأكثر طاعة . وهو العزيز في ملكه وعلى أعدائه ، الغفور ذنوب المستغفرين أوليائه . إنّه الله تعالى الّذي خلق سبع سماواتٍ بعضها فوق بعضٍ دون تماسّ . ما ترى أيّها النّاظر في السّماء وفي غير السّماء من اختلافٍ في خلق الرّحمن الّذي وسعت رحمته كُلّ شيءٍ وحيّ ، فَأَعِدِ النّظر مرّةً أخرى في السّماء هل ترى من صدوعٍ وشقوق .ثمّ أَعِدِ النّظر كرّةً وكرّة ، مرّةً ومرّةً يرتدَّ إليك البصر خاسئاً ذليلاً ، وهو حسيرٌ منهك القوي . ولقد زيّنّا السّماء القُرْبى من الأرض بنجومٍ مولّدة للطّاقة ، ويلحق بالنّجوم الكواكب غير المولّدة للطّاقة والّتي تعكس ضوء النّجم نورا . وجعلنا الشّهب المنفصلة من النّجوم رجوماً للشّياطين الّذين يحاولون استراق السّمع من الملائكة الأطهار . وأعددنا للشّياطين يوم القيامة عذاب نار جهنّم المشتعلة الملتهبة . وهكذا يكون الجمع بين التّرغيب والتّرهيب في هذا القسم وفي كلّ أقسام السّورة الكريمة .

(٢)

((للّذين كفروا عَذابُ السّعير ، وللّذين يخشون ربّهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير ،
وإلى الله تعالى العليم الرّزّاق النُّشور))

الآيات (٦ – ١٥)

كما كان للشّياطين عَذابُ السَّعِير في الآخرة كان للّذين كفروا بربّهم عَذابُ جهنّم ، وبئس المصير جهنّم . إذا أُلْقُوا فيها سمعوا لها صوتاً قبيحاً من جنس صوت الحمار الّذي هو أقبح الأصوات إذ ينتهي بالشّهيق ، وهو إدخال النّفَس إلى الرّئتين ، بينما يبدأ بالزّفير ، وهو إخراج النّفَس بعد مَدِّه . ويكون لجهنّم ذلك الصّوت المزعج وهي تفور وتغلي كما تغلي القِدْر . وهي تكاد تتقطّع غيظاً على الكافرين . كلّما أُلْقِي فيها جماعةٌ سألهم خَزنتها على جهة التّوبيخ : ألم يأتكم في الحياة الدّنيا نذير؟ ويلاحظ مجيء أتى مع البعد ، جرياً على القاعدة القرآنيّة اللّغويّة . قالوا بلى قد جاءنا ووصلنا فعلاً نذير . ويلاحظ كذلك مجيء جاء مع القرب ، جرياً على القاعدة القرآنيّة اللّغويّة. قالوا بلى قد جاءنا ووصلنا فعلاً نذير . ويلاحظ كذلك مجيء جاء مع القرب ، جرياً على القاعدة القرآنيّة اللّغويّة أيضا . لقد كذّب الكافرون رسل الله تعالى إليهم . وزعموا أنّ الله تعالى ما نزّل شيئاً من الآيات البيّنات ، وادّعوا أنّ رسل الله تعالى في ضلالٍ كبير وانحرافٍ بيّنٍ عن الصّراط المستقيم . وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب النّار المشتعلة المتأجّجة . فاعترفوا بذنبهم بعد فوات الأوان ، فَبُعْداً من رحمة الله تعالى لأصحاب السّعير . أمّا المؤمنون الّذين يخشون ربّهم وهم لم يروه فإنّ لهم مغفرةً لذنوبهم ، وأجراً كبيراً على أعمالهم الصّالحة . وأنتم أيّها المشركون أَسِرُّوا قولكم أو اجهروا به فإنّ الله تعالى

العليم بذات الصّدور ووساوس النّفوس محيط به . ألا يعلم الخلاّق جلّ وعلا من خلق وما خلق ، وهو عزّوجلّ اللّطيف في إدراك كلّ خفّي ، الخبير ببواطن الأمور كظواهرها .

وكي يتحوّل المشركون إلى التّوحيد ، وكي يستدلّوا بما عرفوا على الّذي لم يعرفوا بعد ، يتمّ لفت الانتباه إلى مظهر من مظاهر قدرة الحقّ جلّ وعلا . إنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي جعل لكم أيّها النّاس الأرض سهلةً للمشي عليها والسُّكنى فوقها فامشوا في أرجائها ونواحيها لمصالحكم المتعدّدة ، وكلوا من رزق ربّكم عزّوجلّ ، وإليه النّشور والرّجوع يوم القيامة للحساب والجزاء . وهكذا تكون الحياة الأولى مزرعةً للآخرة . وإنما يكون الحصاد من جنس البذور . وهكذا يكون الجمع بين التّرغيب والتّرهيب .

(٣)

((ما أشدَّ إنذارَ الله تعالى البصير بكلّ شيء للكافرين وإنكارَه عليهم ، وما أشدُّ ذلَّهُمْ في الأولى وخِزْيَهُمْ في الآخِرَة))

الآيات (١٦ – ٢٤)

أأمنتم أيها المشركون الله تعالى الّذي في السّماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تتحرّك بكم وتضطرب . أم أمنتم الله تعالى الّذي في السّماء أن يرسل عليكم ريحاً شديدةً ملتئمة تحمل الحجارة الصّغار فترميكم وتحصبكم بها ، فستعلمون كيف إنذاري لكم وقد تحقّق . ولقد كذّب الّذين من قبل كفّار قريش رسلهم فكيف كان إنكاري عليهم . لقد كان الإنكار شديداً والأخذ أكيداً ، فهلاّ اتّعظ كفّار قريش بما حلّ بالسّابقين ، وهلاّ سمعوا سماع تدبّر واستعملوا عقولهم استعمالاً صحيحا . أعموا ولم يروا إلى الطّير فوقهم في

كلّ وقتٍ وموضع باسطِاتٍ أجنحتها في أثناء الطّيران ، ويقبضن أجنحتهنّ أحياناً . ما يمسك الطّير فى الهواء وما يمنعها من السّقوط إلاّ الرّحمن الّذي وسعت رحمته كلّ حيٍّ وشيء . وإنّ الله تعالى بكلّ شيءٍ بصير . أم من هذا الّذي هو جندٌ لكم ينصركم من غير الرّحمن الرّحيم إن حاربكم الرّحمن الرّحيم أوحاربكم أعداؤكم . ما الكافرون إلاّ في غرور بأنّ آلهتهم المزعومة سوف تنصرهم . أم من هذا الّذي يرزقكم من دون الله تعالى إن أمسك عزّوجلّ رزقه وصرفه عنكم . بل تمادى الكافرون في طغيانهم وانصرافهم عن الصّراط المستقيم حسّاً وروحاً . أفمن يمشي يوم القيامة ساقطاً على وجهه ، لا يكاد يمشي حتّى يقع ، أَهْدَى أمّن يمشي منتصب القامة مرفوع الهامة [1] على صراط مستقيمٍ وطريقٍ قويم .

قل يا محمّد لأولئك المشركين الّذين لا يسمعون سماع وعيٍ ولا يعقلون : إنّ الله تعالى هو الّذي أوجدكم من العدم وجعل لكم السّمع والأبصار والعقول والقلوب . ما أقلّ شكركم لله تعالى حينما تشركون معه في العبادة غيره . قل يا محمّد لأولئك المشركين : إنّ الله تعالى هو الّذي نشركم في الأرض وإليه تُحْمَعُون يوم القيامة للحساب والجزاء .

---

(١)الرّأس .

(٤)

((الكافرون عُمْيُ البصر والبصيرة يستعجلون بعذاب الآخرة على سبيل الاستهزاء))

الآيات (٢٥ – ٣٠)

على الرّغم من كلّ هذه التّوجيهات السّماويّة والمواعظ الرّبّانيّة يظلّ كفّار مكّة مصرّين على كفرهم وإنكار البعث وتربّص الدّوائر بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين . وتظلّ رحمة البرّ الرّحيم تلاحقهم . إنّ كفّار مكّة يقولون على سبيل الاستهزاء للمؤمنين : متى هذا الوعد بالحساب والجزاء إن كنتم صادقين أنّ بعد الموت حياةً أخرى وأنّ السّاعة قائمة . قل يا محمّد إنّما العلم بقيام السّاعة عند الله تعالى ، وإنّما أنا نذيرٌ مبين . فلّما رأى المشركون العذاب قريباً ، ساء الله تعالى وجوه الكافرين وقيل هذا هو العذاب الّذي كنتم تطلبونه وتستعجلون به . وإنّما جاء الكلام في صيغة الزّمن الماضي لتحقّق وقوعه . قل يا محمّد أخبروني إن أهلكني الله تعالى ومن معي فتحقّقت أمنيّاتكم بهلاكنا ، أو شَمِلَنا الله تعالى برحمته فعافانا فإنّ هذا أو ذاك لن يغيّر شيئاً من مصيركم السّيّء . إنّه لا يوجد من يجيركم أيّها الكافرون من عذابٍ اليم . قل يا محمّد هو الرّحمن آمنّا به وعليه توكّلنا فستعلمون مستقبلاً من هو ضلالٍ مبين من الفريقين . قل يا محمّد للكافرين أخبروني إن أصبح ماؤكم غائراً فمن يأتيكم بماءٍ جارٍ على وجه الأرض ، تبصره العيون ، وتناله الأيدي. إنّ الله تعالى العليم العزيز الرّحمن الرّحيم الرّزّاق هو المستحقّ أن يفرد بالعبادة فاعبدوه أيّها النّاس وَحْدَه دون سواه ، واعملوا الصّالحات في دنياكم لأخراكم ، واستعدّوا ليوم القيامة الّذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون ، إلاّ من أتى الله تعالى بقلبٍ سليم .

التَّفْسِير

(١)

((تَمَجَّدَ الله تعالى القدير الّذي خلق الموت والحياة والسّماوات السّبع ،

وزيّن السّماء الدّنيا بمصابيح وحِفْظا))

الآيات (١ – ٥)

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤

تبارك : تعاظم وتعالى[١]

الّذي خلق الموت والحياة : فأمات من شاء وما شاء ، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجلٍ معلوم[٢]

ليبلوكم أيّكم أحسن عملا : ليختبركم فينظر أيّكم له أيّها النّاس أطوع ، وإلى طلب رضاه أسرع[٣] أيُّ اسم استفهام مبتدأ مرفوع[٤]

طباقاً : طبقاً فوق طبق ، بعضها فوق بعض[٥] من غير مماسّة[٦] والمطابقة أن تجعل الشّيء فوق آخر بقدْره ، ومنه طابَقْتُ النَّعْل [٧]

من تفاوت : من اختلاف [٨]

---

(١)تفسير الطّبري ٢/٢٩.
(٢)تفسير الطّبري ٢/٢٩.
(٣)تفسير الطّبري ٢٩ / ٢ .
(٤)الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣ / ٦ .
(٥)تفسير الطّبري ٢٩ / ٢ ومفردات الرّاغب الأصفهاني : " طبق " ٢ / ٣٩٣ .
(٦)الجلالين .
(٧)مفردات الرّاغب الأصفهاني : " طبق " ٢ / ٣٩٣ .
(٨)تفسير الطّبري ٢٩ / ٢ .

فطور : صدوع وشقوق وخلل[١]

كرّتين : مرّةً بعد أخرى[٢] وكرّةً بعد كرّة[٣]

خاسئاً : ذليلاً صاغراً مُبْعَداً . من قولهم للكلب : اخسأ إذا طردوه ، أي ابعد صاغراً[٤]

حسير : كليل قد انقطع من الإعياء(٥) يقال : ناقةٌ حسِير ، انحسر عنها اللّحم والقوّة[٦]

تَمَجَّد وتعاظم ، وكَثُرَ خير الله تعالى الّذي بيده الملك ومقاليد كلّ الأمور . وهو جلّ وعلا على كلّ شيءٍ قدير ، فلا يُعْجِزُهُ عزّوجل شيءٌ في الأرض ولا في السّماء . ومن مظاهر قدرته جلّ وعلا أنّه خلق الموت والحياة ليختبرنا وليعلم علم ظهورٍ أيّنا أحسن عملاً ، وأكثر طاعة ، وأسرع استجابة . وهو عزّوجلّ العزيز في ملكه القويّ الغالب ، الغفور ذنوب المستغفرين المقصّرين في جنبه عزّوجلّ . والموت مرّتان اثنتان ، واحدةٌ قبل الميلاد وأخرى بعد الميلاد . والحياة مرّتان اثنتان كذلك ، واحدةٌ في هذه الحياة الدّنيا وأخرى يوم القيامة .

---

(١)انظر تفسير الطّبري ٢٩ / ٣ .

(٢)تفسير الطّبري ٢٩ / ٣ .

(٣)الجلالين .

(٤)انظر تفسير الطّبري ٢٩ / ٣ .

(٥)تفسير ابن كثير ٨ / ٢٠٤ .

(٦)مفردات الرّاغب الأصفهاني : " حسر " ١ / ١٥٤.

جاء في سورة البقرة [1] قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ **وجاء في سورة غافر** [2] **على لسان الكافرين** في جنّهم قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾

ومن مظاهر قدرته عزّوجلّ كذلك وعزّته أنّه جلّ وعلا خلق سبع سماواتٍ طباقاً ، بعضها فوق بعض ، ما تَرَى أيّها النّاظر في السّماء وما تجد في خلق الرّحمن لها ولكلّ شيء من اختلافٍ وتفاوت ، فارجع البصر مرّةً أخرى ، هل ترى في السّماء من شقوقٍ أو صُدُوعٍ وخَلَل ؟ ثمّ ارجع البصر كرّةً بعد كرّة ، ومرّةً بعد مرّة ، ينقلب إليك بصرك ذليلاً وهو منهك ، ويرتدّ إليك صاغراً وهو كليل .

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ

السّماء الدّنيا : القربى إلى الأرض [3] .

بمصابيح : هي النّجوم . وجعلها مصابيح لإضاءتها . وكذلك الصّبح إنّما قيل له صبح للضّوء الّذي يضيء للنّاس من النّهار [4]

---

(١)الآية ٢٨

(٢)الآية ١١ .

(٣)الجلالين .

(٤)تفسير الطّبري ٣/٢٩ .

وجعلناها رجوماً للشّياطين : وجعلنا المصابيح الّتي زيّنّا بها السّماء الدّنيا رجوماً للشّياطين تُرْجَمُ بها[١] وعاد الضّمير في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ على جنس المصابيح لا على عينها ، لأنّه لا يُرْمَى بالكواكب الّتي في السّماء ، بل بشهب[٢] بأن ينفصل شهابٌ عن الكواكب كالقَبَسِ يؤخذ من النّار ، فيقتل الشّيطان الّذي يريد أن يسترق السّمع أو يَخْبِله[٣] لا أنّ الكوكب يزول عن مكانه[٤] قال قتادة : إنّ الله جلّ ثناؤه إنّما خلق هذه النّجوم لِثلاثِ خصال . خلقها زينةً للسّماء الدّنيا ، ورجوماً للشّياطين ، وعلاماتٍ يُهْتَدَى بها . فمن يتأوّل منها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظّه وأضاع نصيبه وتكلّف ما لا علم له به[٥] رجوماً : مصدر الثّلاثيّ رجم ، استعمل صفةً بمعنى المفعول أي المرجوم به . ويجوز أن يستعمل كمصدر بعد حذف مضافٍ أي ذات رجوم ، وجمع المصدر باعتبار أنواعه . وزنه فُعول بضمّ الفاء .أو هو جمع رجم ، اسم لما يرجم به ، زِنَةَ فَعْل بفتحٍ فسكون [٦] . ولقد زيّنّا السّماء الدّنيا القريبة من الأرض بالنّجوم المضيئة المولّدة للطّاقة بذاتها ، ويلحق بها الكواكب المنيرة غير المولّدة للطّاقة والّتي تعكس ضوء النّجوم نورا .

---

(١) تفسير الطّبري ٣/٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير٨/٢٠٤.
(٣) يَخْبله: يفسد عقله ويذهب فؤاده.
(٤) انظر الجلالين.
(٥) تفسير الطّبري ٣/٢٩.
(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣ / ٨ .

وجعلنا الشّهب المنفصلة عن النّجوم رجوماً تُرْجَم بها الشّياطين الّتي تريد أن تسترق السّمع من الملائكة الّذين لديهم بإذن الله تعالى شيءٌ من علم الغيب يتحدّثون به فيما بينهم . وكما جعلنا الشّهب رجوماً للشّياطين تحرقها في الحياة الدّنيا أو تفسد عقولها وتُذْهب أفئدتها ، أَعَدّ لهم يوم القيامة عذاب النّار الموقدة الملتهبة .

(٢)

((لّلذين كفروا عذابُ السّعير ، ولّلذين يخشون ربّهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير ،

وإلى الله تعالى العليم الرّزّاق النُّشور))

الآيات (٦ – ١٥)

وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩

سمعوا لها شهيقا: يعنى بالشّهيق الصّوت الّذى يخرج من الجوف بشدّة كصوت الحِمار[١] وصوت الحمار أوّله زفير وآخره شهيق[٢] والزّفير: إخراج النَّفَس بعد مَدِّه[٣] والشّهيق: إدخال النّفَس إلى الرِّئَتَيْن[٤]

وهي تفور: وهي تغلى كما يغلى القدْر[٥]

تكاد تميّز من الغيظ: تكاد جهنّم تتفَرّق وتتقطّع من الغيظ على أهلها [٦]

كلّما: ظرف بمعنى حين متضمّن معنى الشّرط فى محلّ نصب متعلّق بالجواب سألهم[٧]

---

(١) تفسير الطّبرى ٤/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ٤/٢١.
(٣) المعجم الوسيط: "زفر".
(٤) المعجم الوسيط: "شهق".
(٥) تفسير الطّبرى ٤/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ٤/٢٩.
(٧) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٩/١٣.

ولّلـذين كفـروا بـربّهم عزّوجـلّ عـذاب جهـنّم . وبـئس المصـير جهـنّم . إذا أُلْقِـي الكافرون في جهنّم سمعوا لها صوتاً مخيفاً عنيفاً يخرج من أعماقها، وهو في القبح والبشاعة من جنس صوت الحِمار الّذي قال الحقّ جلّ وعلا عن صوته في سورة لقمان[1]: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ وهذا الصّوت الّتي تلك صفات قبحه يخرج من جوف جهنّم وهي تغلي كما تغلي القدر على النّار . تكاد جهنّم تتقطّع وتتمزّق من الغيظ على الّذين أُلْقوا فيها . كلّما أُلْقي فيها مجموعةٌ سألهم خزنتها على سبيل التّقريع والتّوبيخ : ألم يأتكم في الحياة الدّنيا نذيرٌ ينذركم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فعلاً ، فكذّبنا رسل الله تعالى إلينا ، وقلنا ما نزّل الله تعالى من شيءٍ من الآيات البيّنات ، ما أنتم أيّها الرّسل إلاّ في ضلالٍ كبير ، وخروجٍ بيّنٍ عن الصّراط المستقيم .

ومن أهمّ ما يلفت النّظر في الآيتين الكريمتين الثّامنة والتّاسعة مجيء جملة : " أتى " في الآية الكريمة الأولى . وهي تدلّ في القرآن الكريم دائماً وأبداً على البُعْد . والمعنى ألم يأتكم في الدّنيا نذير ، ومجيء جملة " جاء " في الآية الكريمة الأخرى ، وهي تدلّ دائماً وأبداً على القُرب . والمعنى قد جاءنا ووصلنا فعلاً نذيرٌ في الحياة الدّنيا .

---

(١)الآية ١٩ .

وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾
فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾

فسحقاً لأصحاب السّعير : فبعداً لأهل النّار عن رحمة الله تعالى[1].

وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم لو كنّا نسمع سماع تدبّر ، أو كنّا نعقل ما يقال لنا ونفهمه فهماً صحيحاً ، لآمنّا وما كنّا في أصحاب السّعير ومن أهل جهنّم الخالدين فيها. فاعترف أصحاب السّعير بذنبهم فَبُعْداً لهم عن رحمة الله تعالى .ولا يخفى دور تكرار لفظ السّعير في الآيتين الكريمتين دليلاً على غضب الحقّ جلّ وعلا على أهل النّار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾

إنّ الّذين يخشون ربّهم بالغيب : إنّ الّذين يخافون ربّهم وهم لم يَرَوْه[2] .

إنّ الّذين يخافون ربّهم جلّ وعلا وهم لم يَرَوْه ولكنّهم صدّقوا رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وقرآنه المجيد ، لهم مغفرةٌ لذنوبهم ، وأجرٌ كبيرٌ وثوابٌ عظيم على صالح أعمالهم .

---

(١)تفسير الطّبري ٢٩ / ٤ والجلالين .
(٢) تفسير الطّبري ٢٩ / ٥ .

وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾

ألا يعلم من خلق : كيف يخفى عليه خلقه الّذي خلق[1].

وهو اللّطيف الخبير : وهو اللّطيف بعباده الخبير بهم[2].

وأسرّوا أيّها النّاس قولكم وأَخْفُوه ، أو اجهروا به وأَعْلِنُوه . إنّ الله تعالى عليمٌ بذات الصّدور ، ودخائل القلوب ، ووساوس النّفوس ، ومن باب الأَحْرَى القول سواءٌ كان سرّاً أو علانية .

ألا يعلم الله تعالى الخالقُ البارىء المصوّر من خلق وأوجد من العدم ! وهو عزّوجلّ اللّطيف في إدراكه كلّ خفيّ ، ومن باب الأَحْرَى الجليّ ، الخبير ببواطن الأمور، ومن باب الأَحْرَى ظواهِرُها .

---

(١)تفسير الطّبري ٢٩ / ٥ .

(٢)تفسير الطّبري ٢٩ / ٥ .

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥

ذلولاً : سهلةً للمشي فيها[١].

فامشوا في مناكبها : في أطرافها ونواحيها[٢] وجوانبها[٣].

وإليه النّشور : وإلى الله نشركم من قبوركم[٤] ومرجعكم يوم القيامة[٥] للجزاء[٦].

إنّ الله تعالى هو الّذي جعل لكم أيّها النّاس الأرض مذلّلة لكم ، يسهل عليكم السّير عليها ، ومن باب الأحرى الإِقامَةُ فوقها ، فامشوا أيّها النّاس في أقطارها وجوانبها ونواحيها ، ابتغاء الفضل من الله تعالى ، وكلوا من رزقه عزّوجلّ ، وقد تكفّل جلّ وعلا لكلّ ما يّدِبُّ على ظهر الأرض برزقه . وإلى الله تعالى النّشورُ يوم القيامة ، والقيامُ من القبور للحساب والجزاء ، الثّواب أو العقاب .

---

(١)الجلالين .

(٢)تفسير الطّبري ٢٩ / ٥ .

(٣)الجلالين .

(٤)تفسير الطّبري ٢٩ / ٦ .

(٥)تفسير ابن كثير ٨ / ٢٠٦ .

(٦)الجلالين .

(٣)

((ما أَشَدَّ إنذارَ اللهِ تعالى البصير بكلّ شيءٍ للكافرين وإِنْكارَهُ عليهم ،
وما أشدّ ذُلَّهم في الأُولَى وخِزْيَهُمْ في الآخرة))

الآيات (١٦ – ٢٤)

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

فإذا هي تمور : فإذا الأرض تذهب بكم وتجيء وتضطرب[1].

حاصباً : هو التّراب فيه الحَصْباء الصّغار[2] وريحاً ترميكم بالحَصْباء[3]والحَصْباء صغار الحجارة[4].

فستعلمون كيف نذير : أي كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلّف عنه وكذّب به[5]

فكيف كان نكير : فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم[6] .

أأمنتم أيّها النّاس الله تعالى الّذي في السّماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تتحرّك بكم وتضطرب وتتموّج ! أم أمنتم أيّها النّاس الله تعالى الّذي في السّماء أن يرسل عليكم ريحاً تحمل صغار الحجارة فينالكم أذاها ، وتغرقكم في البرّ بأكوام الحَصْباء، أو تُطَوِّحُ بكم في الهواء وتَرْمِي بكم بعيدا ! فستعلمون أيّها العاصون كيف تكون عاقبة إنذاري وقد تحقّق .

---

(١)تفسير الطّبري ٢٩ / ٦ .
(٢)تفسير الطّبري ٢٩ / ٦ .
(٣)الجلالين .
(٤)المعجم الوسيط : " حصب " .
(٥)تفسير ابن كثير ٨ / ٢٠٧ .
(٦)تفسير ابن كثير ٨ / ٢٠٧ .

ولقد كذّب الّذين من قبل قومك المكذّبين لك أيّها الرّسول الكريم ، والنّبيّ العظيم ، فكيف كان إنكاري عليهم أن يشركوا بي ويكذّبوا رسلي . لقد كان الإنكار شديداً ، والأخذ أكيدا.

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٌ ١٩

أو لم يروا : أغفلوا ولم يروا[١] .

صافّات : أجنحتهنّ [٢]وباسطاتٍ أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها ، لأنّهنّ إذا بسطنها صففن قوادمها صفّا[٣] .

ويقبضن : أجنحتهنّ أحيانا[٤]ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهنّ . فإن قلت : لم قيل :﴿ وَيَقۡبِضۡنَۚ ﴾ ولم يقل : وقابضات . قلت : لأنّ الأصل في الطّيران هو صفّ الأجنحة ، لأنّ الطّيران في الهواء كالسّباحة في الماء . والأصل في السّباحة مدّ الأطراف وبسطها . أمّا القبض فطاريءٌ على البسط للاستظهار به على التّحرّك . فجيء بما هو طارٍ غير أصل بلفظ الفعل ، على معنى أنّهنّ صافّات . ويكون منهنّ القبض تارةً بعد تارةٍ كما يكون من السّابح[٥].

أغفل مشركو قريش ومن شاكلهم ولم ينظروا إلى الطّير فوقهم باسطاتٍ أجنحتهنّ في أثناء الطّيران وتحريك الأجنحة ، ويقبضن أجنحتهنّ أحياناً .

---

(١)الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣ / ٥ .
(٢)تفسير الطّبري ٢٩ / ٦ .
(٣)الكشّاف ٣ / ٢٥٤ .
(٤)تفسير الطّبري ٢٩ / ٦ .
(٥)الكشّاف ٣ / ٢٥٤ .

ما يمسكهنّ في الهواء ، وما يمنعهنّ من السّقوط إلاّ الرّحمن الّذي وسعت رحمته كلّ حيّ وشيء . إنّ الله سبحانه وتعالى بكلّ شيءٍ بصير ، فلا يخفى عليه عزّوجلّ شيءٌ في الأرض ولا في السّماء.

وهكذا يكون بسط الجناحين وتحريكهما هو الأصل بحقِّ الطّير والأساس ، ويكون قبض الجناحين وضمّهما استثناءً وأَحْيانا .

أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾

من دون الرّحمن : أي غيره [١].

إن الكافرون : ما الكافرون بالله[٢] .

إلاّ في غرور : من ظنّهم أنّ آلهتهم تقرّبهم إلى الله زلفى وأنّها تنفع أو تضرّ[٣].

بل لجُّوا : بل تمادَوْا [٤].

في عتوّ : في طغيان[٥] وتكبّر[٦] .

ونفور : ونفورٍ عن الحقّ[٧] على أدبارهم لا يسمعون له ولا يتّبعونه[٨].

---

(١) الجلالين.

(٢)تفسير الطّبري ٦/٢٩.

(٣)تفسير الطّبري ٦/٢٩.

(٤)تفسير الطّبري ٦/٢٩.

(٥)تفسير الطّبري ٦/٢٩.

(٦)الجلالين.

(٧)تفسير الطّبري ٦/٢٩.

(٨) تفسير ابن كثير ٢٠٨/٨.

أم من هذا الّذى هو جندٌلكم أيّها المشركون ينصركم من دون الرّحمن إن أراد الرّحمن هلالكم أو أن يغلبكم خصومكم! ما الكافرون إلاّ في غرورٍ من ظنّهم أنّ آلهتهم الّتى يعبدونها من دون الله تعالى قادرةٌ على نصرهم وضرّهم. الحقيقة أنّ الآلهة المزعومة لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها نفعاً ولا ضَرّا.

أم من هذا الّذى يرزقكم من دون الرّحمن إن أمسك الرّحمن الرّحيم رزقه، ومنع غيثه. بل تمادى الكافرون في عتوّهم وطغياهم وجبروتهم وإعراضهم بأجسامهم، ونفورهم بقلوبهم، عن كلمة الصّدق، ودعوة الحقّ.

أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

مكبّاً على وجهه: واقعاً على وجهه[1]

سويّا:معتدلاً[2]منتصب القامة [3]

أفمن يمشى ساقطاً على وجهه، كلمّا قام واستأنف المشي خرّ على وجهه بسبب وعورة الدّرب وانحراف الطرّيق، أَهْدَى أم من يمشى على قدميه، منتصب القامة، رافع الهامة، على صراطٍ مستقيم وطريق قويم! والجواب بطبيعة الحال معروف. والّذى يمشى واقعاً على وجهه هو الكافر. والّذى يمشى معتدلاً هو المؤمن.

---

(١)الجلالين.

(٢)الجلالين.

(٣)تفسير ابن كثير ٢٠٨/٨.

قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤

قل: يامحمّد[1]

هو الّذى أنشأكم: الله الّذى[2] ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكورا[3]

والأفئدة: القلوب[4]والعقول[5]تعقلون بها[6]

قليلاً ما تشكرون: قليلاً مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو صفته، عامله تشكرون منصوب. ما لتأكيد التّقْلِيل[7]

ذرأكم: بثّكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها[8]

وإليه تُحْشَرون: تجمعون بعد هذا التّفرّق والشّتات[9]

---

(١) تفسير الطّبرى ٧/٢٩.
(٢)تفسير الطّبرى ٧/٢٩.
(٣)تفسير ابن كثير ٢٠٨/٨.
(٤)الجلالين.
(٥)تفسير ابن كثير ٢٠٨/٨.
(٦)تفسير الطّبرى ٧/٢٩.
(٧)انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨/١٣.
(٨)تفسير ابن كثير ٢٠٨/٨.
(٩)تفسير ابن كثير ٢٠٨/٨.

قل يا محمّد، هو الله الّذى لا إله إلاّ هو الّذى أوجدكم من العَدَم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكورا، وجعل لكم السّمع تسمعون به، والأبصار تبصرون بها، والأفئدة تعقلون بها وتدركون وتتدبّرون. ما أقلّ شكركم أيّها النّاس لله تعالى على هذه النِّعم العظيمة عليكم.

قل يا محمّد، هو الله الّذى لاإله إلاّهو الّذى فرّقكم في أقطار الأرض ونشركم في أرجائها، وإليه عزّوجلّ تُحْشَرون يوم القيامة، وتُجمعون إليه للحساب والجزاء، بعد التَّفرّق والانتشار في الحياة الدّنيا.

(٤)

((الكافرون عُمْيُ البَصَر والبصيرة يستعجلون بعذاب الآخرة على سبيل الاستهزاء))

الآيات (٢٥-٣٠)

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

زلفةً: قريبا[1]

سيئت: ساء الله بذلك وجوه الكافرين[2]

تَدَّعون: تستعجلون[3]

ويقول المشركون على سبيل الاستهزاء: متى هذا الوعد بالحساب والعقاب، إن كنتم صادقين بأنّ ثمّة بعثاً وحساباً وجزاءً. قل يامحمّد للمشركين المستعجلين العذاب على سبيل الاستهزاء: إنّما عِلْمُ السّاعة عند الله تعالى وحده لاشريك له، وما أنا إلاّ نذيرٌ لكم بيّن النِّذارة بين يدي عذابٍ شديد. فلمّا رأى المشركون يوم القيامة وعذاب الله تعالى قريباً ساء الله تعالى وجوه الّذين كفروا، وقيل لهم هذا هو العذاب الّذى كنتم تطلبونه وتستعجلون به على سبيل الاستهزاء.

---

(١)تفسير الطّبرى ٨/٢٩.

(٢)تفسير الطّبرى ٨/٢٩.

(٣)تفسير ابن كثير ٢٠٨/٨والكشّاف٢٥٥/٣.

قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ﴿٣٠﴾

غوراً: غائراً لا تناله الدِّلاء[1]ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا يُنال بالفئوس الحِداد، ولا السّواعد الشِّداد. والغائر عكس النّابع[2].

معين: جارٍ على وجه الأرض[3]تراه العيون ظاهراً [4]وتناله الأيدى والدِّلاء[5]

قل يا محمّد لكفّار مكّة أخبروني إن أهلكني الله تعالى ومن معي من المؤمنين تحقيقاً لأمنيّتكم أو شمِلَنا برحمته الّتى وسعت كلّ شيءٍ وحيّ، فمن يجيركم أيّها الكافرون من عذابٍ أليم واقعٍ بكم لا محالة إن أصررتم على كفركم وشرككم.

قل يامحمّد لكفّار مكّة، هو الرّحمن ربّنا لا معبود بحّقٍ سواه، آمنّا به وَحْدَهُ لا شريك له وصدّقنا، وعليه توكلنا في كلّ أمورنا واعتمدنا، فهو وليّنا وناصرنا، فستعلمون مستقبلا من هو في ضلالٍ مبين، ومن هو على صراطٍ مستقيم .

قل يامحمّد لكفّار مكّة، أخبروني إن أصبح ماؤكم غائراً لا تناله الدِّلاء ولا تصل إليه المعاول، فمن يأتيكم بماءٍ معين، يتدفّق أمام أعينكم، ويترقرق على ظهر الأرض، بالآنية تغترفون،وبالأيدى منه تنالون.

---

(١) تفسير الطّبرى ٩/٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٢٠٩/٨.
(٣) تفسير ابن كثير ٢٠٩/٨.
(٤) تفسير الطّبري ٩/١٩.
(٥) الجلالين.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة الملك من المكّيّ من القرآن الكريم الّذي نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١].

٢. عدد آيات السّورة الكريمة ثلاثون آية. وعدد كلماتها ثلاثمائة وخمسٌ وثلاثون كلمة. وعدد حروفها ألفٌ وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفاً[٢]

٣. روى الإمام أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: إنّ سورةً في القرآن ثلاثين آيةً شَفَعَت لصاحبها حتّى غفِر له:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ورواه أهل السُّنن الأربعة. وقال التّرمذيّ: هذا حديثٌ حسن[٣] والسّورة الكريمة تسمَّى الواقية والمُنْجِية[٤]

---

(١)الإتقان ٤٣/١ والجلالين وتفسير ابن كثير ٢٠١/٨ والكشّاف ٢٥١/٣ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/٢٩ والمحرّر الوجيز ٥٩/١٦ وفي ظلال القرآن ٣٦٢٧ والبحر المحيط ٢٩٦/٨ وتفسير القرطبي ٦٦٨٤.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٠١/٨.

(٤) تفسير القرطبي ٦٦٨٤.

٤. شأن سورة الملك شأن سائر سور المكّيّ من القرآن الكريم في العناية بأسس العقيدة. ويصحّ أن يقال عن سورة الملك الكريمة إنّها تُعْنَى بتوحيد الله تعالى والاستدلال على ذلك بلفت الانتباه إلى آيات الله تعالى الكونيّة ونعمه على عباده واستعمال أسلوبي التّرهيب والتّرغيب تمشّياً مع ترتيب اسمي الحقِّ جلّ وعلا الكريمين في القول: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ مع تغليب التّرهيب في حقِّ مشركي قريش الّذين يُصِرُّون على الشّرك وتكذيب الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وإنكار البعث والجزاء. وهذه المعاني تتّضح من الاستعراض التّالي لمعاني السّورة الكريمة.

تَمَجَّدَ وتَكاثَرَ خير الله تعالى الّذى بيده الملك وهو على كلّ شيءٍ قدير. الّذى خلق الموت قبل الحياة وبعدها، والحياة قبل الموت وبعده، ليبلوكم أيّها النّاس أيّكم أحسن عملاً فيجازيكم يوم القيامة. وهو عزّ وجلّ العزيز الغالب المشركين الغفور للمؤمنين. الّذى خلق سبع سماواتٍ بعضها فوق بعض. ما ترى في خلق الرحمن من اختلاف. فارجع البصر مرّةً أخرى هل ترى من صُدُوعٍ وشُقُوقٍ. ثم ارجع البصر كرّةً وأخرى ينقلب إليك البصر ذليلاً وهو مُنْهَك لأنّه ما وجد إلاّ الكمال والجلال والجمال، دَليلَ قدرة الله تعالى الّذى بيده الملك. ومن أدلّة الجمال والجلال والكمال أنّا زيّنَّا السّماء القُرْبَى من الأرض بسُرُجٍ مضيئةٍ وكواكِبَ منيرة وجعلنا الشّهب المنفصلة من النّجوم رُجُوماً للشّياطين الّتى تريد أن تَسْتَرِقَ السّمع، وأعددنا لهم يوم القيامة عذاب النّار المتوهّجة. وكما كان للشّياطين عذاب جهنم كان للكافرين. وبئس المصير جهنّم. إذا أُلْقِيَ الكافرون في جهنّم سمعوا لها صوتاً قبيحاً مُزْعِجاً أشبه ما يكون بصوت الحِمار الّذى هو أنكر الأصوات بنصّ القرآن الكريم، وهي تَغْلِي كالقِدر على النّار. تكاد تتقطّع جهنم أوصالاً من غيظها على الكفّار، وكأنّها مخلوقٌ يَعِي ويغضب للحقِّ أن يُهْجَر، وللباطل أن يُتَّبع. كلمّا أُلقِي في

جهنّم فريقٌ سألهم خزنتها، ابتداءً بمالكٍ، وذلك على سبيل التّوبيخ. ألم يأتكم في الحياة الدّنيا نذير! قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذّبنا وقلنا مانزّل الله تعالى من شيءٍ من الآيات، ما أنتم أيّها المرسلون إلاّ في ضلالٍ كبيرٍ.واعترفوا بتعطيلهم نعمتي السّمع والعقل وبذنبهم فبُعْداً للكافرين أصحاب النّار. وهكذا يأخذ التّرهيب حيّزاً كبيراً في هذا الموضع من السّورة الكريمة.

وفي مجال التّرغيب تتبيّن المغفرة من الله تعالى للّذين يخشون ربّهم بالغيب والأَجْرُ الكبير. والغيب يشمل عدم الرّؤية في الحياة الدّنيا للذّات العليّة وخشية المؤمنين الله تعالى حينما يغيبون عن عيون البشر. وأسِرُّوا أيّها البشر قولكم أو اجهروا به. إنّه عليمٌ بذات الصّدور ودخائل النّفوس. ألا يعلم الله تعالى من خلق وهو جلّ وعلا اللّطيف فى إدراك كلّ شيء الخبير بموضعه. وهذه المعاني معمّقةٌ لمعنى الغيب في القول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾

ثمّ يكون في السّورة الكريمة جمعٌ بين التّرغيب والتّرهيب ولفت الانتباه إلى بعض مظاهر فضل الله تعالى على النّاس وقدرته. إنّ الله تعالى هو الّذى جعل الأرض سهلة المشي عليها، فعلينا أن نمشي في نواحيها، وأن نأكل من رزق الله تعالى، وأن نعمل لِيَوْمِ القيامة حينما نُنْشَر من قبورنا وتعود إلينا الحياة. أ أمنتَم أيّها المشركون من في السّماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تتحرّك وتتموّج. أم أمنتم من في السّماء أن يرسل عليكم ريحاً تحمل صغار الحجارة فتصيبكم ببليغ الأذى. فستعلمون كيف إنذاري إذا تحقّق. ولقد كذّب الّذين من قبلهم فكيف كان إنكاري عليهم، وهلاّ اتّعظ اللّاحقون بالسّابقين.

وتظلّ رحمة الله تعالى تلاحق القوم المصرّين على تكذيبهم وذلك في القول: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴾

ثمّ يكون التّرهيب والتّرغيب مع كثرة التّرهيب، وذلك في القول:

أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

وسبق أن اعترف الكافرون وهم في جهنّم أنّهم عطّلوا نعم الله تعالى عليهم ، وفي مقدّمتها السّمع والبصر.

ويُصِرُّ الكافرون على إنكار البعث، ويسألون عن يوم القيامة بباعث السُّخْريَة منه. ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يخبر المشركين المستهزئين بأنّ عِلْمَ ذلك عند الله تعالى وأنّه نذيرٌ مبين. ودليلاً على وقوع البعث ومجئ يوم القيامة في صيغة الزّمن الماضي الحديث عن سوء وجوه الكافرين حينما يرون يوم القيامة، وحينما يقال لهم على سبيل التّوبيخ: هذا اليوم الّذي كنتم تطلبونه وتستعجلون به وتستهزئون.

وفي ختام السّورة الكريمة يؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يقول للمشركين الّذين يتربّصون الدّوائر بالمؤمنين: أخبروني إن أهلكني الله تعالى أو رحمنا فلم يهلكنا فمن يجيركم أيّها الكافرون من عذابٍ أليمٍ في الأولى والآخرة. كما أُمِر بأن يقول لهم: هو الرّحمن آمنّا به إلهاً واحداً وعليه توكّلنا فستعلمون غداً من الّذي هو في ضلالٍ مبين، وبأن يقول: أخبروني إن أصبح ماؤكم غائراً فمن يأتيكم بماءٍ قريبٍ سَهْلِ التّناول يتَرَقْرَقُ فوق سطح الأرض. وواضحٌ أنّ التّرهيب هو الغالب، ليس في هذا الموضع فقط وإنّما في السّورة الكريمة كلّها.

وهكذا تأخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض ويتجلّى في السّورة المكّيّة الكريمة خصائص المكيّ من القرآن الكريم.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الثّلاثاء ١٨/١١/١٤٢٣هـ

الموافق ٢١/١/٢٠٠٣م

ثانياً
سورة القَلَم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا
غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ
ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ
﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ
ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ
إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن
رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ
عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا
ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا
لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ
﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ

۝٣٣ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٥ مَا
لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝٣٦ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ۝٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ
۝٣٨ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ۝٣٩ سَلۡهُمۡ
أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝٤١ يَوۡمَ
يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ
تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ۝٤٣ فَذَرۡنِي وَمَن
يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ
كَيۡدِي مَتِينٌ ۝٤٥ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ۝٤٦ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ
فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٤٧ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ
مَكۡظُومٞ ۝٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩
فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ
بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ
۝٥٢

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم ذو الخُلُقِ العظيم ليس بمجنون. ولا تُطِعْ يا محمّد المكذّبين الضّالّين))

الآيات (١-١٦)

ن. والقلم الّذي يكتب به الخلق والملائكة. ما أنت يا محمّد بسبب نعمة الله تعالى عليك بمجنون. وإنّ لكِ لأجراً غير منقوصٍ ولا مقطوع لاتّهام قومك لك بالجنون وتكذيبك وأنت الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم. وإنّك لعلى خلقٍ عظيم، فإنّ خُلُقَك القرآن الكريم، وقد بعثت لتتّمِم مكارم الأخلاق. فستعلم وسيعلم قومك المكذّبون. بِأَيِّ منكما الجنون. إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله فكذّبوك. وهو أعلم بالمهتدين الّذين اتّبعوك. فلا تطع المكذّبين لك الضّالّين. ودّوا لو تدهن فتجاملهم على الباطل فيدهنون ويجاملونك على الحقّ. ولا تطع كلّ شخصٍ كثير الحلف بالباطل مهينٍ حقير. عَيّابٍ للنّاس مغتابٍ لهم، مشاءٍ بالنّميمة للإفساد بين النّاس.منّاع للخير عن أصحابه. معتدٍ على حرمات الله تعالى كثير الإثم. فظٍّ غليظٍ وهو مع ذلك لاصقٌ بالقوم دَعِيٌّ فيهم. كذَّب بآيات الله تعالى لأجل أن كان ذا مالٍ وبنين، بدلاً من أن يقوم بما يجب عليه من شكر لله تعالى. إذا تُتْلَى عليه آياتنا قال هي أباطيل الأوّلين. سنورثه ذلّ الأولى والآخرة، ونضع أنفه في التّراب، ونَسِمُ ذلك الأنف القبيح، فكأنّه من أنوف السِّباع، بِسِمة الذّل والهوان. وتلك العلامة السّيّئة الدّلالة، تأكيدٌ لِقُبْحِ كلٍّ من المظهر والمخبر.

(٢)

((اِبْتَلَى الله تعالى كفّار مكّة بالسّنين كما ابتلى أصحاب الجنّة بذهاب الثّمر، فعليهم أن يتوبوا وإلاّ كان العذاب الأكبر في الآخرة))

الآيات (١٧-٣٣)

إنّا ابتلينا كفّار مكّة كما ابتلينا أصحاب الحديقة بذهاب الثّمر إذ أقسموا بالله تعالى العظيم ليجتنون ثمرها في الصّباح الباكر دون أن يقولوا إن شاء الله تعالى، وهو عزّ وجلّ القادر على أن يلهمهم رشدهم وأن يعيدهم إلى سواء السّبيل. فَطَرَقَ الحديقة طارقٌ من ربّك وهم نائمون، فأصبحت بعد احتراقها بالنّار سوداء كاللّيلة الشّديدة الظُّلْمَة. فنادى بعضهم بعضاً صباحاً أن انطلقوا باكرين على زرعكم إن كنتم جانين الثّمر. فانطلقوا وهم يتسارّون. ألاّ يدخلنّ الحديقة اليوم عليكم مسكينٌ واحدٌ يأخذ من الثّمر فيقلّ الثّمن! وغَدَوْا على منع أصحاب الزّكاة حقّهم قادرين حسب ظنّهم. فلمّا رأوا الحديقة الّتي غدت أَثَراً بعد عينٍ قالوا إنّا لضالّون طريقنا إليها. فلما تبيّنوا الحقيقة قالوا بل نحن محرومون ثمر الحديقة. قال خيرهم وأعدلهم الّذي يبدو أنّه كان له وقتاً من الأوقات رأيٌ غير رأيهم: ألم أقل لكم هلاّ تسبحّون الله تعالى وتتوبون إليه وتسألونه أن يهديكم سواء السّبيل. قالوا سبحان الله تعالى العظيم المنزّه عن كلّ ظلمٍ وكلّ قبيح. إنّا كنّا ظالمين بمنعنا أصحاب الصّدقات حقّهم، فأقبلوا يلوم بعضهم بعضاً ويبرّئ نفسه. قالوا يا ويلنا إنّا كنّا طاغين باغين في حقِّ المساكين. عسى ربّنا جلّ وعلا أن يبدلنا خيراً منها. إنّا إلى ربّنا راغبون راجعون تائبون. مثل ذلك العذاب يكون العذاب في الدّنيا للضّالّين الطّاغين. ولعذاب الآخرة أكبر. لو كان الضّالّون الطّاغون يعلمون ذلك لعادوا إلى جادّة الصّواب.

(٣)

((لا يستوى المتّقون أصحاب الجنّة والمجرمون أصحاب النّار))

الآيات (٣٤-٤٣)

إنّ للمتّقين عند ربّهم في الآخرة جنّات النّعيم. أفنجعل المسلمين كالمجرمين في الجزاء! مالكم، وما الّذي جرى لكم، كيف تحكمون هذا الحكم الظّالم. أم لكم كتابٌ سماويٌّ تدرسون فيه تلك الأحكام ولكم الدّليل على جوازها، وتتبّينون بالدّليل أنّ من حقّكم أن تختاروا ما يروقكم منها! أم لكم أيمانٌ علينا ممتدّةٌ إلى يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون وتختارون وتشتهون. سَلْهُمُ يا محمّد أيُّهم ضامنٌ وكفيلٌ بأنّ شيئاً ممّا سبق قد تحقّق. أم لهم شركاء من الآلهة المزعومة أو من عابديها يوافقونهم على هذه التُّرَّهات. فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في زعمهم. إنّهم في الحقيقة ليسوا صادقين في شيء، وليس عندهم الدّليل عليه. اذكر يا محمّد لهم يوم يكشف عن ساقٍ دليل الشّدّة والكرب في الآخرة، ويُدْعَوْن إلى السّجود للرّحمن فلا يستطيعون. ذليلةً أبصارهم، تغشاهم مهانة. وقد كانوا يُدْعَوْن إلى السّجود في الدّنيا وهم سالمون من الآفات.

(٤)

((اصبر يا محمّد لِحُكْمِ ربّك في المكذّبين لك وللقرآن الكريم، ولا تكن في نفاد الصّبر كصاحب الحوت))

الآيات (٤٢-٥٢)

فدعنى يا محمّد ومن يكذّب بهذا الكتاب العزيز. سنأخذهم قليلاً قليلاً، ونمضى معهم درجةً درجةً على سبيل المكر بهم، وسنفتح لهم أبواب كلّ شيءٍ حتّى يفرحوا ويمرحوا ونأخذهم بغتةً من حيث لم يحتسبوا. وسنمدّ هم في الأجل ونوسّع لهم في الأمل. إنّ كيّدي شديد. وأخذى أكيد. أم أنّهم أصرّوا على كفرهم لأنّك يا محمّد سألتهم أجراً على دعوتك فهم من الغَرامَة الفادحة مثقلون. أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون منه ما يروقهم ويعجبهم. إنّهم ليس عندهم شيءٌ من ذلك. فاصبر يا محمّد لحكم ربّك فيهم، ولا تكن كصاحب الحوت يونس عليه السّلام في العَجَلَة ونفاد الصّبر إذ نادى ربّه عزّ وجلّ ودعاه وقلبه مملوءٌ غمّاً وهمّا. لولا أن أدركته نعمةٌ من ربّه لَنَبَذَهُ الحوت في الأرض الفضاء وهو مذمومٌ ولكنّ الحوت نبذه وهو غير مذموم. فاصطفاه ربّه عزّوجلّ فجعله من الصّالحين النّبيّين المرسلين. وإنّ الّذين كفروا ليكادون يصرعونك يا محمّد بأعينهم لمّا سمعوا القرآن الكريم ويقولون عنك إنّك لمجنون. وما القرآن الكريم إلاّ موعظةٌ للعالمين، الجنّ والإنس أجمعين.

التَّفْسِير

(١)

((محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم ذو الخُلُقِ العظيم ليس بمجنون. ولا تُطِعْ يا محمّد المكذّبين الضّالّين))

الآيات (١-١٦)

نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ
بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ
۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ
بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧

ن: أحد حروف الهجاء. الله أعلم بمراده به[1] وسبق أن تبيّن بشأن الحروف المقطّعة في أوّل سورة البقرة أنّ من أَنْفَسِ الآراء الرّايَ الّذي يذهب إلى أنّ الحروف المقطّعة في أوائل السّور امتدادٌ للتّحدّى بالقرآن الكريم. إنّ كلمات القرآن الكريم تتألّف من حروفٍ هي من جنس الحروف الّتي تتألّف منها كلمات اللّسان العربيّ ولكنّ القرآن الكريم نسيجُ وَحْدِه.

والقلم: الظّاهر أنّه جنس القلم الّذي يكتب به كقوله[2]:﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾فهو قَسَمٌ منه تعالى وتنبيهٌ لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة الّتى تنال بها العلوم. ولهذا قال: ﴿ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾[3] أي يكتبون[4]وقيل القلم الّذي كتب به الكائنات في اللّوح المحفوظ[5]متعلّق بفعلٍ محذوفٍ تقديره أقسم [6]

---

(١) الجلالين.

(٢) سورة العلق ٣–٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٢١٢/٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٢١٢/٨و ٢١٣.

(٥) الجلالين وتفسير الطّبري ١٢/٢٩.

(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٣/١٣.

وما يسطرون: ما حرف مصدريّ أو اسم موصول في محلّ جرّ. والعائد محذوف أي يسطّرونه[١] أي والّذي يخطّون ويكتبون[٢]

ما أنت: يا محمّد[٣]

بنعمة ربّك بمجنون: مكذّباً بذلك مشركي قريشٍ الّذين قالوا له إنّك مجنون[٤]

غير ممنون غير منقوصٍ ولا مقطوع[٥]

وإنّك لعلى خلقٍ عظيم: وإنّك يا محمّد لعلى أدبٍ عظيم. وذلك أدب القرآن الّذي أدّبه الله به وهو الإسلام وشرائعه[٦]وحينما سئلت السّيّدة عائشة ﵂ عن خلق رسول لله صلّى الله عليه وسلّم قالت للسّائل وهو سعد بن هشام بن عامر: "ألست تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى.قالت: فإنّ خلق نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم كان القرآن"[٧]ومعناه العمل به والوقوف عند حدوده والتّأدّب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبّره وحسن تلاوته[٨] وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه[٩] قال:

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٣/١٣.
(٢) تفسير الطّبري ١٢/٢٩.
(٣) تفسير الطّبري ١٢/٢٩.
(٤) تفسير الطّبري ١٢/٢٩.
(٥) تفسير الطّبري ١٢/٢٩.
(٦) تفسير الطّبري ١٢/٢٩.
(٧) صحيح مسلم ٥١٣/١ حديث رقم ٧٤٦.
(٨) صحيح مسلم ٥١٣/١ هامش٦.
(٩) ترجمته في تهذيب الأسماء واللّغات ١٢٧/١.

خدمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشر سنين، والله ما قال لي أُفّاً[1]قطّ. ولا قال لي لشيء: لِمَ فعلت كذا ؟وهلاّ فعلت كذا[2]وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما[3] قال: ما سُئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئا قطُّ فقال: لا[4]

فستبصر ويبصرون: فسترى يا محمّد ويرى مشركو قومك الّذين يدعونك مجنونا[5]

بأيّكم المفتون: المفتون مصدر كالمعقول والميسور[6] أي الفتون بمعنى الجنون، أي أبك أم بهم[7]

---

(١) إحدى اللّغات، وفيه عشر لغات. وأصل الأفّ وسّخُ الأظفار. وتستعمل هذه الكلمة في كلّ ما يُسْتَقْذَر. وهي اسم فعل تستعمل في الواحد والاثنين والجمع والمؤّنث والمذكّر. صحيح مسلم ١٨٠٤/٤ هامش رقم ١.

(٢) صحيح مسلم ١٨٠٤/٤ حديث رقم ٢٣٠٩.

(٣) ترجمته في تهذيب الأسماء واللّغات ١٤٢/١.

(٤) صحيح مسلم ١٨٠٥/٤ حديث رقم ٢٣١١.

(٥) تفسير الطّبرى ١٣/٢٩.

(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٥/١٣.

(٧) انظر الجلالين وتفسير الطّبري ١٣/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢١٦/٨.

ن، أقسم بالقلم وما يخطّون به ويكتبون. ويلاحظ أنّنا بصدد أوّل قَسَمٍ في القرآن الكريم، وهو بالقلم الّذي يكتب به الخلائق، وكذلك الملائكة، دليلاً على أهمّيّة العلم في الإسلام، ما أنت يا محمّد بسبب فضل الله تعالى ونعمته عليك بمجنون، خلافاً لما يدّعى قومك كفّار قريش. وإنّ لك يا محمّد لأجراً غير منقوصٍ ولا مقطوع كِفاءَ دعوتك إلى دين الإسلام وصبرك على الأذى. وإنّك يا محمّد على خلقٍ عظيم، وأدبٍ كريم. فقد كان خلقه صلّى الله عليه وسلّم القرآن الكريم كما جاء عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها. فسترى يا محمّد مستقبلاً وسيرى مكذّبوك كفّار قريش، بأيّكم الجنون. وهل الّذي جعله الله تعالى رسوله وأوحى إليه أشرف كتبه إلاّ أعظم العقلاء. وحينما يكون العقل هنا يكون الجنون هناك. إنّ ربّك يا محمّد هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله عزّ وجلّ، وهم كفّار قريش الّذين في عقولهم لُوثة، وهو أعلم بالمهتدين المؤمنين الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ، أشرف المرسلين، وخاتم النّبيّين عليهم أجمعين، صلوات الله تعالى وسلام ربّ العالمين.

فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦

ودّوا لو تدهن فيدهنون: ودّوا لو تلين في دينك فيلينون في دينهم[١]و الإدهان في الأصل مثل التّدهين بالدّهن للشَّعْر والرّأس وغيرهما، لكن جُعل عبارةً عن المداراة والملاينة وترك الجِدّ.يقال أَدهن في الأمر إذا لان،وأدهن إذا أظهر خلاف ما أضمر. وأدهن الجلد إذا ليّنه بالدّهن. وأدهن فلاناً إذا داراه ولاينه[٢]

حلاّف: كثيرالحَلِف بالباطل[٣]

مهين: فعيل من المهانة بمعنى الحقارة والذّلّ والضّعف والاستخفاف[٤]حقير[٥]

همّاز: عيّاب، أي مغتاب للنّاس يأكل لحومهم[٦]والهمز كالعَصْر. يقال: هَمَزْتُ الشّيء في كفّي. وهَمْز الإنسان اغتيابه. يقال: رجلٌ هامزٌ وهمّاز وهُمَزة[٧].

مشّاء بنميم: ساعٍ بالكلام بين النّاس على وجه الإفساد بينهم[٨]

---

(١) تفسير الطّبري ١٤/٢٩.

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "دهن"٢٣١/١ والمعجم الوسيط:"دهن".

(٣) الجلالين وتفسير الطّبري ١٤/٢٩.

(٤) انظر لسان العرب "مهين و: "هون".

(٥) الجلالين.

(٦) الجلالين وتفسير الطّبري ١٥/٢٩.

(٧)انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "همز"٧٠٩/٢.

(٨) الجلالين وتفسير الطّبري ١٥/٢٩.

منّاعٍ للخير: بخيلٍ بالمال ضنينٍ به عن الحقوق[١]

معتد: ظالم[٢]

أثيم: ذي إثمٍ بربّه[٣]

عُتلّ بعد ذلك: العتلّ الجافى الشّديد في كفره[٤]الفظّ الغليظ[٥] وكلّ شديدٍ قويّ فالعرب تسمّيه عتلاّ[٦]ومعنى بعد في هذا الموضع معنى مع. وتأويل الكلام: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ أي مع العتلّ زنيم[٧]

زنيم: الزّنيم في كلام العرب المُلْصَق بالقوم وليس منهم [٨] المنتسب إليهم المعلَّق بهم الزّائد فيهم وليس منهم تشبيهاً بالزّنمتين من الشّاة[٩] الزَّنْماء[١٠] والزَّنْماء من الشّياه الّتى في عنقها هَنَتان معلّقتان في حلقها[١١] والزَّنِيم الّذي يُعْرَف بالشّرّ واللّؤم كما تُعْرَف الشّاة بزنمتها[١٢]وأصل الزَّنَمة العَلامة[١٣]

---

(١) تفسير الطّبري ١٥/٢٩.

(٢) الجلالين.

(٣) تفسير الطّبري ١٥/٢٩.

(٤) تفسير الطّبري ١٦/٢٩.

(٥) تفسير ابن كثير ٢١٨/٨.

(٦) تفسير الطّبري ١٦/٢٩.

(٧) تفسير الطّبري ١٧/٢٩.

(٨) تفسير الطّبري ١٧/٢٩.

(٩) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "زنم" ٢٨٤/١.

(١٠) لسان العرب: "زنم"

(١١) تفسير ابن كثير ٢٢٠/٨ ولسان العرب: "زنم"

(١٢) لسان العرب: "زنم"

(١٣) لسان العرب: "زنم"

أن كان ذا مالٍ وبنين: كذّب بآيات الله لأن كان[١]

أساطير الأوّلين: أكاذيب الأوّلين جمع أسطورة نحو أحدوثة وأحاديث وأرجوحة وأرجيح[٢]

سنسمه على الخرطوم: سنجعل على أنفه سِمَةً أي علامةً لاتفارقه، ونُلْزِمُهُ عاراً لا ينمحى عنه، كقولهم: جُدِعت أنفه. والخُرْطُوم أنف الفيل، فسمَّى أنفه خرطوماً استقباحاً له[٣] المعنى: سنبيّن أمره بياناً وأضحاً حتّى يعرفوه فلا يخفى عليهم، كما لا تخفى السّمة على الخرطوم. وقال قتادة: معنى ذلك شَيْنٌ لا يفارقه آخر ما عليه[٤] والعرب تقول: والله لأَسِمَنَّكَ وَسْماً لا يفارقك يريدون الأَنْف[٥]

فلا تطع يا محمّد المكذّبين من كفّار قومك. ودّوا لو تلين لهم وتتسامح في مجال العقيدة معهم فيلينون لك ويعاملونك بالمثل، وبذلك تكون العَلاقة بينك وبينهم قائمةً على الملانية والمداهنة والغشّ والخداع. إنّ هذا الّذي يريده الكافرون لا يصحّ أن يكون أبدا. وكما أنّك منهيٌّ يا محمّد عن طاعة جماعة الكافرين والرّكون إليهم، أنت منهيٌّ عن طاعة عددٍ من الأفراد يتّصفون بمجموعة من الصّفات الغاية في الشَّناعة والقُبْح رغم نعم الله تعالى عليهم وآلائه الّتي تَغْمُرُهُم. وهذه الصّفات القبيحة يصحّ أن تتحقّق في شخصٍ بعينه، ويصِحّ أن تكون موزّعةًعلى عددٍ من الأفراد. وهي صفاتٌ غايةٌ في القبح والوفرة.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٧/١٣ والجلالين وانظر تفسير الطّبري ١٨/٢٩.

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "سطر" ٣٠٦/١.

(٣)انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "وسم" ٦٧٩/٢ و"خرط" ١٩٣/١ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٧/١٣.

(٤) تفسير الطّبري ١٨/٢٩.

(٥) تفسير الطّبري ١٩/٢٩.

إنّك يا محمّد منهيٌّ عن طاعة كلّ شخصٍ كثير الحَلِف بالباطل، مهينٍ حقير. يكثر من اغتياب النّاس وعَيْبهم، ومن المشي بين النّاس بالنَّميمة، والسّعي للإفساد بينهم، بنقل الأخبار الّتي توغر الصّدور، وتمزّق الصّفوف.

وهو إضافةً إلى ذلك كثير المنع للخير عن أصحابه المستحّقين له، ظالِمٌ معتدٍ على حرمات الله تعالى، كثير الإثم والفجور، فظٌّ غليظٌ شديد الكفر والعناد والاستكبار. وهو مع كلّ ذلك زنيمٌ مُلْصَقٌ بالقوم، منتسِبُ إليهم، زائدٌ فيهم، كذّب بآيات الله تعالى وبادل إحسان الله تعالى إليه بالكُفْران لِأنْ كان ذا مالٍ وبنين، ومن أجل أن أغناه الله تعالى من واسع فضله. لقد اتّسم هذا الكذّاب الأثيم بكلٍّ من الكفر والكفران. إنّه إذا تُتْلَى عليه آيات الله تعالى من الذّكر الحكيم قال هذه أساطير الأوّلين، وأباطيل السّابقين، وأكاذيب الماضين. إنّا سوف نلبسه ذلّ الأولى وخزي الآخرة، وسوف نضع أنفه في التّراب، ووجهه في الرَّغام، وسوف يكون الخزي والهوان سمةً له، وكأنّ على أنفه علامةَ الذّلّ الّتي لا تفارقه أبداً، وسِمَةَ القبح الّتي يتّصف بها أنفه، وقد استعير له لفظ الخُرْطوم، الدّالّ على قبح أنف الفيل أصلاً. وهكذا أضيف إلى قبح الأصل قبحٌ جديد، في هيئة الوسم الحسّيّ أو المعنويّ على الأنف، دليل إلفِ الذّلّ واستمراء الهوان.

(٢)

((اِبْتَلَى الله تعالى كفّار مكّة بالسّنين كما ابتلى أصحاب الجنّة بذهاب الثّمر، فعليهم أن يتوبوا وإلاّ كان العذاب الأكبر في الآخرة))

الآيات (١٧-٣٣)

إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا
مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾
فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٌ
﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ
مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ
إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا
كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾

إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنّة: إنّا امتحنّا مشركي قريش فاختبرناهم كما امتحنّا أصحاب البستان[1]

إذ أقسموا: إذ حلفوا[2]

ليصرمنّها مصبحين: يجتنونها ويتناولونها[3] إذا أصبحوا لَيَجُدُّنَّ ثمرها[4]

ولا يستثنون: في يمينهم بمشيئة الله تعالى[5] ولا يقولون: إن شاء الله[1] ولهذا

---

(١) تفسير الطّبري ١٩/٢٩.
(٢) تفسير الطّبري ١٩/٢٩.
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "صرم" ٣٦٨/٢.
(٤) تفسير الطّبري ١٩/٢٩.
(٥) الجلالين.

حنّثهم الله في أيمانهم[٢]

فطاف عليها طائفٌ من ربّك وهم نائمون: فطرق جنّة هؤلاء القوم ليلاً طارقٌ من أمر الله وهم نائمون. ولا يكون الطّائف في كلام العرب إلاّ ليلاً [٣]قيل نارٌ أحرقتها ليلاً[٤]

فأصبحت كالصّريم: فأصبحت جنّتهم محترقةً سوداء كسواد اللّيل المظلم البهيم[٥]الشّديد الظّلمة[٦]

فتنادوا مصبحين: فنادى بعضهم بعضاً بعد أن أصبحوا[٧]

أن اغدوا: اذهبوا وانطلقوا مبكّرين غُدْوةً أي بالغداة ما بين الفجر وطلوع الشّمس[٨] ومن أوّل النّهار[٩]

على حرثكم: على زرعكم[١٠] وغلّتكم[١١]

إن كنتم صارمين: إن كنتم حاصدي زرعكم [١٢]

يتخافتون: يتسارّون[١٣]

---

(١) تفسير الطّبري ١٩/٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٢٢٢/٨.
(٣) تفسير الطّبري ١٩/٢٩.
(٤) الجلالين.
(٥) تفسير الطّبري ٢٠/٢٩ ومفردات الرّاغب الأصفهاني: "صرم" ٣٦٨/٢.
(٦) الجلالين.
(٧)تفسير الطّبري ٢٠/٢٩.
(٨) انظر المعجم الوسيط: "غدا".
(٩) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "غدا" ٤٦٤/٢.
(١٠) تفسير الطّبري ٢٠/٢٩.
(١١) الجلالين.
(١٢) تفسير الطّبري ٢٠/٢٩.
(١٣) الجلالين.

وغدوا على حَرْد: الحرد المنع عن حِدّةٍ وغضب[١]

إنّا لضالّون: طريق جنّتنا[٢]

بل نحن محرومون: ثمرتها بمنعنا الفقراء منها[٣]

قال أوسطهم: خيرهم وأعدلهم[٤]

ألم أقل لكم لولا تسبّحون: الهمزة للاستفهام التّوبيخّي[٥] يقول: هلاّ تستثنون إذ قلتم لنصرمنّها مصبحين فتقولوا: إن شاء الله[٦] قال مجاهد: فكان التّسبيح فيهم الاستثناء[٧] وقيل: هلاّ تسبّحون الله تائبين[٨] وهلاّ تسبّحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم[٩]

قالوا سبحان ربّنا: سبّحوا الله ونزّهوه عن الظّلم وعن كلّ قبيح[١٠]

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "حرد"١/١٤٨.
(٢) تفسير الطّبري ٢١/٢٩.
(٣) الجلالين.
(٤) تفسير الطّبري ٢٢/٢٩.
(٥) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١/١٣.
(٦) تفسير الطّبري ٢٢/٢٩.
(٧) تفسير الطّبري ٢٢/٢٩.
(٨) الجلالين
(٩) تفسير ابن كثير ٢٢٣/٨.
(١٠) الكشّاف ٢٥٩/٣.

كذلك العذاب: أي مثل العذاب لهؤلاء العذاب لمن خالف أمرنا من كفّار مكة وغيرهم[1].

إنّا اختبرنا كفّار مكّة بالسّنين ونقص من الثّمرات كما اختبرنا أصحاب الحديقة الغنّاء المتدلّية الثّمار، إذ أقسموا بالله تعالى العظيم ليجمعنّ ثمرها في الصّباح الباكر ولا يستثنون فلا يقولون: إن شاء الله تعالى. فطاف على الحديقة ليلاً طارقٌ من أمر ربّك فاحترقت بالنّار بينما أصحابها نائمون. فأصبحت الحديقة سوداء مثل اللّيلة الشّديدة السّواد. فنادى بعضهم بعضاً في الصّباح: أن انطلقوا مبكّرين صباحاً قبل طلوع الشّمس على زرعكم إن كنتم حريصين على جني ثمركم. فانطلقوا وهم يتسارّون:ألاّ يدخلنّ حديقتكم اليوم عليكم مسكينٌ واحدٌ ليأخذ من ثمرها في هيئة الصّدقة فيقلّ الثّمر وتنقص القيمة! وغدوا على منع الفقراء والمساكين قادرين حسب ظنّهم. فلمّا رأوا الحديقة الّتي غَدَتْ أَثَراً من بعد عينٍ قالوا إنّا لضالّون طريقنا إلى الحديقة. فلمّا تبيّنوا أنّهم لم يضلّوا السّبيل ولم يخطئوا الحديقة قالوا إنّا لم نضلّ الطّريق بل نحن محرومون الثّمرة بسبب منع الفقراء حقّهم الّذي فرضه الله تعالى لهم زكاةً في الثّمار.

قال خيرهم وأعدلهم الّذي يبدو أنّه كان له رأيٌ غير رأي البقية ولكنّهم كاثَرُوه فغلبوه: ألم أقل لكم من ذي قبل هلاّ تسبّحون الله تعالى الّذي لا يظلم مثقال ذرّةً، والّذي تكفّل لكلّ دابّةٍ في الأرض برزقها.

---

(١) الجلالين.

قالوا سبحان ربّنا جلّ وعلا الّذي تنزّه عن كلّ ظلمٍ وكلّ قبيح، واتّصف بكلّ كمالٍ وجلالٍ وجمال. إنّا كنّا ظالمين لأنفسنا وللفقراء فحرمنا أنفسنا الثّواب، وخسرنا جنّتنا، ومنَعْنا الفقراء والمساكين حقّهم. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتبادلون التُّهَم. قالوا يا ويلنا ويا هلاكنا إنّا كنّا طاغين باغين بالامتناع عن دفع الزّكاة الّتي فرضها الله تعالى علينا حقّاً للمستحقّين. عسى ربّنا جلّ وعلا أن يبدلنا جنّةً خيراً من جنّتنا، إنّا إلى ربّنا عزّ وجلّ راغبون وآيبون، ولذنوبنا مستغفرون، ومنها تائبون.

في مثل ذلك العذاب الّذي أخذنا به أصحاب الجنّة نأخذ المصرّين على كفرهم وتكذيبهم مثل كفّار قريش. ولَعَذابُ الآخرة أكبر. لو كانوا يعلمون ذلك ما خالفوا أمرنا ولا كذّبوا رسولنا وكتابنا، وما كانوا من أصحاب الجحيم.

(٣)

((لا يستوى المتّقون أَصْحابُ الجنّة والمجرمون أَصْحابُ النّار))

الآيات (٣٤-٤٣)

إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

كالمجرمين: الّذين اكتسبوا المآثم وركبوا المعاصى وخالفوا أمري ونَهْيِي[1]

ما لكم كيف تحكمون: هذا الحكم الفاسد[2]

أم لكم كتابٌ فيه تدرسون: أم لكم كتابٌ نزل من عند الله أتاكم به رسولٌ من رسله فأنتم تدرسون فيه ما تقولون[3]وتقرأون[4]

إنّ لكم فيه لما تخيّرون: تختارون[5] من الأمور لأنفسكم[6]

أم لكم أيمان: أمعكم عهودٌ منّا ومواثيق مؤكّدة[7]

إنّ لكم لما تحكمون: جواب القسم لأنّ معنى: ﴿ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا ﴾ أم أقسمنا لكم [8]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٣/٢٩.

(٢) الجلالين.

(٣) تفسير الطّبري ٢٣/٢٩.

(٤) الجلالين.

(٥) الجلالين.

(٦) تفسير الطّبري ٢٣/٢٩.

(٧) تفسير ابن كثير ٢٢٤/٨ وانظر تفسير الطّبري ٢٣/٢٩ والجلالين.

(٨) الكشّاف ٢٦٠/٣.

سلهم أيّهم بذلك زعيم: سل يامحمّد هؤلاء المشركين أيّهم بأنّ لهم علينا أيماناً بالغةً بحكمهم إلى يوم القيامة زعيم وكفيل به. والزّعيم عند العرب الضّامن والمتكلّم عن القوم[1]

أم لهم شركاء: من الأصنام والأنداد[2]

بعد حديث السّورة الكريمة عن جنّة المانعين للمساكين حقّهم الّذي فرضه الله تعالى لهم في زكاة الثّمار واحتراق تلك الجنّة يأتي الحديث عن جنّات النّعيم يوم القيامة. إنّ للمتّقين عند ربّهم في الآخرة جنّات النّعيم المقيم. أفنجعل المسلمين لله تعالى ربّ العالمين كالمجرمين المشركين المكذّبين ! مالكم أيّها الكافرون كيف تحكمون بأنّ المسلمين والمجرمين سواء. إنّ للمسلمين جنّات النّعيم. وإنّ للمجرمين نار الجحيم.

أم لكم أيّها الكافرون كتابٌ سمّاويٌّ موحىً به من ربّ العالمين لواحدٍ من المرسلين، فيه تدرسون هذا الحكم وفيه تقرأون: إنّ الله تعالى يسوّى يوم القيامة بين المسلمين والكافرين، وإنّ لكم في هذا الكتاب لما تختارون وتشتهون من أحكام.

أم لكم أيّها الكافرون أيمانٌ مؤكّدة وعهودٌ موثّقة علينا، بالغةٌ بتلك الأحكام إلى يوم القيامة، فنحن أقسمنا لكم إنّ لكم لما تحكمون وتختارون وتشتهون من تلك الأحكام.

سلهم يا محمّد أيّهم زعيمٌ وكفيلٌ بأنّ لهم علينا أحكاماً مؤكّدةً بالغةً إلى يوم القيامة فليأتوا بذلك الزّعيم والكفيل.

أم لهم شركاء من الأصنام والأوثان تقول بذلك فليأتوا بها كي تُدْلِيَ بأباطيلها، إن كانوا صادقين فيما يقولون ويزعمون.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٣/٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٢٤/٨.

يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

يوم يكشف عن ساق: قال جماعةٌ من الصّحابة والتّابعين من أهل التّأويل: يبدو عن أمرٍ شديد[١] عن ابن عبّاس: هو الأمر الشّديد المفظع من الهول يوم القيامة[٢] وقال قتادة:عن أمرٍ فظيع جليل[٣] وكان ابن عبّاسٍ يقول: كان أهل الجاهليّة يقولون: شمّرت الحرب عن ساق[٤] رَوَى البخاريّ[٥]عن أبي سعيدٍ ﷺ قال: سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: يكشف ربّنا عن ساقه فيسجد له كلّ مؤمنٍ ومؤمنة. ويبقى من كان يسجد في الدّنيا رياءً وسُمْعة. فيذهب ليسجد فيعود ظهره طَبَقاً واحدا[٦]

خاشعةً أبصارهم: ذليلةً أبصارهم لا يرفعونها[٧]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٤/٢٩.

(٢) تفسير الطّبري ٢٤/٢٩.

(٣) تفسير الطّبري ٢٤/٢٩.

(٤) تفسير الطّبري ٢٤/٢٩.

(٥) فتح الباري ٦٦٣/٨ حديث رقم ٤٩١٩و ٤٢١/١٣ حديث رقم ٧٤٣٩ وانظر صحيح مسلم ١/ ١٦٨حديث رقم ١٨٣.

(٦) الطّبق فقار الظّهر، أي صار فقارةً واحدةً كالصّفيحة، فلا يقدر على السّجود لله تعالى. صحيح مسلم ١/ ١٦٩ هامش رقم ١.

(٧) الجلالين.

ترهقهم ذلّة: تغشاهم ذلّةٌ من عذاب الله[1]

وقد كانوا يدعون إلى السّجود وهم سالمون: وقد كانوا في الدّنيا يدعونهم إلى السّجود له وهم سالمون لا يمنعهم من ذلك مانعٌ ولا يحول بينهم وبينه حائل. وقد قيل: السّجود في هذا الموضع الصّلاة المكتوبة[2]

اذكر يوم يكشف عن ساقٍ يوم القيامة دليل الأمر الشّديد، والحال الفظيع، والموقف العصيب، ويُدْعَى المشركون والمنافقون إلى السّجود فلا يستطيعون[3] لأنّ فَقار الظّهر يصير فَقارَةً واحدةً والعياذ بالله. ذليلةً أبصارهم لا يرفعونها، تغشاهم ذلّةٌ من عذاب الله تعالى. وقد كانوا في الحياة الدّنيا يُدْعَوْن إلى السّجود وهم سالمون، وإلى أداء الصّلاة المكتوبة، باعتبار الصّلاة عمود الدّين، والسّجود أهمّ هيئات المصلّى في الخشوع لله تعالى والدّلالة على القرب منه عزّوجلّ. لقد كانوا لا يصلّون ولا يسجدون.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٧/٢٩.

(٢) تفسير الطّبري ٢٧/٢٩.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢٢٥/٨و ٢٢٦.

(٤)

((اِصبر يا محمّد لِحُكْمِ ربّك في المكذّبين لك وللقرآن الكريم، ولا تكن في نفاد الصّبر كصاحب الحوت))

الآيات (٤٢-٥٢)

فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

فذرني: دعني[1]

سنستدرجهم: نأخذهم قليلاً قليلاً[2]

وأملي لهم: وأمهلهم[3]

فذرني يا محمّد ومن يكذّب بهذا الكتاب العزيز والقرآن المجيد فإنّي سوف آخذه أخذ عزيزٍ مقتدر. إنّا سوف نستدرجهم، ونأخذهم قليلاً قليلاً، ونمكربهم من حيث لا يشعرون، ونأخذهم أخذاً وبيلاً، ونمهلهم حتّى يظنّوا الإمهال إهمالاً، وننسأ لهم في الأَجَل، ونطيل لهم في الأَمَل، ثمّ نأخذهم بغتة، ونهلكهم فجأة. إنّ كيدي متين، ومكري قويّ، وأخذي شديد.

رَوَى الإمام مسلم[4] عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّ الله عزّوجل يُمْلِي للظّالم، فإذا أخذه لم يُفْلِته. ثمّ قرأ[5]: ﴿ وكذلك أخذ ربّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة. إنّ أخذه أليمٌ شديد ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٦/٨ والجلالين.

(٢) الجلالين.

(٣) الجلالين.

(٤) ٤/ ١٩٩٧ حديث رقم ٢٥٨٣.

(٥) سورة هود ١٠٢.

أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾
أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾

هاتان هما الآيتان الكريمتان الأربعون والحادية والأربعون من سورة الطّور المكّيّة الكريمة.

أم أنّك يا محمّد تسأل قومك أجراً أرهقهم وألحق بهم الضّرر مقابل دعوتك لهم إلى صراط الله تعالى العزيز الحميد. ولكنّك يا محمّد لا تسألهم شيئاً أصلاً. أم أنّ المشركين عندهم شيءٌ من علم الغيب كالبعث وأمور الآخرة فهم يكتبون ذلك حتّى يتمكّنوا من منازعتك يا محمّد ومغالبتك. إنّهم ليس عندهم شيءٌ من علم الغيب.

فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾

ولا تكن كصاحب الحوت: يعنى ذا النّون وهو يونس بن مَتَّى صلّى الله عليه وسلّم[١]

والنّون: الحوت العظيم. وسمّي يونس ذا النّون في قوله[٢]: ﴿ و ذا النّون ﴾ لأنّ النّون كان قد الْتَقَمَه[٣] والمعروف أنّ النّون هو الحرف المعروف، وقد ابتدأت هذه السّورة الكريمة بهذا الحرف ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾

إذ نادى وهو مكظوم: إذ نادى في بطن الحوت وهو مغموم[٤]

لولا أن تداركه: أدركه[٥]وقد جاء الفعل مذكّراً وهو جائز، لأنّ الفاعل مؤنّث مجازيّ[٦]

نعمة من ربّه: فرحمه بها وتاب عليه من مغاضبته ربّه[٧]

لنبذ: النّبذ إلقاء الشّيء وطرحه لقلّة الاعتداد به[٨]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢٢٦/٨.
(٢) سورة الأنبياء ٨٧.
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "نون" ٦٦٠/٢.
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢٢٦/٨.
(٥) الجلالين.
(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٤١/١٣.
(٧) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩.
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "نبذ"٦٢١/٢.

بالعراء: بالفضاء من الأرض[١]

وهو مذموم: لكنّه رحم فنبذ غير مذموم[٢]

فاجتباه ربّه: فاصطفاه واختاره لنبوّته[٣]

فجعله من الصّالحين: من المرسلين العاملين بما أمرهم به ربّهم، المنتهين عمَّا نهاهم عنه[٤]

فاصبر يا محمّد لحكم ربّك في قومك بما يشاء وعلى أذاهم وزعمهم أنّك مجنون، ولا تكن يا محمّد في نفاد الصّبر والغضب على القوم المكذّبين كصاحب الحوت وذى النّون، وهو يونس بن مَتَّى عليه الصّلاة والسّلام[٥] لقد نفد صبر يونس عليه السّلام وغادر قومه دون إذنٍ من مولاه عزّوجلّ، وأنذرهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث، ولكنّ الله تعالى رحمهم فكشف عنهم العذاب على نحو ما تبيّن في الآية الكريمة الثّامنة والتّسعين من سورة يونس عليه السّلام. أمّا يونس عليه السّلام الّذى اتّجه إلى السّاحل وركب سفينة فإنّ البحر قد هاج ولزم التّخلّص من بعض الرّكاب بالقرعة بإلقائه في الماء كي تخفّ حمولة السّفينة. فوقعت القرعة على يونس عليه السّلام الّذى ألقي في الماء فابتلعه الحوت فدعا ربّه بصدقٍ وإخلاص في ظلمات بطن الحوت والبحر واللّيل فنجّاه الله تعالى من الغمّ فقذف به الحوت إلى السّاحل، وعافاه الله تعالى، وأرسله إلى مائة ألفٍ أو يزيدون، فآمنوا فمتَّعهم الله تعالى إلى حينٍ، ثمّ قبضهم إلى جواره.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩.

(٢) الجلالين.

(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩.

(٤) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩.

(٥) ترجمته في تهذيب الأسماء واللّغات ١٦٧/٢.

لقد نادى يونس عليه السّلام ربّه عزّوجلّ وهو ممتلىءٌ غمّاً في بطن الحوت. لولا أن أدركته نعمة ربّه عزّوجلّ لمات في بطن الحوت ولألقي بالأرض الفضاء بالسّاحل وهو مذنبٌ وآتٍ بما يلام عليه. فاصطفاه ربّه جّل وعلا فجعله من الصّالحين المرسلين العاملين بما أمرهم الله تعالى بعمله، المنتهين عمّا نهاهم الله تعالى عنه.

والمعروف أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم قد صبر كما صبر أولو العزم من الرّسل، فقد كان أحد هؤلاء، بل كان زعيم أولى العزم من الرّسل وهم نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد، عليهم أجمعين، صلوات ربّ العالمين وسلامه.

وممّا جاء عن يونس عليه السّلام قوله تعالى في سورة الأنبياء[1]: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ[2] فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ وجاء كذلك في سورة الصّافّات[3] قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾

---

(١) الآية ٨٧ و٨٨.

(٢) فظنّ أن لن نعاقبه بالتّضييق عليه.

(٣) الآيات ١٣٩-١٤٨.

(٤) مليم: آياتٍ بما يلام عليه.

(٥) اليقطين: ما لاساق له من النّبات وغلب على القَرْع.

وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢

وإن يكاد: الواو استئنافية. إن مخفّفة من الثّقيلة واجبة الإهمال[١]

ليزلقونك بأبصارهم: اللّام هي الفارقة بين إن المخفّفة من الثّقيلة والنّافية[٢]

يزلقونك: يرمونك بأبصارهم[٣]ويحسدونك لبغضهم إيّاك لولا وقاية الله لك وحمايته إيّاك منهم[٤] وينظرون إليك نظراً شديداً يكاد يصرعك ويسقطك من مكانك[٥]

وإنّ الّذين كفرا لمّا سمعوا القرآن الكريم ترتّله أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ليكادون بباعث الحسد والبغض لك حينما يرمونك بأبصارهم، ليكادون يصرعونك ويسقطونك من مكانك لولا لطف الله تعالى بك وحمايته لك. ويقول الّذين كفروا إنّ هذا الّذى نُزّل عليه الذّكر لمجنون. وما القرآن الكريم إلاّ ذكرٌ للعالمين، وموعظةٌ للجنّ والإنس. ويلاحظ أنّ نفي الحقّ جلّ وعلا الجنون عن حبيبه صلّى الله عليه وسلّم يجيء في آخر السّورة الكريمة كما يجيء في أوّلها.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/٤١.
(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/٤٢.
(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٢٩.
(٤) تفسير ابن كثير٨/٢٢٧.
(٥) انظر الجلالين.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة القلم من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مقبل الهجرة[١]

٢.عدد آيات السّورة الكريمة اثنتان وخمسون آية.وعدد كلماتها ثلاثمائة كلمة. وعدد حروفها ألفٌ وأربعمائة وستّةٌ وخمسون حرفاً[٢]

٣.سمّيت السّورة الكريمة سورة القَلَم لمجيء لفظ القلم في الآية الكريمة الأولى. قال تعالى:﴿ن ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ وهذا أوّل قَسَمٍ في القرآن الكريم، لأنّ هذه السّورة الكريمة ثاني سور القرآن الكريم نزولاً[٣] وفي القَسَمِ بالقَلَم الّذى يُكْتبُ به دليلٌ على الحفاوة الكبيرة لدين الإسلام العظيم بالعِلْم. ولا ننسى أنّ الآيات الكريمات الخَمْسَ الأُوَل من سورة العَلَق، وهي أوّل ما نزل من القرآن الكريم[٤]تُعْنَى عنايةً بالغةً بالقراءة والقَلَم والعِلْم. والمعروف أنّ دين الإسلام العظيم هو دين العِلْم، إذ لم يُعْنَ أيّ دينٍ آخر بالعِلْم كما عُنِي الإسلام.

---

(١) انظر الإتقان ٤٢/١ والجلالين وتفسير ابن كثير٨/ ٤١٠ وظلال القرآن ٣٦٤٩ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢/٢٩ والكشّاف٢٥٦/٣ والمحرّر الوجيز ٧٣/١٦ والبحر المحيط٣٠٤/٨ وتفسير القرطبي ٦٧٠١.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢/٢٩.

(٣) الإتقان ٤٢/١.

(٤) الإتقان ٤٢/١.

٤.شأن سورة القلم المكّيّة شأن المكّيّ من القرآن الكريم الّذى يُعْنَى بأسس العقيدة، من توحيدٍ لله تعالى، وإيمان باليوم الآخر، وتصديقٍ للرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وللقرآن الكريم، وغلبةٍ لطابع الإنذار على التّبشير، وتهديدٍ للكافرين، وتسليةٍ للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين، وحثّ له عليه الصّلاة والسّلام على الصّبر. وحظّ التّسلية وتثبيت فؤاده عليه الصّلاة والسّلام في السّورة الكريمة كبير. ولا نَنْسَى أنّ السّورة الكريمة من أوّل ما نزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من قرآنٍ مجيد.

٥.جاء في السّورة الكريمة في معرض الثّناء عليه صلّى الله عليه وسلّم في الآية الكريمة الرّابعة قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿وإنّك لعلى خلقٍ عظيم﴾ وقد كان خلق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم القرآن الكريم. والآية الكريمة ركنٌ متينٌ في كون المصطفى صلّى الله عليه وسلّم هو الأسوة الحسنة للمسلمين على نحو ما بيّنت الآية الكريمة الحادية والعشرون من سورة الأحزاب المدنيّة الكريمة في قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾

٦.سورة القَلَم آخر السّور التّسع والعشرين الّتى تبدأ بالحروف المقطّعة. قال تعالى: ﴿ن ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[١] علماً بأنّ كلّ السّور التّسع والعشرين تنتصر للقرآن الكريم على الفور أو التّراخى. وفي سورة القلم حديثٌ عن القرآن الكريم في أكثر من موضع[٢] وإنّ اتّهام كفّار قريش له صلّى الله عليه وسلّم بالجنون إنّما كان بسبب تلاوة القرآن الكريم الّذي يدعو للطّريقة الّتى هي أقوم.

---

(١) تأمّلات في سورة البقرة ٢٢.

(٢) انظر تأمّلات في سورة البقرة ١٩-٢٢.

٧.لا يكاد يوجد في القرآن الكريم مِثْلُ هذا الحشد للصّفات السّيّئة في حقّ واحدٍ من الكافرين أو جماعة. جاء في الآيات الكريمات من العاشرة حتّى السّادسة عشرة، قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦ ﴾.

٨.عُبِّر عن شدّة أهوال يوم القيامة بالكشف علن السّاق. وهذا تعبيرٌ عربيٌّ معروفٌ ومشهور. وطُلِب من الكافرين السّجود للرّحمن الرّحيم في ذلك اليوم العظيم فلم يستطيعوا. والسّجود أكبر مظاهر الطّاعة. إنّ الكافرين لم يسجدوا في الحياة الدّنيا وكانوا قادرين عليه، ولم يسجدوا يوم القيامة لأنّهم كانوا محرومين منه. جاء في الآيتين الكريمتين الثّانية والأربعين والثّالثة والأربعين قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ۝٤٣ ﴾

٩.جاء في الآية الكريمة الرّابعة والأربعين النّصّ على استدراج الحقّ جلّ وعلا للكافرين على سبيل المكر بهم والكيد لهم، قال تعالى: ﴿ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٤ ﴾ ومعنى الاستدراج الانتقال من درجةٍ إلى درجة. ولا يكاد العجب ينتهي من بعد مرامي الاستدراج في الآية الكريمة. ونحن هنا أمام مظهرٍ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في مجال تفجير عبقرّية اللّغة العربيّة. وتفسير ذلك أنّ من مظاهر عبقريّة هذه اللّغة الشّريفة أنّها في العديد من الحالات تعبّر اللّفظة فيها عن المعنى وعن الاتّجاه. ونحن هنا أمام إحدى تلك الحالات. إنّ لدينا سلَّما يُصْعَدُ عليه

ويُنْزَل منه. إنّا في حال الصّعود نقول: إنّا نصعد دَرَجات السّلّم. وإنّا في حال النّزول نقول: إنّا ننزل دَرَكات السّلّم، إنّ الدّرجات تستعمل في الصُّعود والمفرد درجة. ويُعَبَّر بها عن المنزلة الرّفيعة[1] والدّرَك والدّرْك اسم مصدر من الإدراك، وأسفل كلّ شيء ذى عمق، كالبئر والطَّبَق من أطباق جهنّم[2] وهكذا يكون الدَّرَك كالدَّرّج. لكن الدّرج يقال اعتباراً بالصّعود. والدّرك اعتباراً بالحدور. ولهذا قيل: درجات الجنّة ودركات النّار[3]

١٠. في السّورة الكريمة أسئلةٌ كثيرةٌ تُطْرَحُ على الكافرين مباشرةً أو بواسطة الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم المأمور بطرحها على سبيل الإنكار والتّوبيخ. ولا أجوبة على هذه الأسئلة.

١١. عُبِّر عن يونس عليه الصّلاة والسّلام الّذى نَفِدَ صبره وترك قومه دون إذنٍ من ربّه عزّوجلّ بأنّه صاحب الحوت. ومثل هذا التّعبير من الخلق العظيم للقرآن الكريم، وهو الخلق الّذى أفاده المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من القرآن الكريم واتّصف به.

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "درج"١/٢٢٢.
(٢) المعجم الوسيط: "درك".
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "درك"١/٢٢٣.

١٢. لا يكاد العجب ينتهى من إصرار الكافرين على وصف المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بالجنون لأنّه يرتّل الذّكر الحكيم الّذى أوحاه الله تعالى إليه.

١٣.الآيتان الكريمتان السّادسة والأربعون والسّابعة والأربعون هما الآيتان الكريمتان الأربعون والحادية والأربعون من سورة الطّور المكّيّة الكريمة.

١٤.في سبيل تبيين التّرابط العُضْوِيّ للسّورة الكريمة وأَخْذ قضاياها برقاب بعضٍ نستطيع أن نقول بإيجاز: إنّ السّورة الكريمة الّتى تبدأ بالحرف المقطع: ﴿ ن ﴾ تنتصر للقرآن الكريم جرياً على عادة كلّ السّور الكريمة الّتى تبدأ بهذه الحروف المقطّعة، كما تنتصر للرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وتصف الكافرين، جماعاتٍ وأفرادا، بأبشع الصّفات. وكما اختبر الله تعالى كفّار مكّة بنقص الثّمرات ابتلى أصحاب الجنّة الّذين صمّموا على حرمان المساكين حقّهم في ثمر جنّتهم فجعلها الله تعالى سوداء كاللّيل البهيم، بسبب النّار الّتى أَتَتْ عليها ليلاً. وإنّ الحديث عن القحط الّذى أصاب كفّار مكة، واحتراق الحديقة، رشّح للحديث عن جنان النّعيم للمتقين، الّذى رشّح بدوره للحديث عن المجرمين أصحاب الجحيم، وعن يوم القيامة المهيب. ثمّ كانت عودة لتهديد الحقّ جلّ وعلا الكافرين المكذّبين للقرآن الكريم، وكان حثٌّ للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم على الصّبر عموماً، وعلى اتّهامهم له صلّى الله عليه وسلّم بالجنون لتلاوة القرآن الكريم خصوصاً، وكان نَهيٌ له عليه الصّلاة والسّلام عن أن يكون كصاحب الحوت في نفاد الصّبر. ولا يخفى أنّ السّورة الكريمة من أوّل ما نزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من قرآنٍ مجيد.

إنّ هذه المرحلة المبكّرة في تاريخ الدّعوة الإسلاميّة استدعت في السّورة الكريمة كلّ هذه الحفاوة به عليه الصّلاة والسّلام في مجال التّسلية وتثبيت الفؤاد.

وصلّى الله عليه وسلّم علي سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الاثنين ١٤٢٣/١١/٢٤هـ
الموافق ٢٠٠٣/١/٢٧م

ثالثاً
سورة الحاقّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ
﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ
﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن
قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾
إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ
﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً
وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾
وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ
تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ
ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى
جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ
ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ
أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ
عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا

سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَحُضُّ عَلَىٰ
طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ
﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ
كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ
ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم
مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم
مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ
رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((أهلك الله تعالى الطّغاة الّذين عَصَوْا رسل ربّهم جلّ وعلا))

الآيات (١-١٢)

السّاعة الّتى تُعْطِى كلّ ذى حقّ حقّه إذا قامت، من الثّواب والعقاب، الجَنّة والنّار، ما تلك السّاعة!وما أدراك يا محمّد ويأيّها المخاطَبُ ما تلك السّاعة! كذّبت ثمود قوم صالحٍ عليه الصّلاة والسّلام، وعادٌ قوم هودٍ عليه الصّلاة والسّلام، بالسّاعة الّتى تَقْرَعُ الأفئدةَ بأهوالها. فامّا ثمود فأهلكوا بالصّيحة الّتى تجاوزت وفاقت مقادير الصِّياح. وأمّا عادٌ فأهلكوا بريح شديدة البرد والصّوت. سلّطها الله تعالى عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيّامٍ متتابعات، فترى القوم فيها مَوْتَى كأنّهم أصول نخلٍ خاويةٍ بالية. فهل ترى لهم أيّها المخاطبُ من نفسٍ باقية. وجاء فرعون مصر ومَنْ سَبَقَهُ من المكذّبين الكافرين وقُرَى قومِ لوطٍ الّتى قُلِبَتْ رأساً على عقب بالخطيئة المتعمّدة من كفرٍ ومعصية. لقد عَصَوْا رسل ربّهم عزّوجل فأخذهم أخذةً زائدة على الأَخَذات. إنّا لمّا طغى الماء زمن نوحٍ عليه السّلام حملناكم أيّها المخاطبون وأنتم في أصلاب آبائكم في السّفينة الّتى تجرى في الماء. لنجعل تلك النّعمة، ونعمة الحمل فوق الماء موعظةً ولِتَعِيَها أذنٌ واعية ولتحفظها أذن سمعت وعَقِلَتْ ما سَمِعَتْ.

وهكذا كان إهلاك الله تعالى تلك الأمم بسبب تكذيبها رسل الله تعالى إليها وإنكار البعث والحساب والجزاء.

(٢)

((بعض ملابسات يوم القيامة، وثَوابُ من أُوتِيَ كتابه بيمينه، وعِقابُ من أُوتِيَ كتابه بِشمِاله))

الآيات (١٣-٣٧)

فإذا نَفَخَ إسرافيل عليه السّلام في الصّور الّذى يشبه البوق نفخةً واحدةً إيذاناً بقيام السّاعة، وحُمِلَتِ الأرض والجبال فدقّتا دقّةً واحدةً وزلزلتا زلزلةً واحدة. فيومئذٍ وقعت الواقعة وقامت القيامة. وانشقّت السّماء فهي ضعيفة. والملائكة على أطراف السّماء ونواحيها. ويَحْمِلُ عرش ربّك فوقهم يوم القيامة ثمانية صفوفٍ من الملائكة، أو ثمانيةٌ من الملائكة. في ذلك اليوم تُعْرَضون على مالك الملك لا تَخْفَى منكم خافيةٌ من السّرائر.

فأمّا من أُعْطِي كتاب أعماله بيمينه فيقول خذوا كتابي فاقرأوه. إنّ أيقنت في الدّنيا أنّى ملاقٍ حسابي في الآخرة. فهو في عيشةٍ مَرْضِيَّة. في جنّة عالية السَّنا والسّناء. ثمارها قريبة التّناول.تقول لهم الملائكة: كلوا هنيئاً، واشربوا مريئاً، بما قدّمتم في الأيّام الماضية في الدّنيا من أعمالٍ صالحة.

وأمّا من أعطي كتاب أعماله بشماله فيقول ياليتني لم أُعْطَ كتاب أعمالي. ولم أدر ما حسابى وجزائى. ياليت الموتة في الدّنيا كانت القاطعة لحياتي. ما أغنى عنّى مالي الكثير. وهلك عَنِّي جاهي العريض. ويقال لملائكة العذاب: خذوه أخذاً شديداً، فضعوا الغُلَّ في يديه وعنقه. ثمّ نار جهنّم أدخلوه. ثمّ في سلسلة طولها سبعون ذراعاً فأدخلوه فيها ولفّوها عليه. إنّه كان لا يؤمن بالله تعالى العظيم. ولا يحضّ الآخرين على إطعام المسكين بعد أن

امتنع هو نفسه عن إطعام المسكين. فليس له اليوم صديق ولا قريبٌ مشفقٌ ويحترق قلبه عليه. ولا طعامٌ إلاّ من صديد أهل النّار. لا يأكله إلاّ المرتكبون الخطأ عمداً وعن سبق إصرار.

(٣)

((الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ليس شاعراً ولا كاهنا، والقرآن الكريم حقّ اليقين))

الآيات (٣٨-٥٢)

فلا أقسم بما تبصرون أيّها المخاطبون من عالم الشّهادة، ومالا تبصرون من عالم الغيب، لأنّه ليس ثمّة من حاجةٍ للقَسَم أصلا. إنّ القرآن الكريم لقول رسولٍ من البشر كريمٍ، يبلّغ عن ربّه عزّوجلّ ما أَوْحَى الله تعالى به إليه بواسطة رسولٍ من الملائكة كريم، هو جبريل عليه السّلام. وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون يا كفّار مكّة. وما هو بقول كاهنٍ يتكهَّن بالمستقبل ويقول سجع الكهّان، قليلاً ما تذكّرُون وتتّعظون يا كفّار مكّة. هو تنزيل من ربّ العالمين.

ولو تقوّل علينا محمّدٌ بعض الأقاويل الّتى لم نَقُلْها وادّعى أنّا قلناها، لَأَخَذْ منه بالقوّة وبالقدرة. ثمّ لقطعنا منه العِرْقَ الّذى القلب معلّقٌ به فيموت، فما منكم يا كفّار مكّة من أحدٍ عنه حاجزين ومانعين أَخْذَنا وقَتْلَنا له.

وإنّ القرآن الكريم لَمَوْعِظَةٌ للمتّقين، وإنّا لنعَلمُ أنّ منكم ياكفّار مكّة مكذّبين. وإنّه لحسرةٌ على الكافرين يوم القيامة. وإنّه لحقّ اليقين وعين اليقين. فسبّح يا محمّد ويا مسلم بالله تعالى ربّ العالمين ولا يَفْتُرْ لِسانُك عن قول: سبحان ربّي العظيم.

التَّفْسِير

(١)

((أهلك الله تعالى الطّغاة الّذين عَصَوْا رسل ربّهم جلّ وعلا))

الآيات (١-١٢)

ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣

الحاقّة: من أسماء يوم القيامة[١]السّاعة الّتى تَحِقّ فيها الأمور، ويجب فيها الجزاء على الأعمال[٢]

ما الحاقّة: تعظيمٌ لشأنها[٣]أيّ شيءٍ السّاعة الحاقّة[٤]

وما أدراك ما الحاقّة: وما أعلمك ما الحاقّة. زيادة تعظيمٍ لشأنها[٥]يقول تعالى ذكره لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم: وأيّ شيءٍ أدراك وعرّفك أيّ شيءٍ الحاقّة[٦] عن سفيان قال: ما في القرآن: ﴿ وما يدريك ﴾فلم يخبره.وما كان: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ فقد أخبره[٧]

السّاعة المعطية كلّ ذى حقّ حقّه من ثوابٍ أو عقابٍ، في الجنّة أو النّار، وَفْقَ عمله في الحياة الدّنيا من خيرٍ أوشرّ[٨]ما السّاعة الّتى تلك صفتها؟ وما أدراك يا محمّد ما السّاعة الّتى تلك صفتها؟ قال ابن عبّاس: الحاقّة من أسماء يوم القيامة، عظّمه الله وحذّره عباده[٩]

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/٢٣٥.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٣٠.
(٣)الجلالين.
(٤) تفسير الطّبري ٢٩/٣٠.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٣١.
(٧) تفسير الطّبري ٢٩/٣١.
(٨) تأمّلات في سورة الحاقّة ٢٢.
(٩) تفسير الطّبري ٢٩/٣٠.

كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦

سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨

كذّبت ثمود وعادٌ بالقارعة: كذّبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود، بالسّاعة التي تقرع قلوب العباد فيها بهجومها عليهم. والقارعة أيضاً اسمٌ من أسماء يوم القيامة[١]

بالطّاغية: بالصَّيْحَة الّتي قد جاوزت مقادير الصِّياح وطغت عليها[٢]قال تعالى[٣]:

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ [٤] ۝٣١ ﴾

صرصر: شديدة الصّوت[٥] باردة[٦]وهذه اللّفظة تدلّ على شديد البرد جدّا، وعلى أشدّ الصّوت والصّياح[٧]

عاتية: قويّة شديدة على عاد مع قوّتهم وشدّتهم[٨]

سخّرها عليهم: سلّطها عليهم[٩]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٣١.

(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٣١.

(٣) سورة القمر ٣١.

(٤) المحتظر: هو الّذي يجعل لغنمه حظيرةً من يابس الشّجر والشّوك يحفظهنّ فيها من الذّئاب والسّباع. وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم. الجلالين

(٥) الجلالين.

(٦) تفسير ابن كثير ٨/٢٣٥.

(٧) تأمّلات في سورة الحاقّة ٣٧ وانظر لسان العرب: "صرر"

(٨) الجلالين.

(٩) تفسير ابن كثير ٨/٢٣٦.

حسوماً: متتابعات: شبّهت بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكيّ على الدّاء كرّةً بعد أخرى حتّى ينحسم[١]

صرعى: هلكى، الواحد صريع[٢]ومَوْتَى[٣]

كأنّهم أعجاز نخل: كأنّهم أصول نخل [٤]

خاوية: قد خوت[٥]فهي ساقطة فارغة[٦] بالية[٧]أي جعلت الرّيح تضرب بأحدهم الأرض فيخرّ ميتاً على أمّ رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثّته هامدةً كأنّها قائمة النّخلة إذا خرّت بلا أغصان[٨]

فهل ترى لهم من باقية: فهل ترى لهم من نفس باقية أو من بقيّة[٩]رَوَى البخاريّ في صحيحه[١٠]عن ابن عبّاسٍ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: نُصرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبور[١١]

---

(١) الجلالين وتفسير الطّبري ٣٢/٢٩و ٣٣.
(٢) البحر المحيط ٣١٩/٨.
(٣) تفسير القرطبي ٦٧٤٠.
(٤) تفسير الطّبري ٣٣/٢٩.
(٥) تفسير الطّبري ٣٣/٢٩.
(٦) الجلالين.
(٧) تفسير القرطبي ٦٧٤٠ وتفسير ابن كثير ٢٣٦/٨.
(٨)تفسير ابن كثير ٢٣٦/٨.
(٩) انظر تفسير القرطبي ٦٧٤٠ وتفسير الطّبري ٣٣/٢٩ والجلالين والبحر المحيط ٣٢١/٨.
(١٠) فتح الباري ٥٢٠/٢ حديث رقم ١٠٣٥.
(١١) الصبّا، بفتح المهملة بعدها موحَّدة مقصورة يقال لها القَبول بفتح القاف لأنّها تقابل باب الكعبة، إذ مهبّها من مشرق الشمس.وضّدها الدَّبور. ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول، وكون الدّبور أهلكت أهل الإدبار. فتح الباري ٥٢١/٢.

كذّبت ثمود قوم صالح عليه السّلام وعادٌ قوم هودٍ عليه السّلام بالسّاعة الّتى تقرع القلوب بأهوالها. فأمّا ثمود، وكانوا يسكنون شماليّ الجزيرة العربيّة، فأُهْلِكُوا بالصّيحة الّتى فاقت في الشّدّة كلّ صيحة. وأما عادٌ وكانوا يسكنون جنوبيّ الجزيرة العربيّة، فأُهْلِكُوا

بريحٍ شديدة البرودة والصّوت، غايةٍ في القوّة والشّدّة. سلّطها الله تعالى عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيّام متتابعات موصولات، فترى يا محمّد ويا أيّها المخاطب القوم في تلك اللّيالي والأيّام هلكى وموتى كأنّهم وقد حملتهم الرّيح وأَلْقَتْ بهم على رءوسهم أصول نخلٍ خاويةٍ وخاليةٍ وبالية. فهل ترى يا محمّد ويا أيها المخاطب وهل تبصر لهم من نفسٍ واحدةٍ باقية !

ويلاحظ أنّ ثمود المتأخّرة زمناً تأتى متقدّمةً في الذّكر في السّورة الكريمة على غير المعتاد في القرآن الكريم. وسوف نتبيّن أنّ الأمم المذكورة في السّورة الكريمة لاحقاً يراعى فيها العودة إلى الماضي دائماً.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾

ومن قَبْلَه: ومن تقدّمه من الأمم الكافرة[1]

والمؤتفكات: والقرى الّتى انتفكت بأهلها فصار عاليها سافلها[٢]وهي قرى قوم لوط[٣]

بالخاطئة: بالفعلات ذات الخطأ[٤]وكانت خطيئتها إتيانها الذّكران في أدبارهم[٥] وبالفعلة الخاطئة وهي المعصية والكفر[٦]

فأخذهم أخذةً رابية: أي عالية زائدة على الأَخَذات وعلى عذاب الأمم[٧]وزائدةً في الشّدّة على غيرها[٨]

وجاء فعلاً فرعون مصر الطّاغية، وأهل القرى الّتى انقلبت رأساً على عقب بإذن الله تعالى وهي قرى قوم لوطٍ عليه السّلام الّذين كانوا يأتون الذّكران في أدبارهم، بالفعلة الخاطئة من معصيةٍ وكفر، فأخذهم الله تعالى أخذةً زائدةً في الشّدّة على غيرها من الأَخَذات.

---

(١) الجلالين.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٣٣.
(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٣٤ والجلالين.
(٤) الجلالين.
(٥) تفسير الطّبري ٢٩/٣٣.
(٦) تفسير القرطبي ٦٧٤١.
(٧) تفسير القرطبي ٦٧٤١.
(٨) الجلالين.

إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ
حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

إنّا لمّا طغا الماء: لمّا كثر الماء فتجاوز حدّه المعروف كان له وذلك زمن الطّوفان[١]

حملناكم في الجارية: حملناكم في السّفينة الّتى تجرى في الماء[٢] وهي سفينة نوح[٣]وقيل:﴿ حَمَلْنَاكُمْ ﴾فخاطب الّذين نزل فيهم القرآن، وإنّما حَمَلَ أجدادهم نوحاً وولده، لأنّ الّذين خُوطِبُوا بذلك ولد الّذين حُمِلُوا في الجارية. فكان حَمْلُ الّذين حُمِلُوا فيها من الأجداد حَمَلاً لذرّيّتهم[٤]

لنجعلها: لنجعل السّفينة الجارية الّتى حملناكم فيها[٥]

لكم تذكرة: عبرة وموعظة تتّعظون بها[٦]

وتعيها: وتحفظها[٧]

أذنٌ واعية: قال قتادة: أذنٌ سمعت وعَقَلَتْ ما سمعت[٨]

إنّا لمّا طغى الماء على عهد نوحٍ عليه السّلام وتجاوز الماء حدّه المعروف حملناكم يا ذرّيّة نوحٍ عليه السّلام ومن معه من المؤمنين في السّفينة، وأنجيناكم من الغرق.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٣٤.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٣٥.
(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٣٥.
(٤) تفسير الطّبري ٢٩/٣٥.
(٥) تفسير الطّبري ٢٩/٣٥.
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٣٥.
(٧) الجلالين.
(٨) تفسير الطّبري ٢٩/٣٥.

إنّ في إنجاء الله تعالى الأجداد، نوحاً والّذين آمنوا معه، إنجاءً للذّرّيّة، وفيهم المخاطبون زمن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. ومن هنا صحّ خطاب الذّرّيّة في الآيتين الكريمتين. لنجعل نعمة حملكم في السفينة فوق الماء وإنجائكم من الغرق موعظةً لكم أيّها المخاطبون، ولِتَحْفَظَ هذه المَوْعِظَةَ أذنٌ تعى وتعقل ما سمعت.

وممّا جاء في نعمة الحمل في السّفينة قول الحقّ جلّ وعلا في سورة هود[١]:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾

(١) الآيات ٤٠-٤٤

(٢)

((بعض ملابسات يوم القيامة، وثَوابُ من أُوتِيَ كتابه بيمينه، وعِقابُ من أُوتِيَ كتابه بِشمِاله))

الآيات (١٣-٣٧)

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ
﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾
وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ
رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾

فإذا نفخ في الصّور نفخةٌ واحدة: الصّور مثل القرن ينفخ إسرافيل فيه فيجعل الله سبحانه ذلك سبباً لِعَوْدِ الصُّوَر والأرواح إلى أجسامها[١]نفخة: مصدر قام مقام نائب الفاعل لأنّه موصوف[٢]واحدة: لأنّ أمر الله لا يُخالَفُ ولا يُمانَع ولا يحتاج إلى تكرارٍ وتأكيد[٣]قال ابن عبّاس: هي النّفخة الأولى لقيام السّاعة، فلم يبق أحدٌ إلاّ مات[٤]

فدكّتا دكّةً واحدة: فزلزلتا زلزلةً واحدة[٥]ودُقَّتا[٦]وفُتّتا وكُسِرتا[٧]

فيومئذٍ وقعت الواقعة: فيومئذٍ وقعت الصَّيحة السّاعة وقامت القيامة[٨]

واهية: ضعيفة[٩]

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "صور" ٣٧٩/٢ وتفسير الطّبري ٣٦/٢٩.
(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٤٨/١٣.
(٣) تفسير ابن كثير ٢٣٨/٨.
(٤) تفسير القرطبي ٦٧٤٣ وانظر تفسير الطّبري ٣٦/٢٩.
(٥) تفسير الطّبري ٣٦/٢٩.
(٦) الجلالين.
(٧) تفسير القرطبي ٦٧٤٣.
(٨) تفسير الطّبري ٣٦/٢٩.
(٩) الجلالين وتفسير الطّبري ٣٦/٢٩.

والملك: والملائكة[١]

على أرجائها: على أطراف السّماء حين تَشَقَّق وحافاتها[٢]وأقطارها، ونواحيها، وجوانبها[٣]والمفرد رَجا.

ثمانية: ثمانية صفوف أو ثمانية أملاك[٤]

لا تخفى منكم خافية: من السّرائر[٥]والحديث هنا عن بعض ملابسات النّفخة الثّانية[٦]

فإذا نفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور النفخة الأولى نفخة الصَّعَق الّتى تميت الخلائق بإذن الله تعالى إلاّ من شاء ربّك، فإذا نُفخ في الصّور، وهو فيما يقال قَرْنٌ يشبه البُوق، نفخةٌ واحدةٌ لا تتكرّر بإذن الله تعالى، وحُمِلت الأرض والجبال فدكّتا دكّةً واحدةً، ودّقتا دقّةً واحدة، و زلزلتا زلزلةً واحدة، ففي ذلك اليوم قامت القيامة، وانشقّت السّماء وانفطرت فهي يومئذٍ ضعيفةٌ واهية.

وبعد نفخة الصَّعَق أو الفزع الأُولَى، تأتى نفخة البعث والنّشور، للحساب والجزاء. وبين النفختين أربعون سنةً كما جاء في الحديث[٧]إنّ المِلائكة على أرجاء السّماء ونواحيها وحافاتها. ويَحْمِلُ في ذلك اليوم المجموع له النّاس المشهود عرش ربّك يا محمّد ويا أيّها المخاطب ثمانِيةُ صفوفٍ من الملائكة، أو ثمانيةٌ من الملائكة. في ذلك اليوم تُعْرَضون للحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب، لا تخفى على الله تعالى منكم خافيةٌ واحدةٌ من السّرائر.

---

(١) الجلالين.
(٢) تفسير الطّبري ٣٦/٢٩وانظر البحر المحيط ٣٢٣/٨.
(٣) انظر تفسير القرطبي ٦٧٤٥ والجلالين.
(٤)انظر تفسير الطّبري ٣٧/٢٩ وتفسير القرطبي ٦٧٤٥.
(٥) الجلالين.
(٦) انظر هنا تأمّلات في سورة الحاقّة ٧٦ وتفسير ابن كثير٢٣٨/٨.

(٧) انظر تفسير الطّبري ٢١/٣٠.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

هاؤم اقرءوا كتابيه: هاؤم اسم فعل أمر بمعنى خذوا، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنتم. كتابيه: مفعول به، عامله اقرأوا (وهو أيضاً مفعول ﴿ هَآؤُمُ ﴾ على التنازع وقد أُضْمِرَ فيه ضمير الكتاب) منصوب وعلامة النّصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء. والياء مضافٌ إليه. والهاء هاء السّكت لا محلّ لها[١]

إنّي ظننت أنّي ملاقٍ حسابيه: إنّي عَلِمْتُ أنّي ملاقٍ حسابيه إذا وردت يوم القيامة على ربّي[٢] عن ابن عبّاس يقول: إنّي أَيْقَنْتُ[٣]عن قتادة: ظنّ ظنّاً يقيناً فنفعه الله بظنّه[٤]

راضية: مرضيّة[٥]

في جنّةٍ عالية: أي رفيعةٍ قصورها، حسانٍ حورها، نعيمةٍ دورها، دائمٍ حبورها[٦]

قطوفها: ثمارها[٧]

دانية: قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع[٨]

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٥٠/١٣.
(٢) تفسير الطّبري ٣٨/٢٩.
(٣) تفسير الطّبري ٣٨/٢٩.
(٤) تفسير الطّبري ٣٨/٢٩.
(٥) تفسير الطّبري ٣٩/٢٩.
(٦) تفسير ابن كثير ٢٤١/٨.
(٧) الجلالين.
(٨) الجلالين.

هنيئاً لكم: لا تتأذّون بما تأكلون ولا بما تشربون[١]

بما أسلفتم: على ما قدّمتم في دنياكم لأخرتكم من العمل بطاعة الله[٢]

في الأيّام الخالية: في أيّام الدّنيا الّتي خلت فمضت[٣]

فأمّا من أوتي كتاب أعماله بيمينه فكان من أصحاب اليمين أو السّابقين فيقول للفائزين أمثاله في ابتهاج: خذوا كتاب أعمالي فاقرأوه. إنّي في الحياة الدّنيا أيقنت أنّي يوم القيامة ملاقٍ حسابي. فهو في عيشةٍ مرضيّة. في جنّةٍ رفيعة السَّنا والسّناء. ثمارها قريبة التّناول، ينالها بسهولةٍ القائم والقاعد والمضطجع. ويقال لهم على لسانٍ الملائكة الأطهار: كلوا واشربوا هنيئاً لكم ومريئاً بسبب ما أسلفتم في الأيّام الخالية، وما فعلتم في الحياة الدّنيا وقدّمتم من أعمالٍ صالحة.

---

(١) تفسير الطّبري ٣٩/٢٩.

(٢) تفسير الطّبري ٣٩/٢٩.

(٣) تفسير الطّبري ٣٩/٢٩.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

ياليتها كانت القاضية: ياليت الموتة الّتى مِتُّها في الدّنيا[1]كانت القاطعة لحياتي بأن لا أبعث[2].

خذوه: يقول تعالى ذكره لملائكته من حُزّان جهنّم[3]

فغلّوه: اجمعوا يديه إلى عنقه في الغُلّ[4]

ثمّ الجحيم صلّوه: ثمّ في نار جهنّم أوردوه ليصلى فيها[5]وأدخلوه[6]واشوُوه[7]

ذرعها: بذراعِ الملك[8]

سبعون ذراعاً فاسلكوه: سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتّى تلتفّ عليه أثناؤها[9]

---

(١) تفسير الطّبري ٣٩/٢٩.
(٢) الجلالين.
(٣) تفسير الطّبري ٤٠/٢٩.
(٤) الجلالين.
(٥) تفسير الطّبري ٤٠/٢٩.
(٦) الجلالين.
(٧) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "صلا" ٣٧٣/٢.
(٨) الجلالين.
(٩) الكشّاف ٢٦٥/٣

حميم: قريب[١]مشفق[٢] يرقّ له ويدفع عنه، وصديق يرقّ ويحترق قلبه له [٣]

من غسلين: عن ابن عبّاس: صديد أهل النّار[٤]وعن قتادة: شرّ الطّعام وأخبثه وأبشعه[٥]

الخاطئون: المتعمّدون ارتكاب الخطأ[٦]

وأمّا من أوتي كتاب أعماله بشماله لأنّه من المكذّبين الضّالّين فيقول: يا ليتني لم أوت كتاب أعمالي ولم أطّلع عليه، ولم أدر ما حسابي والمآل الّذي أصير إليه. يا ليت الموتة الّتي مِتُّها في الدّنيا كانت القاطعة لحياتي فلا أُبْعث ولا أحاسب ولا أعذّب. ما أغنى عنّي يوم القيامة مالي الكثير في الدّنيا، هلك عنّي سلطاني العظيم، وجاهي العريض.

يقول الحقّ جلّ وعلا لخزنة جهنّم: خذوه أخذاً شديداً، وضعوا الغُلَّ في يديه وعنقه، ذلك الغُلَّ الّذى يشدّ بطبعه اليدين إلى العنق شدّا. ثمّ الجحيم أدخلوه وفيها اشووه. ثمّ في سلسلةٍ طولها بذراع الملك سبعون ذراعاً فاسلكوه فيها، ولفّوها عليه. إنّه استحقّ كلّ ذلك العذاب والهوان لأنّه كان لا يؤمن بالله تعالى العظيم، لا يعبده ولا يوحّده. ولا يحضّ الآخرين على إطعام المساكين، فلا يكتفى بعدم إطعامه المساكين وحرمانهم الحقّ الّذى أوجبه الله تعالى لهم في ماله. فليس له يوم القيامة في ذلك الموقف العصيب قريبٌ أو صديقٌ يحترق قلبه عليه، أويرقّ له، ولا طعامٌ إلاّ من صديد أهل النّار وأخبث طعامٍ وأبشعه. لا يأكل ذلك الطّعام إلاّ الّذين ارتكبوا أبشع الأخطاء عن عمدٍ وسبق إصرار.

---

(١) تفسير الطّبري ٤١/٢٩.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "حمّ" ١٧٢/١.

(٣) تفسير القرطبي ٦٧٥٢.

(٤) تفسير الطّبرى ٤١/٢٩.

(٥) تفسير الطّبرى ٤١/٢٩.

(٦) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني "خطأ" ٢٠١/١.

(٣)

((الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ليس شاعراً ولا كاهنا، والقرآن الكريم حقّ اليقين))

الآيات (٣٨-٥٢)

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

إنّه لقول رسولٍ كريم: هو محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم يتلوه عليهم[1]أضافه إليه على معنى التّبليغ، لأنّ الرّسول من شأنه أن يبلّغ عن المرسل[2]

قليلاً مّا تؤمنون: قليلاً مفعولٌ مطلق نائب عن المصدر فهو صفته.ما:لتأكيد القلّة[3]

فلا أقسم أيّها الخلق بما تبصرون من مخلوقات الله تعالى ممّا له عَلاقةٌ بعالم الشّهادة ، وما لا تبصرون من مخلوقات الله تعالى، ممّا له عَلاقةٌ بعالم الغيب، لأنّ القرآن الكريم المقسم عليه إن كان ثمّة قَسَمٌ ، من وضوح المميّزات والإعجاز إلى الحدّ الّذى لا يحتاج معه إلى إقسام بأنّه كلام ربّ العالمين. إنّ القرآن الكريم لَقَوْلُ رسولٍ من البشر كريمٍ أَوْحَى الله تعالى به إليه لتبليغه. والقرآن الكريم ما هو بقول شاعرٍ، والرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ما هو بشاعر. ما أقلّ إِيمانَكُمْ أيّها النّاس بهذا القرآن الكريم الّذى يختلف اختلافاً بَيِّناً عن الشّعر معنىً ومَبْنًى. والقرآن الكريم ما هو بقول كاهنٍ يتكَهَّنُ بالمستقبل. ما أقلّ تَذكُّرَكُمْ أيّها النّاس واتِعاظَكُمْ بهذا القرآن الكريم الّذى يهدى للطّرِيقة الّتى هي أقوم، والّذى يختلف اختلافاً واضحاً عن سجع الكهّان معنىً ومبنىً[4]إنّ القرآن الكريم تنزيلٌ من ربّ العالمين، نزل به الرّوح الأمين جبريل عليه السّلام على قلب المصطفى الأمين، صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٨/٢٤٤.

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/٥٦.

(٤) انظر هنا تأمّلات في سورة الحاقّة ١١٩-١٢٦ ومعترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام السّيوطى ١/٣٥.

وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾

ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل: ولو تقوّل علينا محمّد بعض الأقاويل الباطلة وتكذّب علينا[١]

لأخذنا منه باليمين: لأخذنا منه بالقوّة منّا والقدرة[٢]

ثمّ لقطعنا منه الوتين: ثمّ لقطعنا منه نياط القلب[٣]وهو العِرْقُ الّذى القلب معلّقٌ فيه[٤]

معروفٌ أن لو حرف امتناعٍ لا متناعٍ، أي امتناع الشّرط لامتناع الجواب[٥]والآية الكريمة تتحدّث عن مجموعةٍ من الأمور الممتنعة. والمعنى، والله تعالى أعلم: ولو تقوّل علينا محمّدٌ بعض الأقاويل الّتى لم نقلها، لَأَخَذْنا منه ما نريد بالقوّة منّا والقدرة، ثمّ لقطعنا منه وتين القلب والعِرْقَ الّذى القلب معلّقٌ فيه. فما منكم من أحدٍ، أيّها الكافرون، عنه حاجزين أَخْذَنا له، وانْتقامَنا منه. إنّ كلّ هذه الأمور ممتنعة الوقوع، وإنّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم هو الأمين دائماً، وإن الكافرين هم الأعداء أبدا.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٤٢.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٤٢.
(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٤٢.
(٤) تفسير ابن كثير ٨/٢٤٥.
(٥) معجم النّحو عبد الغنى الدّقر ٣١٥.

وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

وإن القرآن الكريم لموعظةٌ للمتّقين. وإنّا لنعلم أنّ منكم أيّها النّاس مكذّبين بالقرآن الكريم. وإنّ القرآن الكريم لَحَسْرَةٌ على الكافرين يوم القيامة حينما يرون ثواب المؤمنين به المهتدين بهديه. وإنّ القرآن الكريم لحقّ اليقين الّذى لا شك فيه ولا ارتياب أنّه كلام الله تعالى. فسبّحْ أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم، ويا أيّها المؤمن باسم ربّك العظيم. إنّ واجب كلّ مسلمٍ لله تعالى ربّ العالمين أن يهتف دائماً بالقول: سبحان ربّي العظيم .

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١.سورة الحاقّة من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١] .

٢.عدد آيات السّورة الكريمة اثنتان وخمسون آية. وعدد كلماتها أربعمائة وثمانون كلمة. وعدد حروفها ألفٌ وستّةٌ وخمسون حرفاً[٢]

٣.سمّيت السّورة الكريمة سورة الحاقّة لمجيء هذه اللّفظة في الثّلاث الآيات الكريمات الأُوَل. عِلْماً بأنّ الآية الكريمة الأولى تتألّف من هذه اللّفظة وَحْدَها.

٤.شأن سورة الحاقّة الكريمة شأن المكّيّ من القرآن الكريم في عنايته بأسس العقيدة. والسّورة الكريمة فيها حيّزٌ واضحٌ لملابسات يوم القيامة، وللقرآن الكريم، وللرّسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم الّذى أوحى الله تعالى إليه هذا الكتاب العزيز. ويَصْبِغُ الإنذارُ السّورة الكريمة بِلَوْنِه.

٥.ممّا تكاد تختصّ به سورة الحاقّة أنّها في سردها حشداً من الأمم المكذّبة الّتى أهلكها الله تعالى تبدأ بالأمّة المتأخّرة زمناً ثمّ تراعى التّرتيب التّأريخيّ اتّجاهاً إلى الوراء. إنّها تذكر بعد ثمود عاداً، وفرعون، ومن قَبْل فرعون من الطّغاة، وقوم لوطٍ عليه السّلام وهو معاصرٌ لإبراهيم عليه السّلام، وقوم نوحٍ عليه السّلام أوّل رسل الله تعالى.

---

(١) انظر الإتقان ٤٣/١ والجلالين وتفسير ابن كثير ٢٣٥/٨ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٥/٢٩ والبحر المحيط ٣٠٤/٨وتفسير القرطبي ٦٧٣٥وفي ظلال القرآن ٣٦٧٣والمحرّر الوجيز ٩٢/١٦.
(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٥./٢٩

٦. لسورة الحاقّة المكّيّة الكريمة نغمةٌ صوتيّة حادّة تخدم صفة الإنذار الّتى تصبغ السّورة الكريمة بلونها. وهذه النغمة الحادّة تطالعنا منذ بداية السّورة الكريمة. إنّ لفظة الحاقّة

تتكرّر في الآيات الكريمات الثّلاث الأوَل.ومعنى اللّفظة عميق. إنّها من أسماء يوم القيامة وتحمل إحدى صفات ذلك اليوم المهيب.

إنّ الحاقّة تُعْطِي كلّ ذى حقّ حقّه من خير أو شرّ بناءً على عمله في الحياة الأولى. ولفظة الحاقّة تشتمل على المدّ المثقّل الكَلِميّ الّذى يمدّ بمقدار ستّ حركات. فثمّة تعاونٌ بين المَعْنَى والمَبْنَى. والمدّ المثقّل يتألّف من حركة وسكونين أي من مقطعٍ صوتيٍّ طويل. وهذا المقطع الصّوتيّ الطّويل يأتي في أثناء الكلمة وليس في نهاية الكلمة أو الكلام. وبذلك يضرب المدّ المثقّل عُرْضَ الحائط بالنّظريّة الصّوتيّة الّتى قرّرها علماء موسيقى الكلام، وهي أنّ المقطع الصّوتيّ الطّويل لا يأتي إلا في نهاية كلامٍ يتمّ السّكوت عنده.

٧.جاء في السّورة الكريمة مجموعةٌ من الألفاظ الّتى لم تأت في غيرها من سور القرآن الكريم، نذكر منها: الحاقّة، واهية، أرجاء، خافية، هاؤم، قاضية، فغلّوه، صلّوه، فاسلكوه، غسلين، الوتين، حاجزين.

٨.نودّ أن نبيّن بإيجاز وحدة السّورة الكريمة عضويّاً وأخذ قضاياها بِحُجَز بعض. بعد الحديث في ثلاث آياتٍ كريماتٍ عن الحَاقّة الّتى تعطى يوم القيامة كلّ ذى حقّ حقّه، يكون الحديث عن مجموعةٍ من الأمم الّتى أهلكها الله تعالى بسبب تكذيبها رسل الله تعالى إليهم وإنكار البعث.فعلى كفّار مكّة المكذّبين المنكرين البعث أن يأخذوا حِذْرَهُمْ. ثمّ كان التّحوّل إلى الحديث في بعض ملابسات يوم القيامة، والنّفختين، الأولى الّتى تميت بإرادة الله تعالى الخلائق، والثّانية الّتى تُحْيِي بإرادة الله تعالى الخلائق. كما كان الحديث في فَرَح من أُعْطِيَ كتابه بيمينه فدخل الجنّة، وأَسَى من أُعْطِيَ كتابه بشماله فدخل النّار.ولمّا كان

طابع الإنذار هو الغالب على السّورة الكريمة فقد كان ثمّة حديثٌ مستفيضٌ عن عذاب من أُعْطِيَ كتابه بشماله فدخل النّار. ولـمّا كان كفّار مكّة المنكرون للبعث يتّهمون الرّسول الكريم بأنّه شاعرٌ أو كاهن، وبالتّالي فالقرآن الكريم ضَرْبٌ من الشّعر أو سجع الكهّان، يفعلون ذلك وهم في أعماقهم يعلمون أنّهم كاذبون، فقد كان في نهاية السّورة الكريمة تأكيدٌ بأنّ القرآن الكريم تنزيلٌ من ربّ العالمين. وبأنّه حقّ اليقين.

وهكذا تأخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض، وتتأكّد وحدة السّورة الكريمة عُضْوِياً.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الجمعة ١٤٢٣/١١/٢٨هـ

الموافق ٢٠٠٣/١/٣١م

رابعاً
سورة المعارِج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى
ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ
سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ
تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ
إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞
إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾
إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ
مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ
﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ
مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن
يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ
ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ

﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ
يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ
تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((يَسْأَلُ الكافرون عن يوم القيامة على سبيل الاستهزاء، وما أَصْعَبَ ذلك اليَوْمَ عليهم))

الآيات (١-١٨)

سأل سائلٌ من الكفّار على سبيل الاستهزاء عن عذابٍ واقعٍ على الكافرين. إنّه حينما يقع ليس له دافعٌ ولا صارف. إنّه من الله تعالى ذى المعارج، ورفيع الدّرجات، ومصاعد السّماء، ومصادر النِّعَم والفَواضل. تصعد الملائكة والرّوح الأمين جبريل عليه السّلام إلى الله تعالى ذى العرش العظيم في يوم القيامة الّذى كان مقداره-لتحقّق وقوعه- خمسين ألفَ سنةٍ من سنوات الدّنيا، بينما هو في حقّ المؤمن أَخَفُّ من صلاةٍ مكتوبةٍ يصلّيها في الدّنيا. فاصبر أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم صبراً جميلاً لا ضَجَرَ معه ولا شَكْوَى، على تكذيب قومك لك، واستهزائهم بك. إنّهم يرون يوم القيامة بعيداً، ونراه نحن قريباً. إنّ كلّ آتٍ قريب، ومَنْ ماتَ قامت قيامته. يوم القيامة تكون السّماء كلون عَكَر الزّيت الّذى يبقى أَسْفَلَه في السّواد، أو كذائب الفضّة. وتكون الجبال كالصّوف في الخِفَّة والطّيران. ولا يسأل حبيبٌ ولا قريبٌ ولا صديقٌ حبيبه أو قريبه أو صديقه شيئاً، لأنّ الكلّ مشغولٌ بنفسه. والله تعالى يُعرِّف كلّ إنسانٍ قريبه ثمّ يمضى كلٌّ لشأنه. يتمنّى المجرم لو يفتدى نفسه من عذاب ذلك اليوم بِبَنيه، وزوجته، وأخيه، وعشيرته الّتى تضمّه إليها وقت السِّلم والحرب، ومن في الأرض جميعاً ثمّ ينجيه كلّ ذلك من العذاب الشّديد ذلك اليوم.

كلاّ، ليس الأمر كما يتمنّى الكافر في النّجاة من النّار. إنّها نار جهنّم الّتى تتلّظى وتتلهّف على الكفّار، نزّاعةً بسبب شديد حرّها جلد الرّأس والجسد والأطراف. تدعو إليها من أدبر في الدّنيا عن طاعة الله تعالى وأعرض عن الإيمان بكتابه ورسوله، وجَمَعَ المال من حلالٍ وحرام فأودعه الوعاء ولم يقم بما يجب عليه من حقّ□لله تعالى.

(٢)

((بعض نعوت المؤمنين المصلّين الّذين يكرمهم الله تعالى في جنّات النّعيم))

الآيات (١٩-٣٥)

إنّ جنس الإنسان خُلِق هلوعاً شديد الجزع مع الحرص. إذا مسّه الشّرّ من فقرٍ أو مرضٍ وما إلى ذلك كان شديد الجزع عديم الصّبر. وإذا مسّه الخير من غنىً أو صحّةٍ وما إلى ذلك كان شديد المنع لحقّ الله تعالى عن أصحابه. إلاّ المصلّين الّذين هم على صلاتهم دائمون ومواظبون . والّذين في أموالهم حقٌّ معلوم، ونصيبٌ معيّن للسّائل الّذى يسأل، وللمحروم الّذى لا يسأل فيحرم نفسه، أو الّذى حُرِم من المال لأيّ سببٍ من الأسباب. والّذين يصدّقون بيوم الدّين يوم الجزاء ويعملون من أجله. والّذين هم من عذاب ربّهم عزّ وجلّ مشفقون خائفون. إنّ عذاب ربّك غير مأمونٍ وقوعه على كلّ مُسْتَحِقّ□ له. والّذين هم لفروجهم حافظون عن ارتكاب جريمة الزّنا، إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء فإنّهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم المعتدون المتجاوزون إلى ما حرّم الله تعالى. والّذين هم لأماناتهم وعهودهم مع الله تعالى ومع عباد الله تعالى راعون وحافظون. والّذين هم بشهاداتهم قائمون ومؤدّون امتثالاً لأمر الله تعالى. والّذين هم على صلاتهم يحافظون جوهراً وشكلا. ويلاحظ ابتداء الصّفات بالصّلاة

وانتهاؤها بالصّلاة، دليلاً على أهمّيّة الصّلاة في الإسلام. أولئك في جنّات النّعيم مكرمون عند ربّهم عزّ وجلّ.

(٣)

((بعض صفات الكافرين، وبعض مظاهر عذابهم يوم القيامة))

الآيات (٣٦-٤٤)

فمال الّذين كفروا نحوك يا محمّد مُصَوِّبين أبصارهم، من دون أن تطرف لهم عين، مُبَعْثَرين حولك في هيئة جماعاتٍ متفرّقة يجمع بينها الكفر وتربّص الدّوائر بك. أيطمع كلّ امرئ□من هؤلاء أن يدخله الله تعالى جنّة نعيم ! كلاّ ليس الأمر كما يتمنّى المشركون. إنّا خلقناهم من الماء المهين الّذي يعلمونه، والّذى خلقنا منه غيرهم، فليس لهم فضلٌ على غيرهم، إنّما الفضل بالتّقوى.

فلا أقسم بِربّ مشارق الشّمس والقمر وسائر النّجوم والكواكب ومغاربها، إنّا لقادرون على أن نبدّل بهم قوماً خيراً منهم وما نحن بعاجزين عن فعل كلّ ما نريد. فذرهم يا محمّد يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتّى يلاقوا يومهم الّذى يوعدونه والّذى ينكرونه. يوم يخرجون من القبور سراعاً إلى المحشَر، كأنّهم في سباق، فهم يسرعون كي يحصلوا على قَصَب السَّبْق وما أشبه ذلك من علامات السّبق من رايةٍ أو حَجَرٍ منصوبٍ وما إلى ذلك. خاضعةً أبصارهم تغشاهم ذلّة. ذلك اليوم الّذى كانوا يوعدونه في الحياة الدّنيا.

التَّفْسِير

(١)

((يَسْأَلُ الكافرون عن يوم القيامة على سبيل الاستهزاء، وما أَصْعَبَ ذلك اليَوْمَ عليهم))

الآيات (١-١٨)

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾

سأل سائلٌ: من الكفّار[١]

بعذابٍ واقع: عن عذاب الله بمن هو واقع[٢]

للكافرين: على الكافرين[٣]

من الله ذى المعارج: ذى العلوّ والدّرجات والفواضل والنِّعم[٤] ومصاعد الملائكة وهي السمّاوات[٥]وعن مجاهد معارج السّماء[٦]

تعرج الملائكة والرّوح إليه: تصعد الملائكة وجبريل عليه السّلام إلى الله جلّ وعزّ[٧]ويكون من عطف الخاصّ على العامّ[٨]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٤٣.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٤٣.
(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٤٤.
(٤) تفسير الطّبري ٢٩/٤٤.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٤٤.
(٧) تفسير الطّبري ٢٩/٤٤.
(٨) تفسير ابن كثير ٨/٢٤٨.

في يوم: هو يوم القيامة[١]

كان مقداره خمسين ألفَ سنة: روى الإمام أحمد عن أبي سعيد، قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما أطول هذا اليوم !فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: والّذى نفسى بيده إنّه لَيُخَفَّفُ على المؤمن حتّى يكون أخفّ عليه من صلاةٍ مكتوبة يصلّيها في الدّنيا[٢]

كالمهل: دُرْدِيّ الزّيت[٣]وهو عَكَر الزّيت[٤] الّذى يبقى أَسْفَلَه[٥]

كالعهن: كالصّوف[٦]

حميم: قريب[٧]

يبصّرونهم: يُعَرَّفون أقرباءهم ويعرَّف كلّ إنسانٍ قريبه، فذلك تبصير الله إيّاهم[٨]عن ابن عبّاس، قال: يعرف بعضهم بعضاً، ويتعارفون بينهم، ثمّ يفرّ بعضهم من بعض. يقول[٩]:﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾ [١٠]

وصاحبته: وزوجته[١١]

وفصيلته: وعشيرته[١٢]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٤٥.
(٢) تفسير ابن كثير٨/٢٤٩ وتفسير الطّبري٢٩/٤٥.
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "مهل" ٢/٦١٦وتفسير ابن كثير٨/٢٥١.
(٤) تفسير الطّبري ٢٩/٤٦.
(٥) القاموس المحيط: "درد".
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٤٦.
(٧) تفسير الطّبري ٢٩/٤٦.
(٨) تفسير الطّبري ٢٩/٤٦.
(٩) سورة عبس ٣٧.
(١٠) تفسير الطّبري ٢٩/٤٦.
(١١) تفسير الطّبري ٢٩/٤٧.
(١٢) تفسير الطّبري ٢٩/٤٧.

الّتى تؤويه: تضمّه إليها[1]

سأل سائل من الكافرين على سبيل الاستهزاء والاستعجال عن عذابٍ واقعٍ على الكافرين، ليس له بإذن الله تعالى دافعٌ ولا صارف، إنّه من الله تعالى ذي معارج السّماء ومصاعدها، الرِّفْعَةِ والدّرجات العُلَى، الفواضل والنّعم وكلّ خير. تصعد الملائكة والرّوح الأمين جبريل عليه السّلام إليه جلّ وعلا في يوم القيامة الّذى مقداره على الكافر خمسون ألف سنة. بينما هو بفضل الله تعالى أخفّ على المؤمن من صلاةٍ مكتوبةٍ يصلّيها في الدّنيا.

فاصبر أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم على الكافرين صبراً جميلاً لا شكوى معه ولا ضجر، إلى أن يقضي الله تعالى في الكافرين بحكمه. إنّ هؤلاء الكافرين المكذّبين المستهزئين يرون يوم القيامة بعيد الوُقُوع، ونحن نراه قريب الوقوع . في يوم القيامة تكون السّماء متغيرّة اللّون فهي كَعَكَر الزّيت الّذى يستقرّ أَسْفَلَه، وتكون الجبال في الخفّة والطّيران كالصّوفٍ المنفوشٍ. ولا يَسْأَلُ حميمٌ ولا قريبٌ ولا صديقٌ حميماً ولا قريباً ولا صديقاً. يُعَرِّفُ الحقّ جلّ وعلا كلّ إنسانٍ قريبه، ثمّ يشغله الشّأن الّذى هو فيه عن قريبه. يودّ المجرم يوم القيامة ويتمنّى لو يفتدى نفسه من عذاب ذلك اليوم بأحبّ النّاس إليه، ابتداءً بالأقرب فالأقرب، البنين، الزّوجة، الأخ، عشيرته الّتى تضمّه إليها وتحتضنه، من في الأرض كلّهم أجمعين، ثمّ ينجيه ذلك الافتداء من العذاب الشّديد في ذلك اليوم المجموع له النّاس المشهود. وأنّى له ذلك.

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "أوى" ٤٣/١وتفسير الطّبري ٤٧/٢٩ والجلالين.

كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

كلاّ: ليس ذلك كذلك. ليس ينجيه من عذاب الله شيء[١]وكلاّ حرف ردع وزجر لما يودّ المجرم[٢]

إنّها لظى: لظى اسمٌ من أسماء جهنّم[٣]لأنّها تتلظّى أي تتلهّف على الكفّار[٤]

نزّاعةً: حال منصوبة من الضّمير في لَظى[٥]

للشّوى: الشّوى جمع شواة، وهي من جوارح الإنسان مالم يكن مَقْتلاً. يقال: رمى فَأَشْوَى إذا لم يُصِبْ مقتلاً. والشّواة جلدة الرّأس وأطراف البدن[٦]

تدعو من أدبر وتولّى: تدعو لظى إلى نفسها من أدبر في الدّنيا عن طاعة الله، وتولّى عن الإيمان بكتابه ورسله[٧]وكذّب بقلبه، وترك العمل بجوارحه[٨]

---

(١) تفسير الطّبري ٤٧/٢٩.
(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٦٢/١٣.
(٣) تفسير الطّبري ٤٧/٢٩.
(٤) الجلالين.
(٥) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٦٢/١٣وتفسير الطّبري ٤٨/٢٩.
(٦) انظر تفسير الطبري ٤٨/٢٩.
(٧) تفسير الطّبري ٤٨/٢٩.
(٨) تفسير ابن كثير ٢٥٢/٨.

وجمع فأوعى: وجمع مالاً فجعله في وعاء، ومَنَعَ حقّ الله منه، فلم يزكّ ولم ينفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه[1]

كلاّ، ليس الأمر كما يظنّ الكافر الّذى يتمنّى أن يفتدي نفسه من عذاب جهنّم بكلّ نفسٍ ونفيس. إنّ جهنّم تتلهّف على الكفّار وتتشوّف إلى لقائهم، وإنّ لهبها الخالص يَنْزِعُ عن بُعْدٍ جلدة كلّ رأس وأطراف كلّ بدن. وهي تدعو إليها كلّ من أدبر بجسده عن دعوة الحقّ، وانصرف بقلبه عن الاستجابة لهدي الله تعالى الّذى أرسل الله تعالى به حبيبه صلّى الله عليه وسلّم، وأنزل به كتابه العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ. وهذا الّذى أدبر وتولّى جَمَعَ كذلك المال من حلالٍ وحرام، وأَوْدَعَه الوِعاء، وشدّ عليه الوِكاء[2] ومنع حقّ الله تعالى في ذلك المال.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٤٩.

(٢) الوكاء بكسر الواو: الخيط الّذي يشدّ به الوعاء والكيس.

(٢)

((بعض نعوت المؤمنين المصلّين الّذين يكرمهم الله تعالى في جنّات النّعيم))

الآيات (١٩-٣٥)

۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا
﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ

حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

هلوعا: الهلع شدّة الجزع مع شدّة الحرص والضَّجَر[١]

إذا مسّه الشّرّ جزوعا: إذا قلّ ماله وناله الفقر والعدم فهو جزوعٌ من ذلك لا صبر له عليه[٢]

والمحروم: المتعفّف عن السّؤال فيحرم[٣]

غير مأمون: أن ينال من عصاه وخالف أمره[٤]

أو ما ملكت أيمانهم: من إمائهم[٥]

راعون: يرقبون ذلك ويحفظونه فلا يضيّعونه ولكنّهم يؤدّونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله وأوجب عليهم حفظها[٦]

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٤٩.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٤٩.
(٣) الجلالين.
(٤) تفسير الطّبري ٢٩/٥٢.
(٥) تفسير الطّبري ٢٩/٥٢.
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٥٣.

إنّ جنس الإنسان الكافر خُلق هلوعاً، شديد الجزع والضَّجَر وقت الشّدّة، شديد البخل والغفلة وقت الرّخاء. إنّه إذا مسّه الشّرّ من فقرٍ أو مرضٍ أو ضُرّ كان جزوعاً

عديم الصّبر فاقد الأمل. وإذا مسّه الخير من غنىً أو صحّةٍ أو نعمة كان مَنُوعاً بخيلاً حريصاً على المنع وعلى حرمان المستحقّين حقوقهم. إلاّ المصلّين، باعتبار الصّلاة عمود الدّين الإسلاميّ. إنّهم الّذين هم على صلاتهم، الفرض والنّفل، دائمون مواظبون. والّذين في أموالهم الّتى أعطاهم الله تعالى إيّاها حقٌّ معلوم في هيئة الزّكاة والصّدقة، للسّائل الّذى يسأل الصّدقة، والمحروم الّذى يتعفّف عن السّؤال فيحرم نفسه.والّذين يصدّقون بيوم الجزاء، يوم القيامة لذا هم يستعدّون لذلك اليوم بعمل الصّالحات. والّذين هم من عذاب ربّهم عزّ وجلّ يوم القيامة مشفقون وجلون. إنّ عذاب ربّهم غير مأمونٍ وقوعه على كلّ عاصٍ مخالفٍ أمر ربّه عزّ وجلّ. والّذين هم لفروجهم حافظون لها عن الزّنا. إلاّ على أزواجهم أو ملكت أيمانهم من الإماء فإنّهم غير ملومين ولا معاتَبِين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام. والّذين هم لأماناتهم وعهدهم مع الله تعالى ومع عباد الله تعالى مؤدّون ومُوفُون. والّذين هم بشهاداتهم قائمون على أدائها بالقسط ابتغاء وجه الله تعالى. والّذين هم على صلاتهم يحافظون فيؤدّونها بكامل أركانها وواجباتها وسننها وسائر شروطها. إنّ أولئك الّذين تلك صفاتهم في جنّات النّعيم يكرمهم الله تعالى غاية الإكرام.

ومن أهمّ ما يلاحظ على صفات المؤمنين أنّها تبدأ بالصّلاة وتنتهى بالصّلاة، دليلاً على أهمّيّة الصّلاة في الإسلام وكون إقام الصّلاة، وهو الرّكن الثّاني من أركان الإسلام الخمسة، أهمّ الأركان بعد الشّهادتين.

(٣)

((بعض صفات الكافرين، وبعض مظاهر عذابهم يوم القيامة))

الآيات (٣٦-٤٤)

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا

لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَـٰشِعَةً أَبۡصَـٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

قِبَلَك: نحوك[1]

مهطعين: المهطع الّذى لا يطرف[2] وهطع الرّجل ببصره إذا صوّبه[3]

عن اليمين وعن الشّمال عزين: عزين أي جماعات في تَفْرِقَة، واحدتها عِزة. وأصله من عَزَوته فاعتزى أي نسبته فانتسب فكأنّهم الجماعة المنتسب بعضهم إلى بعض[4]يقول عن يمينك يا محمّد وعن شمالك متفرّقين حِلَقاً ومجالس جماعةً جماعةً معرضين عنك وعن كتاب الله[5]

كلاّ: ليس الأمر كما يطمع فيه هؤلاء الكفّار من أن يدخل كلّ امرئ منهم جنّة نعيم[6]

---

(١) الجلالين.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٥٣.
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "هطع"٢/٧٠٧.
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "عزا"٢/٤٣٤.
(٥) تفسير الطّبري ٢٩/٥٣.
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٥٤.

وما نحن بمسبوقين: بعاجزين عن ذلك[1]

كأنّهم إلى نُصُب يوفضون: كأنّهم إلى علامات يَسْتَبِقُون ويسرعون[2] ومفرد النُّصُب النَّصيب[3]بمعنى العَلَم أو الرّاية[4]

فما الكفّار مكّة،نَحْوَكَ يا محمّد، مصوّبين أبصارهم لا تطرف لهم عين، مُديمين النّظر لا يتحرّك لهم رِمْش. عن يمينك وشمالك جماعاتٌ متفرّقةٌ في هيئة حَلَقٍ ومجالس، وهم معرضون عنك وعن كتاب الله تعالى. أيطمع كلّ واحدٍ من كفّار مكّة أن يُدْخِلَهُ الله تعالى جنّة نعيم. كلاًّ، ليس الأمر كما يطمع أولئك الكافرون. إنّا خلقناهم ممّا يعلمون من ماءٍ مهين، وإنّ دخول الجنّة بتقوى الله تعالى وليس بالأمانيّ. فلا أقسم بربّ مشارق الشّمس والقمر وسائر النّجوم والكواكب ومغاربها، إنّا لقادرون على أن نبدّل خيراً منهم، ونستبدل بهم قوماً غيرهم، وما نحن بعاجزين عن فعل ذلك، وماهم بفائتينا. فذرهم يا محمّد يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتّى يلاقوا يومهم الّذى يوعدون بالعذاب فيه. يوم يخرجون من القبور سراعاً لِلْمَحْشَر كأنّهم يسرعون في سباقٍ إلى قصب السَّبق أو علامة الظَّفَر. خاضعةً أبصارهم تغشاهم ذلّة. ذلك اليوم الّذى كانوا يوعدون في الحياة الدّنيا ولم يستعدّوا له ولم يعملوا من أجله.

---

(١) الجلالين.

(٢) انظر تفسير الطّبري ٥٦/٢٩.

(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "نصب"٦٣٨/٢.

(٤) الجلالين.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة المعارج من المكّيّ من القرآن الكريم الّذي نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١]

٢. عدد آيات السّورة الكريمة أربعٌ وأربعون آيةً كريمة. وعدد كلماتها مائتان وستّ عشرة كلمة. وعدد حروفها ثمانمائة و أحدٌ وستّون حرفاً[٢]

٣.تسمّى السّورة الكريمة سورة المعارج، وسورة سأل سائل، وقد يقتصر على جملة سأل كما جاء في الإتقان. وهذه التَّسْمِيات مأخوذة من الآيتين الكريمتين الأولى والثّالثة من السّورة الكريمة.

٤. شأن سورة المعارج الكريمة شأن المكّيّ من القرآن الكريم الّذى يُعْنَى بأسس العقيدة. والسّورة الكريمة تتحدّث في يوم القيامة، وتسلية المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وعذاب الكافرين، ونعوت المؤمنين، وصفات الكافرين وتهديدهم. على أنّ الموضوع الرّئيس للسّورة الكريمة أو المحور الّذى تدور حوله قضاياها مسألة البعث بعد الموت الّتى لا يكاد كفّار مكّة يفهمونها أو يستسيغونها.

٥.تبدأ صفات المؤمنين وتنهي بالصّلاة دليلاً على أهمّيّة الصّلاة في الإسلام، وأنّها من أهمّ نعوت المؤمنين، وأنّها أهمّ أركان الإسلام بعد الشّهادتين.

---

(١) انظر الإتقان ٤٣/١ والجلالين وتفسير ابن كثير ٢٤٧/٨ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٩/٢٩ وفي ظلال القرآن ٣٦٩١ والمحرّر الوجيز ١٠٦/١٦ والكشّاف ٢٦٧/٣ وتفسير القرطبي ٦٧٥٧ والبحر المحيط ٣٣٠/٨.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٩./٢٩

٦.في السّورة الكريمة مجموعةٌ من الجمل والألفاظ لم تأت في غير السّورة الكريمة رغم قِصَرِها.ونذكر من ذلك مايلي: ﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ ﴾

﴿ وَفَصِيلَتِهِ﴾ ﴿ لَظَى ﴾ ﴿لِّلشَّوَى﴾ ﴿ فَأَوْعَىٰ ﴾ ﴿ هَلُوعًا ﴾ ﴿ جَزُوعًا ﴾ ﴿ مَنُوعًا ﴾ ﴿ مَّأْمُونٍ ﴾ ﴿ عِزِينَ ﴾ ﴿ يُوفِضُون ﴾

٧.نودّ أن نبيّن بإيجاز الوحدة العضويّة للسّورة الكريمة وأخذ قضاياها برقاب بعض. تبدأ السّورة الكريمة بالحديث عن يوم القيامة الّذى ينكره الكافرون ويسألون عن موعده على سبيل الاستهزاء. ويكون الحديث عن وقوعه، وطوله على الكافرين، وعن عذاب الكافرين فيه، وعن تسلية المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. ثمّ كان الحديث عن الصّفات السّيّئة لجنس الإنسان الكفور، ويُسْتَثْنَى المؤمنون الّذين يتمّ الحديث المستفيض عن نعوتهم، وعن ثوابهم. كما يتمّ الحديث عن بعض صفات الكافرين المعرضين عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، المخدوعين عن حقيقة قدرهم العمي البصائر، كما يتمّ الحديث عن خزيهم يوم القيامة وقد كانوا ينكرونه ويستهزئون به.

وهكذا تأخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض، ويتبيّن أنّ البعث بعد الموت هو المحور الّذى تدور حوله السّورة الكريمة.

وصلّى الله وسلّم على سيدّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة

مساء يوم الأحد ١٤٢٣/١٢/١هـ

الموافق ٢٠٠٣/٢/٢م

خامساً
سورة نُوحٍ عليه السّلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١
قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم
مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ
ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ
لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ
ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل
لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ
كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ
سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠
قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١
وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا
يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤ مِّمَّا
خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥ وَقَالَ
نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ
عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ
بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((نوحٌ عليه السّلام يدعو قومه إلى الله تعالى في كلّ الأوقات والأحوال))

الآيات (١-١٤)

إنّا أرسلنا نوحاً عليه السّلام إلى قومه وقلنا له أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليمٌ في الدّنيا قبل الآخرة. قال ياقوم إنّى لكم نذيرٌ بيّن الإنذار. أَنِ اعْبُدُوا الله تعالى وَحْدَه دون سواه، واتّقوا عذابه بفعل الحسنات واجتناب السّيّئات، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه من إفراد الله تعالى بالعبادة. إنّكم إن تفعلوا ذلك يغفر الله تعالى لكم من ذنوبكم، ويؤخّركم دون عذابٍ إلى أجلٍ مسمًّى وموعدٍ مضروب تموتون فيه. إنّ أجل الله تعالى والوقت المقرّر لهلاككم إن لم تؤمنوا إذا جاء لا يُؤَخَّر. لو كنتم تعلمون ذلك على وجه الصّحّة واليقين لبادرتم إلى الإيمان قبل فوات الأوان. قال نوحٌ عليه السّلام يا ربّى إنّى دعوت قومى ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهراً، فلم يزدهم دعائى إلاّ فِراراً منّى. وإنّى كلّما دعوتهم إلى الإيمان لتغفرلهم لوآمنو جعلوا أصابعهم في آذانهم، وليس أناملهم فقط، كيلا يسمعوا قولي، وغطّوا رءوسهم بثيابهم إمعاناً في الإعراض عنّى وعدم سماع قولى كيلا يَرَوْنِى،وأصرّوا على كفرهم، واستكبروا استكباراً عن عبادتك ياإلهي. ثمّ إنّى دعوتهم جِهاراً وعَلَناً، ثمّ إنّى دعوتهم عَلَناً وسرّاً، فقلت لهم استغفروا ربّكم عزّ وجلّ إنّه كان كثير المغفرة للذّنوب. إنّكم إن استغفرتم الله تعالى بصدق وسألتموه الرّزق يرسل السّماء عليكم متتابعة المطر، ويمددكم بأموالٍ وبنين، ويجعل لكم حدائق غنّاء،ويجعل لكم أنهاراً متدفّقةً فيها. ما لكم لا تعظّمون الله تعالى حقّ عظمته، وقد خلقكم أطواراً، ابتداءً من ماءٍ مهين، وانتهاءً بأحسن تقويم.

(٢)

((نوحٌ عليه السّلام يذكّر قومه المعاندين بِخَلْقِ الله تعالى السّماوات والأرض وخلقهم، وتسخير ما في السّماوات والأرض لهم،وبالبعث بعد الموت))

الآيات (١٥-٢٠)

وممّا قال نوحٌ عليه السّلام لقومه المصرّين على كفرهم وعنادهم: ألم تَرَوْا كيف خلق الله سبحانه وتعالى سبع سماواتٍ بعضها فوق بعض، وجعل القمر الكوكب فيهنّ نورا، وجعل الشّمس النّجم فيهنّ سراجاً وهّاجا. والله تعالى أنبتكم من الأرض في هيئة أبيكم آدم عليه السّلام نباتا، ثمّ يعيدكم فيها بالموت، ويخرجكم منها إخراجاً بالبعث. والله تعالى جعل لكم الأرض بِساطاً تحتكم. لتسلكوا منها طرقاً واسعة.

وهكذا يتحوّل نوحٌ عليه السّلام إلى آيات الله تعالى في السّماوات والأرض وتسخير النّعم فيهما للإنسان، وإلى الحديث في البعث لحمل قومه على الإيمان.

(٣)

((يُصِرُّ قوم نوحٍ عليه السّلام على الكفر وعبادة الأصنام فيدعو الله تعالى عليهم فيغرقهم ويحرقهم في نار جهنّم وينجّى الله تعالى المؤمنين والمؤمنات))

الآيات (٢١–٢٨)

قال نوحٌ عليه السّلام يا ربّ إنّ قومى عصونى واتّبعوا من لم يزده ماله وولده، وهما زينة الحياة الدّنيا، إلاّ خساراً في الآخرة. ومكروا مكراً كبيراً جدّا. وقالو لا تتركنّ عبادة آلهتكم، ولا تتركنّ على جهة الخصوص: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ وقد أضلّت هذه الأصنام كثيرين، ولا تزد يا إلهي الظّالمين عابديها إلاّ ضلالاً إلى ضلالهم. من أجل خطيئتهم الّتى ارتكبوها عن عمدٍ وسبق إصرار أغرقهم الله تعالى بالطّوفان، وأحرقهم في نار جهنّم، فلم يجدوا لهم من دون الله تعالى أنصاراً ينصرونهم. وقال نوحٌ عليه السّلام ياربّى لا تترك على الأرض من الكافرين ساكن دار ولا نافخ نار. إنّك إن تتركهم يضلّوا عبادك المؤمنين ولايلِدوا إلاّ الفجرة الأعمال، الكفرة الاعتقاد. ربّ اغفرلي، ولوالديّ، ولمن دخل بيتي ومسجدي مؤمناً، وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدّين، ولا تزد الظّالمين في كلّ زمانٍ ومكانٍ إلاّ هلاكاً ودمارا.

التَّفْسِير

(١)

((نوحٌ عليه السّلام يدعو قومه إلى الله تعالى في كلّ الأوقات والأحوال))

الآيات (١-١٤)

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ

ويؤخّركم إلى أجلٍ مسمَّى: ويؤخّر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب، لا بِغَرَقٍ ولا غيره، إلى حينٍ كتب أنّه يبقيكم إليه، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه في أمّ الكتاب(١)

إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخّر: إنّ أجل الله الّذى قد كتبه على خلقه في أمّ الكتاب إذا جاء عنده لا يؤخّر عن ميقاته(٢)

لو كنتم تعلمون: لو علمتم أنّ ذلك كذلك لَأَنَبْتُمْ إلى طاعة ربّكم(٣)

إنّا أرسلنا نوحاً عليه السّلام، أوّل رسل الله تعالى إلى البشر، وأوّل أولى العزم من الرّسل الخمسة زمناً، وهم نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّدٌ عليهم صلوات الله تعالى وسلامه، والأب الثّانى للبشريّة، إنّا أرسلنا نوحاً عليه السّلام إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاما يدعوهم إلى توحيد الله تعالى. إنّا أرسلنا نوحاً عليه السّلام بأن أنذر قومك الكافرين بأن يفردوا الله تعالى بالعبادة من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليم. قال نوحٌ عليه السّلام لقومه إنى لكم نذيرٌ بيّن الإنذار.أنِ اعبدوا الله تعالى وَحْدَهُ دون سواه،

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٥٧.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٥٨.
(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٥٨.

واتّقوا عذابه بفعل الحسنات واجتناب السّيئات، وأطيعونى فيما آمركم به وأنهاكم عنه، لأنّ عملي الدّعوة إلى الله تعالى. إنّكم إن فعلتم ذلك يغفر الله تعالى لكم من ذنوبكم، ويؤخّر موتكم إلى أجل مسمّى دون أن يلحق بكم أيّ أنواع العذاب. وإنّ أجل الله تعالى إذا جاء بموتكم لا يؤخّر عن ميقاته وموعده. ليتكم كنتم تعلمون ذلك إذن كنتم آمنتم وعبدتم الله تعالى حقِّ العبادة .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ
دُعَاءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ
وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ
إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا
﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ
وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

واستغشوا ثيابهم: وتَغَشَّوْا في ثيابهم وتَغَطَّوْا بها لئلاّ يسمعوا دعائى[١] ولا ينظرونى[٢]

مدرارا: متتابعا[٣]وأصله من الدَّرّ والدِّرّة (بكسر الدّال) اللّبن الكثير، ويستعار ذلك للمطر استعارة أسماء البعير وأوصافه[٤]

مالكم لا ترجون لله وقارا: قال مجاهد: ما لكم لا تبالون لله عظمة[٥]وقال ابن عبّاس: مالكم لا تعظّمون الله حقّ عظمته[٦]

وقد خلقكم أطوارا: عن قتادة طَوْراً نطفة، وطَوْراً علقة، وطَوْراً عظاماً، ثمّ كسا العظام لحما، ثمّ أنشأناه خلقاً آخر أنبت به الشّعر، فتبارك الله أحسن الخالقين[٧]وقد خلقكم حالاً بعد حال، طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة[٨]

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٥٨.
(٢) الجلالين.
(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٥٩.
(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "درّ"١/٢٢٢والمعجم الوسيط: "درّ".
(٥) تفسير الطّبري ٢٩/٥٩.
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٥٩.
(٧) تفسير الطّبري ٢٩/٦٠.
(٨) تفسير الطّبري ٢٩/٦٠.

قال نوحٌ عليه السّلام: ياربّى، إنّى دعوت قومى ليلاً ونهاراً وفي كلّ الأوقات، فلم يزدهم دعائى لهم إلى الله تعالى إلاّ هرباً وفرارا. وإنّى كلّما دعوتهم إلى دين الإسلام الّذى أرسلتنى يا ربّى به، لتغفرلهم ذنوبهم السّالفة، وعلى رأسها الإشراك بك، جعلوا أصابعهم في آذانهم كيلا يسمعونى وكأنّهم لم يكتفوا برءوس الأنامل تمادياً منهم في الإعراض، وغَطَّوْا رءوسهم بثيابهم كيلا يرونى إمعاناً منهم في عدم الرّغبة في الاستماع إلىّ. وأصرّوا على كفرهم وعنادهم والانصراف عنّى، واستكبروا عن إفرادك بالعبادة ياربّى استكبارا مَقِيتا. ثمّ إنّى دعوتهم جِهاراً وعلى رءوس الأشهاد. ثمّ إنّى أعلنت لهم فدعوتهم عَلَناً، وأسررت لهم إسراراً، فدعوتهم سرّا. لقد دعوتهم يا ربّى في كلّ الأوقات والأحوال، وبكلّ الأشكال، فقلت استغفروا ربّكم جلّ وعلا إنّه كان غفّاراً لكلّ ذنب بمافى ذلك الشّرك، يرسل الله تعالى عليكم المطر متتابعاً، ويمددكم بالكثير من الأموال والأولاد، ويجعل لكم بساتين نَضِرة، ويجعل لكم أنهاراً متدّفقة.

وحينما أصرّوا على شركهم قلت لهم فيما قلت: مالكم لا تعظّمون الله تعالى حقّ عظمته بإفراده بالعبادة، وهو عزّ وجلّ الّذى خلقكم في بطون أمهاتكم أطواراً وخلقاً بعد خلق. إنّ الله تعالى هو الّذى خلقكم من ماءٍ مهين، إلى أن أخرجكم طفلاً من بطون أمّهاتكم. وإنّ الله تعالى الّذى له الخلق ينبغى أن تكون له العبادة، أي الأمر، وَحْدَه دون سواه. وممّا جاء في أطوار الجنين قول الحقّ جلّ وعلا في سورة المؤمنون[1]: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾

(١) الآيات ١٢-١٤.

(٢)

((نوحٌ عليه السّلام يذكّر قومه المعاندين بِخَلْقِ الله تعالى السّماوات والأرض وخلقهم،وتسخير ما في السّماوات والأرض لهم،وبالبعث بعد الموت))

الآيات (١٥-٢٠)

۞ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾

فجاجا: واسعة[1]

ألم تروا ياقوم كيف خلق الله تعالى سبع سماواتٍ طباقاً بعضها فوق بعض، وجعل القمر، وهو كوكبٌ غير مولّد للطّاقة، في السّماوات نورا، فهو يعكس ضوء الشّمس، وجعل الشّمس سراجاً وهّاجاً ونَجْماً مشتعلاً مولّداً للطّاقة ويصدر منه الضّوء. والله أنبتكم من الأرض نباتاً فأنتم من ذرّية أبيكم آدم عليه السّلام الّذى خلقه الله تعالى من طينٍ لازِب، ثمّ جعل عزّ وجلّ نسله من ماءٍ مهين. والله تعالى يعيدكم في الأرض بعد موتكم، ويخرجكم منها يوم القيامة إخراجاً للحساب والجزاء. والله تعالى جعل لكم الأرض ممهّدةً مبسوطة وكأنّها البساط تحتكم، لتسلكوا منها سُبُلاً واسعة، وطرقاً سهلة.

---

(١) الجلالين والكشّاف ٢٧٢/٣.

(٣)

((يُصِرُّ قوم نوحٍ عليه السّلام على الكفر وعبادة الأصنام فيدعو الله تعالى عليهم فيغرقهم ويحرقهم في نار جهنّم وينجّى الله تعالى المؤمنين والمؤمنات))

الآيات (٢١-٢٨)

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا

كبّارا: الكبّار هو الكبير والعظيم جدّاً[١]والكُبار بالتّخفيف أبلغ من الكبير، والكبّار أبلغ من ذلك[٢]

ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا: رَوَى البخاريّ[٣]عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: صارت الأوثان الّتى كانت في قوم نوح في العرب بعد. أمّا وَدّ فكانت لكلب بِدُومة الجندل[٤]أمّا سواع فكانت لهذيل[٥]وأمّا يَغُوث فكانت لمراد[٦]ثمّ لبنى غُطَيْف بالجُرُف[٧]عند سبأ. وأمّا يَعُوق فكانت لِهَمْدان. وأمّا نسرٌ فكانت لِحِمْير، لآل ذى الكَلاع. أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح. فلمّا هَلكوا أوحى الشّيطان إلى قومهم أن انْصِبوا إلى مجالسهم الّتى كانوا يجلسون أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعْبد. حتّى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبِدَت.

---

(١) انظر تفسير الطّبري ٢٩/٦١والجلالين.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "كبر"٢/٥٤٦وتفسير الطّبري ٢٩/٦٢.

(٣) فتح الباري ٨/٦٦٧حديث رقم ٤٩٢٠.

(٤) دومة بضمّ الدّال والجندل بفتح الجيم وسكون النّون مدينة من الشّام ممّايلى العراق.فتح٨/٦٦٨.

(٥) كانوا بقرب مكة. وقال ابن اسحاق: كان سواع بمكانٍ يقال له رُهاط بضمّ الرّاء وتخفيف الهاء من أرض الحجاز من جهة السّاحل. فتح٨/٦٦٨.

(٦) كانت أنعم من طيّ وجرش بن مذحج اتّخذوا يغوث لجرش فتح ٨/٦٦٨.

(٧) الجرف بضمّ الجيم والرّاء. فتح ٨/٦٦٨

ممّا خطيئاتهم: من سببيّة، والأصل مِنْ ما[1]

قال نوحٌ عليه السّلام يا ربّى إنّ قومى عصونى واتّبعوا الضّالّ الّذى لم يزده ماله وولده إلاّ خسارا. ومكروا مكراً لا مزيد عليه وتربّصوا بي الدّوائر. وأصرّوا على شركهم وقالوا لا تتركنّ عبادة آلهتكم ولا تتركوا على جهة الخصوص عبادة الأصنام المذكورة في الآية الكريمة. وقد أضلّت تلك الآلهة الزّائفة كثيراً. وتجاه تمادى القوم في الضّلال والعناد لا تزد ياربّى هؤلاء الظّالمين إلاّ ضلالاً. إنّهم بسبب خطيئهم الّتى ارتكبوها عن عمدٍ وسبق إصرار وذلك بعبادة الأصنام أُغْرقوا بالماء، وأدخلوا في الآخرة نارا، فلم يجدوا من دون الله تعالى أنصاراً ينصرونهم من الأصنام وسواها، بصرف العذاب عنهم أوتَخْفِيفِه.

وجاء الكلام في صيغة الزّمن الماضى لتحقّق وقوعه، فكأنّه قد حدث فعلا .

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٨٢/١٣ والكشّف ٢٧٣/٣.

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾

ديّارا: نازل دار[1]وساكن دار[2]

وقال نوحٌ عليه السّلام ياربّي لا تترك على الأرض من الكافرين من يسكن داراً، وذلك بعد أن أوحى الله تعالى إليه بأنّه لن يؤمن مستقبلاً من قومه عليه السّلام إلاّ من آمن من ذى قبل[3]إنّك إن تتركهم يا ربّي يضلّوا عبادك المؤمنين، ولا يلدوا إلاّ فاجر الفعل شديد كفر القلب. ياربّ اغفرلى ولوالديّ ولمن دخل بيتى ومسجدى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولاتزد الظّالمين إلاّ تباراً وهلاكا. وإنّ نوحاً عليه السّلام الّذى مكث يدعو قومه ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً إلاّ أَنّهُ لم يستجب له إلاّ قليل، فهاهو ذا يشكو إلى مولاه ضعفه وعجزه وقلّة حيلته، لَيَسْألُ الله تعالى أن يغفر له ذنبه. ولا شكّ أنّنا أمام درسٍ من أعظم الدّروس القرآنيّة في وجوب معرفة كلّ إنسانٍ حقيقة قدره تجاه مولاه العظيم.

---

(١) الجلالين.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى:"دار"١/٢٣١.

(٣) سورة هود الآية ٣٦.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة نوحٍ عليه السّلام من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١]

٢.عدد آيات السّورة الكريمة ثمانٍ وعشرون آيةً كريمة. وعدد كلماتها مائتان وإحدى وعشرون كلمة. وعدد حروفها سبعمائة وخمسون حرفا[٢]

٣.سمّيت السّورة الكريمة سورة نوحٍ عليه السّلام لمجيء اسمه عليه السّلام في الآية الكريمة الأولى، هذا إضافةً إلى مجيء اسمه عليه السّلام بعد ذلك مرّتين اثنتين وذلك في الآيتين الكريمتين الحادية والعشرين والسّادسة والعشرين. وجاءت الإشارة إلى السّورة الكريمة في الإتقان[٣]بالقول: "إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا "ثمّ إنّ السّورة الكريمة مقصورةٌ على نوحٍ عليه السّلام وقومه.

٤.في السّورة الكريمة ترغيبٌ وترهيب، تبشيرٌ وإنذار، ولكنّ جانب التّرهيب والإنذار هو الغالب.

---

(١) انظر–مثلاً–الإتقان ٤٣/١والجلالين وتفسير ابن كثير ٢٥٨/٨وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان٤٧/٢٩وفي ظلال القرآن ٣٧٠٥والكشّاف ٢٧٠/٣والمحرّر الوجيز١٢٠/١٦والبحر المحيط ٣٣٧/٨وتفسير القرطبي ٦٧٧٧.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤٧/٢٩.

(٣) ٤٣/١.

٥.السّورة الكريمة تسليةٌ غير مباشرة للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم. إنّ لسان حال السّورة الكريمة يقول: إنّ الّذى تعانى منه يا محمّد يا خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين وخامس أولى العزم من الرّسل الخمسة وزعيمهم، هو الّذى سبق أن عانى منه أخوك نوحٌ عليه السّلام أوّل رسولٍ أرسله الله تعالى إلى البشر، وأوّل أولى العزم الخمسة من الرّسل. ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]

٦.رغم قِصَر السّورة الكريمة فقد جاءت فيها ألفاظ لم تأت في أيّ سورةٍ أخرى من سور القرآن الكريم. ونذكر من هذه الألفاظ: ﴿ وَقَارًا ﴾ ﴿ أَطْوَارًا ﴾ ﴿ بِسَاطًا ﴾ ﴿ كُبَّارًا ﴾ ﴿ وَدًّا ﴾ ﴿ سُوَاعًا ﴾ ﴿ يَغُوثَ ﴾ ﴿يَعُوقَ﴾ ﴿ وَنَسْرًا ﴾والألفاظ الخمسة أسماء الأصنام.وليس في القرآن الكريم مثل هذا الذّكر لمثل هذا الحشد من أسماء الأصنام. "خطيئاتهم" باستعمال ضمير جماعة الغائبين "دَيَّارًا" "فَاجِرًا" "تَبَارًا"

٧.نودّ أن نبيّن بإيجازٍ الوحدة العضويّة للسّورة الكريمة. أَمَرَ الله تعالى نوحاً عليه السّلام أن يدعو قومه من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليم، ففعل عليه السّلام ما أمره الله تعالى به، ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالطّريقة الّتى هي أحسن.

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥.

لقد دعا نوحٌ عليه السّلام قومه في كلّ الأوقات والأحوال، واستعمل معهم كلّ وسائل التّرغيب والتّرهيب، ولفت انتباههم إلى خلق الله تعالى للسّماوات والأرض وما فيهن، وإلى خلق الله تعالى لهم، ودعاهم إلى الإيمان بالبعث والعمل ليوم القيامة. لقد كان موقفهم العصيان واتّباع السّادة والكبراء الّذين حَثُّوهم على الاستمساك بعبادة الأصنام. لقد شكا نوحٌ عليه السّلام إلى ربّه مالاقى من قومه الّذين لم يؤمن معه منهم إلاّ قليل. ولمّا كان الحقّ جلّ وعلا قد أوحى إلى نوح عليه السّلام أنّه لن يؤمن من قومه إلاّ من قد آمن فعلاً، فإنّه عليه السّلام يدعو ربّه عزّ وجلّ أن يهلك القوم الظّالمين وأن يستأصل شأفتهم فاستجاب الله تعالى دعاءه وأغرق القوم بالطّوفان وأحرقهم في جهنّم بالنّار. وهكذا تأخذ موضوعات السّورة الكريمة برقاب بعض.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الأربعاء ١٤٢٣/١٢/٤هـ

الموافق ٢٠٠٣/٢/٥م

سادساً
سورة الجِنّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى
ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ
صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ
أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ
يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا
كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا
لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ
بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ
أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ
ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن
ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا
﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟

رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن
يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ
وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ
مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ
مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا
٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧
لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨

بين يَدَيِ التَّفْسير

(١)

((الجِنُّ يَسْتَمِعُون القرآن الكريم فيومنون به ويوحّدون الله تعالى ويؤمنون بالبعث وينذرون قومهم))

الآيات (١-١٥)

قل يا محمّد قد أَوْحَى الله تعالى إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ إليّ وأنا أُرَتِّل القرآن الكريم في صلاةٍ جهريّة هي صلاة الفَجر وأنا أَؤُمُّ أصحابي فقالو إنّا سمعنا قرآناً يُتَعَجّب منه جَمالَ مَبْنَى وجَلالَ مَعْنَى. إنّه يهدى إلى الرُّشد وطريق الفلاح فآمنّا به ولن نشرك بربّنا بعد اليوم أَحَدا. وأنّه تعالى مجد ربّنا وجلاله وعَظَمَتُه ما اتّخذ زوجةً ولا ولدا. وأنّه كان يقول أحمقنا على الله تعالى غلوّاً في الكذب بأنّه اتّخذ صاحبةً وولدا. وأنّا حَسِبْنا أن لن تقول الإنس والجنّ على الله تعالى كذبا، وقد تبيّن لنا أنّ سفهاء الفريقين يكذبون. وأنّه كان رجالٌ من الإنس يستجيرون برجالٍ من الجنّ فزادوهم طغياناً وقالوا كنّا نَسُودُ الجنّ والآن نسود الإنس معهم. وأنّهم ظنّوا كما ظننتم يا مشركى الإنس أن لن يبعث الله تعالى أحداً، من رسله. وها هو ذا محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم، خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين، عليهم صلوات الله تعالى أجمعين، يرتّل القرآن الكريم ترتيلا. وأنّا لمسنا السّماء لاستراق السّمع جَرْياً على عادتنا فوجدناها ملئت حرساً شديداً من الملائكة، وشهباً محرقةً تطاردنا. وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسّمع فمن يستمع الآن منّا يجد شهاباً قد رُصِد له ليُرْمَى به. وأنّا لاندرى أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم عزّ وجلّ رَشَداً وهدىً بإرسال رسولٍ إليهم. وأنّا منّا الصّالحون المسلمون، ومنّا الطّالحون غير الصّالحين، كنّا طرائق متعدّدة، ومذاهب شتّى، ومشارب مختلفة. وأنّا أيقنّا أن لن نعجز الله تعالى في

الأرض ولن نعجزه هرباً لو لجأنا إلى أقطار السّماوات. وأنّا لمّا سمعنا الهدى وهذا القرآن المجيد آمنّا به، فمن يؤمن بربّه عزّوجلّ فلا يخاف أن تنقص حسناته أو أن تزاد سيّئاته. وأنّا منّا المسلمون المُقْسِطُون، ومنّا الكافرون القاسطون. فمن أسلم وعدل فأولئك تحرّوا رشداً في اعتقادهم وأقوالهم وأعمالهم. ومن كفر وظلم فأولئك كانوا لجهنّم حطبا.

(٢)

((الله تعالى يبلونا بالشّرّ والخير فتنة، وليس على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلاّ البلاغ، وعذاب الكافرين شديدٌ في الأولى والآخرة))

الآيات (١٦-٢٨)

وكذلك أَوْحَى الله تعالى إليّ أن لو استقام النّاس على الطّريقة الّتى هي أقوم وعلى دين الإسلام العظيم لأسقيناهم ماءً كثيراً طاهراً. لِنَخْتَبِرَهُمْ بهذه النّعمة. ومن يُعْرِض عن ذكر ربّه عزّ وجلّ وعن القرآن المجيد يدخله الله تعالى عذاباً شاقّاً وشديدا. وأنّ المساجد لله تعالى وحده دون سواه فلا تعبدوا مع الله تعالى أحداً سواه. وأنّه لمّا قام عبد الله تعالى، محمّد صلّى الله عليه وسلّم، خاتم النبيّين وأشرف المرسلين، عليهم صلوات الله تعالى أجمعين، يدعو ربّه عزّ وجلّ، ويرتّل القرآن الكريم ترتيلاً في صلاة الفجر كاد الجنّ يكونون لاجتماعهم عليه حِرْصاً على استماع القرآن الكريم كالشَّعَر الكثيف الّذى دخل بعضه في بعضٍ وركب بعضه بعضا. قل يا محمّد إنّما أعبد ربّى وحده دون سواه ولا أشرك به أحداً.قل يا محمّد للنّاس إنّى لا أملك لكم ضَرّاً ولا نفعاً في دينكم ودنياكم. قل إنّى لو عصيت ربّى لن يجيرني منه أحدٌ ولن أجد من دونه مَلْجَأً ولا نصيرا. قل إنّى لا أملك لكم ضرّاً ولا نفعاً إلاّ بلاغاً من الله تعالى وإيصالاً لرسالاته. ومن يعص الله تعالى ورسوله منكم

أيّها النّاس فإنّ له نار جهنّم خالدين فيها أبدا. حتّى إذا رأوا يوم القيامة ما كانوا يوعدون في الدّنيا فسيعلمون من الأضعف ناصراً والأقلّ عددا. قل يا محمّد ما أدرى أقريبٌ ما توعدون من العذاب أم يجعل الله تعالى له موعداً متأخّرا. إنّه عزّ وجلّ عالم الغيب فلا يطلع على غيبه أحداً. إلاّ من ارتضى من رسولٍ مَلَكيّ أو بشريّ فإنّه عزّ وجلّ يجعل من أمامه ومن خلفه حفظةً من الملائكة يحرسونه ويمنعون الشّيطان أن يتشبّه على صورة المَلَك. ليعلم جلّ وعلا علم ظُهُورٍ أنّهم قد أبلغوا رسالات ربّهم، وأحاط بما لديهم علماً وخُبرا، وأحصى كلّ شيءٍ إحصاءً وعَدّاً.

التَّفْسِير

(١)

((الجِنُّ يَسْتَمِعُون القرآن الكريم فيؤمنون به ويوحّدون الله تعالى ويؤمنون بالبعث وينذرون قومهم))

الآيات (١-١٥)

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡـَٰٔنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ۝١٥

قل أُوحِيَ إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ: قل يا محمّد أَوْحَي الله إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ هذا القرآن(١) والنَّفَر من ثلاثة إلى عشرة من الرِّجال(٢)

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٦٤.

(٢) المعجم الوسيط: "نفر".

فقالوا: لقومهم لمّا رجعوا إليهم[١]

إنّا سمعنا قرآناً عجبا: يتعجّب منه ولم يُعْهَدْ مثله[٢]في فصاحته وغزارة معانيه[٣]

سبب النّزول

رَوَى البخاريّ في صحيحه[٤]عن ابن عبّاس قال: انطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ[٥]وقد حيل بين الشّياطين وبين خبر السّماء، وأُرْسِلَتْ عليهم الشّهب، فرجعت الشّياطين فقالوا: مالكم؟ فقيل: حيل بيننا وبين خبر السّماء، وأُرْسلت علينا الشّهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السّماء إلاّ ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الّذى حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الّذى حال بينهم وبين خبر السّماء؟ قال: فانطلق الّذين تَوَجَّهُوا نحو تهامة[٦]إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بنَخْلة[٧]وهو عامدٌ إلى سوق عكاظ وهو يصلّى بأصحابه صلاة الفجر . فلمّا سمعوا القرآن تسمّعوا له فقالوا: هذا الّذى حال بينكم

---

(١) الجلالين.

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "عجب" ٤١٨/٢.

(٣) الجلالين.

(٤) فتح الباري٦٦٩/٨حديث رقم ٤٩٢١وانظر صحيح مسلم٣٣١/١حديث رقم ٤٤٩.

(٥) عكاظ بضمّ المهملة وتخفيف الكاف وأخره ظاء معجمة، بالصّرف وعدمه. قال اللّحياني: الصّرف لأهل الحجاز، وعدمه لغة تميم. وهو مَوْسِمٌ معروفٌ للعرب. بل كان من أعظم مواسمهم. وهو نخلٌ في وادٍ بين مكّة والطّائف، وهو إلى الطّائف أقرب، بينهما عشرة أميال. وهو وراء قرن المنازل بمرحلةٍ من طريق صنعاء اليمن. فتح الباري٦٧/٨.

(٦) تهامة بكسر المثنّاة اسمٌ لكلّ مكان غير عالٍ من بلاد الحجاز، سمّيت بذلك لشدّة حرّها، اشتقاقاً من التَّهَم بفتحتين، وهو شدّة الحرّ وسكون الرّيح.فتح٦٧٤/٨.

(٧) بفتح النّون وسكون المعجمة موضعٌ بين مكّة والطّائف. فتح ٦٧٤/٨.

وبين خبر السّماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا: إنّا سمعنا قرآناً عجبا. يهدى إلى الرّشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا أحدا. وأنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ وإنّما أُوْحِيَ إليه قول الجنّ.

يهدى إلى الرّشد: يدلّ على الحقّ وسبيل الصّواب[١]

وأنّه تعالى جدّ ربنا: عن قتادة أي تعالى جلاله وعظمته وأمره[٢]

سفيهنا: جاهلنا[٣]

شططا: غلوّاً في الكذب بوصفه بالصّاحبة والولد[٤]

وأنّا ظننّا: وأنّا حسبنا[٥]

وأنّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون: يستجيرون[٦]

برجالٍ من الجنّ: في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم[٧] قال ابن عبّاس: كان رجالٌ من الإنس يبيت أحدهم بالوادى في الجاهليّة فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادى[٨]أو بسيّد هذا المكان من شرّ سفهائه[٩]

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٤.
(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٥.
(٣) الجلالين.
(٤) الجلالين.
(٥) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٧.
(٦) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٨.
(٧) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٨.
(٨) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٨.
(٩) الجلالين.

فزادوهم رهقا: فزادوهم طغياناً فقالوا سُدْنا الجِنَّ والإنس[١]وجَراءة[٢]

وأنّا لمسنا السّماء: وأنّا طلبنا السّماء وأردناها[٣]

حرساً شديدا: حفظة[٤] من الملائكة [٥]

وشهبا: نجوماً محرقة، وذلك لمّا بعث النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم [٦]

شهاباً رصدا: شهاب نارٍ قد رُصِدَ له لِيُرْمَى به[٧]

وأنّا لا ندرى أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم رشدا: وأنّا لا ندرى أعذاباً أراد الله أن ينزله بأهل الأرض بمنعه إيّانا السّمع من السّماء ورجمه من استمع منّا فيها بالشّهب، أم أراد بهم ربّهم الهدى بأن يبعث منهم رسولاً مرشداً يرشدهم إلى الحقّ [٨] وهذا مِنْ أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشّرّ إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عزّ وجلّ [٩]

مِنّا الصّالحون: المسلمون العاملون بطاعة الله [١٠]

ومِنّا دون ذلك: ومنّا غير الصّالحين[١١]

---

(١) الجلالين.
(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٨.
(٣) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٩.
(٤) تفسير الطّبرى ٢٩/٦٩.
(٥) الجلالين.
(٦) الجلالين وتفسير الطّبرى ٢٩/٦٩.
(٧) تفسير الطبري ٢٩/٦٩ والجلالين.
(٨) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٠.
(٩) تفسير ابن كثير ٨/٢٦٧.
(١٠) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٠.
(١١) الجلالين وتفسير الطّبرى ٢٩/٧٠.

كنّا طرائق: الطّرائق جمع طريقة وهي طريقة الرّجل ومذهبه[١]

قـددا: جمـع قِـدَّة، وهـي الضّـروب والأجنـاس المختلفـة[٢] والفرقـة مـن النّـاس. والقِدّة: كالقطعة. والقدّ قطع الشّيء طولا[٣]

وأنّا ظننّا: وأنّا علمنا[٤]

بخساً: نقصاً من حسناته[٥]

ولا رهقا: ولا زيادةً في سيّئاته[٦]

وأنّا منّا المسلمون: الّذين قد خضعوا لله بالطّاعة[٧]

ومنّا القاسطون: الجائرون عن الإسلام وقصد السّبيل[٨]

فمـن أسـلم فأولئـك تحرّوا رشـدا: فمـن أسـلم وخضـع لله بالطّاعـة فأولئـك تعمّـدوا وترجَّوْا رشداً في دينهم[٩]

فكانوا لجهنّم حطبا: توقد بهم[١٠]

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٠.

(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٠.

(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "قدد" ٢/٥١٠.

(٤) تفسير الطّبرى ٢٩/٧١.

(٥) تفسير الطّبرى ٢٩/٧١.

(٦) تفسير الطّبرى ٢٩/٧١.

(٧) تفسير الطّبرى ٢٩/٧١.

(٨) تفسير الطّبرى ٢٩/٧١.

(٩) تفسير الطّبرى ٢٩/٧١.

(١٠) تفسير الطّبرى ٢٩/٧١.

قل يا محمّد للنّاس قد أَوْحَى الله تعالى إليّ أنّه قد استمع إليّ وأنا أرتّل القرآن الكريم ترتيلاً في صلاةٍ جهريّة نفرٌ من الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً يُتَعَجّب منه ولم يُعْهَد مثله جمال مبنى وجلال معنى. يهدى إلى الرّشد، ويدلّ على الحقّ وسبيل الصّواب، فآمنّا به أنّه من عند ربّنا عزّ وجلّ، ولن نشرك بعد اليوم بربّنا أحدا. وأنّه تعالى مجد ربّنا عزّ وجلّ وعظمته وجلاله، ما اتّخذ زوجةً ولا ولداً، خلافاً لما يّدعى المشركون. وأنّه كان يقول جاهلنا وأحمقنا على الله تعالى غلوّاً في الكذب بِنِسْبَةِ الصّاحبة والولد إليه. وأنّا ظننّا أنّه لن تقول الإنس والجن على الله تعالى كذباً بنسبة الزّوجة والولد إليه عزّ وجل. وأنّه كان قبل الإسلام رجالٌ من العرب يستجيرون برجالٍ من الجنّ كأن يقولوا إذا نزلوا وادياً مثلاً: نعوذ بعزيز هذا الوادى أو سيّد هذا المكان من شرّ سفهائه فزادوا رجال الجنّ طغياناً وكفرا وقالوا: لقد سُدْنا الجنّ قَبْلُ وها نحن أولاء نسود الإنس أيضاً. وأنّ الجنّ ظنّوا كما ظننتم أيّها الإنس أنّه لن يبعث الله تعالى أحداً من رسله. وأنّا قصدنا السّماء لاستراق السّمع كعادتنا فوجدناها ملئت حرساً شديداً من الملائكة، ونجوماً محرقةً تلاحقنا. وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد لاستراق السّمع، فمن يستمع الآن ويسترق السّمع يجد له شهاباً قد رُصِدَ له لِيُرْمَى به. وأنّا لا ندرى أشرٌّ أريد بمن في الأرض وعذابٌ أليمٍ، أم أراد بهم ربّهم عزّ وجلّ الهدى بأن يبعث منهم رسولاً يرشدهم إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم. وأنّا منّا المسلمون لله تعالى ربّ العالمين، ومنّا غير الصّالحين، كنّا طرائق مختلفة، ومذاهب شتَّى. وأنّا أيقنّا أنّا لن نعجز الله تعالى في الأرض لو بقينا فيها، ولن نعجزه لو هربنا من الأرض ولجأنا إلى أقطار السّماوات. وأنّا لمّا سمعنا القرآن الكريم الّذى يهدى إلى الطّريقة الّتى هي أقوم آمنّا به، وصدّقنا أنّه موحىً به إلى محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم من ربّ العالمين. فمن

يؤمن بربّه عزّ وجلّ فلا يخاف أن تنقص حسناته، أو أن تزاد سيّئاته. وأنّا منّا المسلمون لله تعالى ربّ العالمين، ومنّا الجِائرون عن الإسلام وقَصْدِ السّبيل. فمن أسلم فأولئك تعمّدوا الرّشد في دينهم، وتحرّوا الصّواب في اعتقادهم، فلهم جنّات النّعيم. وأمّا الجائرون عن قصد السّبيل فأولئك مصيرهم النّار، وبئس القرار، وكانوا حَصَبَ جهنّم وحطبها.

(٢)

((الله تعالى يبلونا بالشّرّ والخير فتنة، وليس على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلاّ البلاغ، وعذاب الكافرين شديدٌ في الأولى والآخرة))

الآيات (١٦-٢٨)

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

وألّو استقاموا: الواو استئنافيّة. أن مخفّفة من الثّقيلة، واسمها ضمير الشّأن محذوف. لو حرف شرط غير جازم. والكلام هنا من كلامه تعالى، وعلى هذا يجوز العطف على المصدر المؤوّل، أي: قل أوحي إليّ استماع[1]

على الطّريقة: على طريقة الحقّ والاستقامة[2]والإسلام[3]

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩٥/١٣ والكشّاف ٢٧٧/٣.

(٢) تفسير الطّبرى ٧١/٢٩.

(٣) الجلالين.

ماءً غدقا: كثيراً، والمراد بذلك سَعَةُ الرّزق[1]وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين[2]والغدق الماء الطّاهر الكثير[3]

لنفتنهم فيه: لنختبرهم فيه[4] ولنبتليهم به[5] قال عمر ﷺ في الآية الكريمة والآية الكريمة قبلها: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفِتْنَة[6]

يسلكه: يدخله[7]

عذاباً صعدا: عذاباً شديداً شاقّا[8]

وأنّه لمّا قام عبد الله: وأنّه لمّا قام محمّد صلّى الله عليه وسلّم[9]

يدعوه: يدعو الله يقول لا إله إلاّ الله[10]

كادوا يكونون عليه لبدا: كاد الجنّ يركبون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا سمعوا القرآن[11]واللِّبَد جمع لِبْدة، وهي الشّعر المتراكب بين كتفي الأسد، وكلّ شعر أو صوف متلبِّد، إذا تداخل ولزق بعضه في بعض[12]

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٦٩/٨.
(٢) الجلالين.
(٣) تفسير الطّبرى ٧٢/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ٧١/٢٩.
(٥) نفسير الطّبرى ٧٢/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ٧٢/٢٩.
(٧) الجلالين.
(٨) تفسير الطّبرى ٧٣/٢٩.
(٩) تفسير الطّبرى ٧٣/٢٩.
(١٠) تفسير الطّبرى ٧٤/٢٩.
(١١) تفسير الطّبرى ٧٤/٢٩.
(١٢) انظر المعجم الوسيط: "لبد".

قل إنّى لا أملك لكم ضرّاً ولا رشدا: قل يا محمّد لمشركى العرب الّذين ردّوا عليك ما جئتهم به من النّصيحة إنّى لا أملك لكم ضرّاً في دينكم ولا دنياكم ولا رشداً أرشدكم، لأنّ الّذى يملك ذلك الله الّذى له ملك كلّ شيء[١]

قل إنّى لن يجيرنى من الله أحدٌ: من خلقه إن أراد بي أمراً ولا ينصرني منه ناصر[٢]

ولن أجد من دونه ملتحدا: ولن أجد من دون الله ملجأً ألجأ إليه[٣]ولا نصيرا[٤]ولا ملتجأ[٥]

إلاّ بلاغاً من الله ورسالاته: قل إنّى لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً إلاّ بلاغاً من الله ورسالاته. يقول: إلاّ أن أبلّغكم من الله ما أمرني بتبليغكم إيّاه، وإلاّ رسالاته الّتى أرسلنى بها إليكم. فأمّا الرّشد والخِذْلان فبيد الله، هو مالكه دون سائر خلقه، يَهْدِى من يشاء ويَخْذُل من أراد[٦]

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٥.
(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٥.
(٣) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٦ وانظر المحرّر الوجيز ١٦/١٤١.
(٤) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٦.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٦وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/٩٩والكشّاف ٣/٢٧٨ والمحرّر الوجيز١٦/١٤١.

إن أدرى: ما أدرى[١]

أقريبٌ ما توعدون: أقريبٌ ما يعدكم ربّكم من العذاب وقيام السّاعة[٢]

أمدا: غايةً معلومةً تطول مدّتها[٣]

إلاّ من ارتضى من رسول: وهذا يعمّ الرّسول الملكى والبشرى[٤]

فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا: فإنّه يجعل ويُسَيِّر[٥]ويرسل من أمامه ومن خلفه حرساً وحفظةً[٦] وملائكةً يحرسونه ويحفظونه أن يتشبّه الشّيطان على صورة الملك[٧] حتّى يبلّغ الرّسول ما يوحى إليه من غيبٍ في جملة الوحى[٨]

ليعلم: الله علم ظهور[٩]

أن قد أبلغوا: أنّه قد أبلغوا[١٠]

---

(١) تفسير الطّبرى ٧٦/٢٩ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠١/١٣.
(٢) تفسير الطّبرى ٧٦/٢٩.
(٣) تفسير الطّبرى ٧٦/٢٩.
(٤) تفسير ابن كثير ٢٧٣/٨.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير الطّبرى٧٧/٢٩.
(٧) انظر تفسير الطّبرى ٧٧/٢٩.
(٨) انظر الجلالين وتفسير الطّبرى ٧٧/٢٩.
(٩) الجلالين وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠٣/١٣وتفسير ابن كثير ٢٧٤/٨.
(١٠) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠٣/١٣.

وقل يا محمّد قد أُوحِي إليّ أنّه لو استقام النّاس على الطّريقة القويمة طريقة دين الإسلام العظيم لأسقيناهم من السّماء ماءً كثيراً طاهرا، لنختبرهم بذلك الماء الّذى يترتّب عليه الكثير من الخير والحقوق والواجبات. ومن يعرض عن ذكر ربّه عزّ وجلّ وقرآنه المجيد يدخله جلّ وعلا عذاباً أليماً، ويسلكه عقاباً شديدا. وكذلك أُوحِيَ إليّ أنّ المساجد لله تعالى وحده دون سواه فلا تدعوا مع الله تعالى أحدا، ولا تشركوا به شيئاً، وأُوحِيَ إليّ أنّه لـمّا قام عبد الله تعالى ورسوله محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم يدعو ربّه عزّ وجلّ ويعبده ويصلّى بأصحابه صلاةً جهريّةً هي صلاة الفجر في وادي نَخْلَة باليمانيّة بين مكّة والطّائف كاد الجنّ الّذين صرفهم الله تعالى إليه من أجل استماع القرآن الكريم يكونون لتكاثرهم عليه مثل لِبَد الأُسود، وهي الشّعر الكثيف المتراكب بين أكتاف الأسود.

قل يا محمّد للمشركين إنّما أدعو ربّى عزّ وجلّ وَحْدَه دون سواه، ولا أشرك به أحداً على الإطلاق. قل يا محمّد للمشركين إنّى لا أملك لكم في دينكم ودنياكم ضَرّاً وأذى، ولا رشداً وهدى. إنّ الّذى يملك ذلك ويملك كلّ شيءٍ هو الله تعالى وَحْدَه دون سواه. قل يا محمّد إنّى لن يجيرنى من الله تعالى أحدٌ لو قصّرت في جنبه عزّ وجلّ، ولن أجد من دونه ملجأ، ولن أجد عند غيره نصيرا. قل إنّى لا أملك لكم ضرّاً ولا رشدا، إلاّ بلاغاً من الله تعالى ألزمنى بإبلاغه النّاس، وإلاّ رسالاته الّتى أرسلنى بها جلّ وعلا إلى عباده. ومن يعص الله تعالى ويعص رسوله صلّى الله عليه وسلّم منكم أيّها النّاس فإنّ له نار جهنّم خالداً فيها. حتّى إذا رأوا يوم القيامة ما كانوا يوعدون في الحياة الدّنيا من عذاب فسيعلمون وقتها مَنْ مِنَ الفريقين، المؤمنين أو الكافرين، أَضْعَفُ ناصراً وعضدا، وأَقَلُّ عدداً وسندا.

قل يا محمّد ما أدرى أقريبٌ ما توعدون من العذاب أم يجعل له ربّي جلّ وعلا أمداً بعيداً وموعداً متأخّرا. إنّه عالم الغيب وما لايبصره البشر ولا يدركونه، فلا يُظْهِرُ على غيبه أحداً من خلقه. إلاّ من ارتضى من رسولٍ من الملائكة كجبريل عليه السّلام، أو من البشر كمحمّد صلّى الله عليه وسلّم، فإنّه عزّ وجل يجعل من بين يديه ومن خلفه حرساً من الملائكة وحَفَظَةً يحرسونه ويحفظونه أن يناله أحدٌ من الخلق بأذى، أو أحدٌ من شياطين الإنس والجنّ بمكروه، حتّى يتمكّن عليه الصّلاة والسّلام من تبليغ رسالة ربّه جلّ وعلا علي خير وجه. إنّ الله تعالى يجعل الملائكة الحفظة من بين يدي الرّسول الكريم ومن خلفه، ليعلم جلّ وعلا علم ظهور أنّهم قد أبلغوا رسالات ربّهم جلّ وعلا وأدّوا الأمانات الّتي ائتمنهم الله تعالى عليها، وقد أحاط الله تعالى بما لديهم علماً وخبرة، وأحصى كلّ شيءٍ عدداً وإحصاء.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة الجنّ من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١]

٢. عدد آيات السّورة الكريمة ثمانٍ وعشرون آيةً كريمة. وعدد كلماتها مائتان وخمسٌ وثمانون كلمة. وعدد حروفها سبعمائة وتسعةٌ وخمسون حرفاً[٢]

٣.سمّيت السّورة الكريمة سورة الجنّ لمجيء لفظ الجنّ في الآية الكريمة الأولى.

٤.سورة الجنّ وسورة الأحقاف[٣]تتحدّثان في استماع نفرٍ من الجنّ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو يرتّل القرآن الكريم ترتيلاً في صلاة الفجر بوادى نَخْلَة وقد أَمَّ عليه الصّلاة والسّلام أصحابه. والله تعالى قد صرف هذا النّفر من الجنّ إليه صلّى الله عليه وسلّم.

٥.تبيّن السّورة الكريمة قدرة القرآن الكريم العجيبة على هداية ذوى القلوب السّليمة، والنّفوس الطّيّبة، والعقول الرّاجحة من الجنّ. لقد أسلموا لمجرّد استماعهم القرآن الكريم يرتّله المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ترتيلاً، وانطلقوا فوراً إلى قومهم يدعونهم إلى الدّخول في دين الإسلام لله ربّ العالمين. ومِثْلُ هذه القدرة العجيبة للقرآن الكريم على هداية الجنّ قُدْرَتُهُ لهداية الإنس الّذين يحملون الصّفات القلبيّة والنّفسيّة والعقليّة ذاتها. ـــــ

(١) انظر–مثلاً– الإتقان ٤٢/١وجاء فيه: "ثمّ قل أوحي"والجلالين وتفسير ابن كثير ٢٦٥/٨وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٤/٢٩وفي ظلال القرآن ٣٧١٩والمحرّر الوجيز١٣٠/١٦والكشّاف ٢٧٤/٣والبحر المحيط ٣٤٤/٨وتفسير القرطبي ٦٧٩٤.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٤/٢٩.

(٣) الآيات ٢٩–٣٢.

ويتبيّن من دعوة الجنّ قومهم إلى اعتناق دين الإسلام أنَّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم قد أرسله الله تعالى لكلّ□من الإنس والجنّ[١]

٦. يتبيّن من السّورة الكريمة أنّ في الجنّ مسلمين صالحين، ومشركين طالحين، مثل الإنس تماما.

٧.تشير السّورة الكريمة إلى عادةٍ للعرب في الجاهليّة وهي استعاذتهم بكبير الجنّ إذا نزلوا مكاناً من شرّ سفهائه فازداد الجنّ طغياناً وكفرا.

٨. بيّنت السّورة الكريمة طبيعة الجنّ، وعلمهم القاصر، وقدرتهم المحدودة.

٩. تشير السّورة الكريمة إلى استراق الجنّ السّمع من السّماء قبل بعثة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.أمّا بعد البعثة المحمّديّة فقد حيل بين الشّياطين وبين استراق السّمع بالملائكة الحفظة وبالشّهب الّتي تمنعهم من ذلك وتطاردهم وربمّا أحرقتهم. لقد كثرت الشّهب الّتي تطارد الشّياطين بعد البعثة المحمّديّة.

١٠.ما أعظم أدب الجنّ في نسبتهم الشّرّ للمجهول ونسبتهم الرّشد إلى الذّات العليّة وذلك في الآية الكريمة العاشرة. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾

١١.البعث والثّواب والعقاب والجنّة والنّار من نصيب كلّ من الإنس والجنّ.

١٢.الاستقامة على طريقة الإسلام دين الله تعالى الحقّ سببٌ في هطول الأمطار وسعة الرّزق.

---

(١) انظر–مثلاً صحيح مسلم ٣٣٢/١حديث رقم ٤٥٠.

١٣.الله تعالى يختبرنا بكلّ من الخير والشّرّ.

١٤.المساجد إنّما عُمِرَت لعبادة الله تعالى وَحْدَه دون سواه.

١٥. في موقفٍ من أشرف المواقف للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم وهو الصّلاة تنعته الآية الكريمة التّاسعة عشرة بأنّه عبد الله. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾

١٦.منتهى ما يملكه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم للنّاس البلاغ المبين لرسالة الله تعالى الّتى ائتمنه عزّ وجلّ عليها.

١٧.لا يعلم المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من أمر الغيب إلاّ ما علّمه الله تعالى إيّاه.

١٨. الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يكلّفه الله تعالى بالتّبليغ، ويجعل مِنْ أمامه ومن خلفه ملائكةً تحفظه، وتعينه على مهمّته، وتراقبه، ليعلم عزّ وجلّ علم ظهور أنّ الرّسل الكرام صلوات الله تعالى وسلامه عليهم قد بلّغوا الرّسالة وأدّوا الأمانة: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]

١٩.قد أحاط الله تعالى بكلّ شيءٍ علماً، فلا يخفى عليه عزّ وجلّ شيئٌ في الأرض ولا في السماء.

٢٠. أوحى الله تعالى في سورتي الجنّ و الأحقاف للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ الجنّ الّذين صرفهم الله تعالى إليه قد استمعوا له عليه الصّلاة والسّلام وهو يرتّل القرآن الكريم ترتيلا.

---

(١) سورة الأنعام ١٢٤.

٢١.الحثّ على ترتيل القرآن الكريم ترتيلاً. وللتّرتيل دوره في نشر دين الإسلام الّذى رضيه الله تعالى لعباده. قال تعالى[1] ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلاً ﴾.

٢٢.الحصول على خيري الدّنيا والآخرة يتمّ بإذن الله تعالى عن طريق الاستمساك بهدي الإسلام. ومعجزة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم الكبرى هذا الكتاب العزيز الّذى تبيّن معناه سنّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم.

٢٣.عُنِيت السّورة الكريمة في نهايتها عنايةً بالغةً بالغيب الّذى لا يعلمه إلاّ الله تعالى والّذى يُظْهِرُ الله تعالى شيئاً منه لمن ارتضى من رسول. وقد أَوْحَى الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وسلّم في الآية الكريمة الأولى شيئاً من هذا الغيب حينما أوحى الله تعالى إليه صلّى الله عليه وسلّم باستماع الجنّ له يرتّل القرآن الكريم ترتيلا. وهكذا يلتقى أوّل السّورة الكريمة بآخرها ويلتحمان معاً معنوياً.

٢٤.دين الإسلام العظيم دينٌ ودنيا معاً.

٢٥. يصحّ القول إنّ توحيد الله تعالى هو المحور الّذى تدور حوله سورة الجنّ المكّيّة الكريمة وهو الموضوع الرّئيس فيها. وإنّ الموضوعات الأخرى الّتى تتحدّث فيها السّورة الكريمة خادمةٌ لذلك المحور أو الموضوع.ومن هذه الموضوعات القرآن الكريم الّذى يهدى للطّريقة الّتى هي أقوم، والرّسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم، الّذى هدى الله تعالى به الإنس والجنّ، وما كان يحدث قبل البعثة المحمّديّة من استعاذة العرب بالجنّ، وكثرة استراق الشّياطين للسمع، والبعث والجنّة والنّار. وسعة الرّزق ثمرة للاستقامة، وضيقه ثمرةٌ نَكِدَةٌ للإعراض عن ذكر الله تعالى.

---

(١) سورة المزّمّل ٤.

٢٦.في السّورة الكريمة عددٌ من الألفاظ والصّيغ لم تأت في غيرها من السّور الكريمة، نذكر منها:﴿ نَفَرٌ ﴾بالضّم ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾:﴿ صَاحِبَة ﴾ بالنّصب: ﴿سَفِيهُنَا﴾ :﴿ رَهَقًا ﴾ في

موضعين اثنين. :﴿ لَمَسْنَا ﴾: ﴿ حَرَسًا ﴾:﴿ وَشُهُبًا ﴾: ﴿ نَقْعُد ﴾: ﴿ شِهَابًا ﴾ بالنّصب :﴿ رَّصَدًا ﴾ في موضعين اثنين. :﴿ قِدَدًا ﴾ :﴿ هَرَبًا ﴾: ﴿ نَخْسًا ﴾ بالنّصب: ﴿ ٱلْقَسِطُون ﴾ في موضعين اثنين. :﴿ تَحَرَّوْا ﴾:﴿ حَطَبًا ﴾بالنّصب : ﴿ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ بالجرّ: ﴿ غَدَقًا ﴾: ﴿ يَسْلُكْه ﴾ :﴿ يَسْلُك ﴾: ﴿ صَعَدًا ﴾: ﴿ لِبَدًا ﴾: ﴿ تُجِيرَنِى ﴾.

٢٧.جاءت لفظة الرّشد مرّةً واحدةً في السّورة الكريمة وذلك في الآية الكريمة الثّانية، وجاءت لفظة: "رَشَدًا" منصوبة ثلاث مرّات وذلك في الآيات الكريمات العاشرة، والرّابعة عشرة، والحادية والعشرين. وجاءت اللّفظة وراء ذلك مرّتين اثنتين في القرآن الكريم وذلك في سورة الكهف. إنّ الهداية إلى الرّشاد من ملامح السّورة الكريمة.

٢٨. جاءت فاصلة الدّال في تسع عشرة آية كريمة. علماً بأنّ الآيات الكريمات من السّابعة عشرة إلى نهاية السّورة الكريمة في فاصلة الدّال. وهذه هي أرقام الآيات الكريمات في فاصلة الدّال ٢، ٣، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٤، ١٧– ٢٨. علماً بأنّ فاصلة الباء جاءت في خمس آياتٍ كريمات هي ١، ٥، ٨، ١٢، ١٥، وأن فاصلة القاف جاءت في ثلاث آياتٍ كريمات هي ٦، ١٣، ١٦، وأنّ فاصلة الطّاء جاءت في آيةٍ كريمةٍ واحدة هي الرّابعة:﴿ شَطَطًا ﴾ وقد جاءت اللّفظة مرّة أخرى في القرآن الكريم وذلك في الآية الكريمة الرّابعة عشرة من سورة الكهف.

٢٩. نودّ أن نبيّن بإيجازٍ الوحدة العضويّة للسّورة الكريمة. لقد أَوْحِيَ الله تعالى إلى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم في السّورة الكريمة أنّه استمع إليه نفرٌ من الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً يُعْجِبُ كلَّ من سَمِعَه لفظاً ومعنىً، يهدى إلى طريق الرّشاد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا أحدا.

وينزّه الجنّ الذّات العليّة عن الصّاحِبَةِ والولد وعن كلّ ما ألحقه الظّالمون به عزّ وجلّ، ممّا لا يتمشّى مع جلاله وعظمته، وعن كلّ كذبٍ من القول، وباطلٍ في الاعتقاد. ويعترف الجنّ بأنّ منهم المسلمين الصّالحين، والكافرين الطّالحين، وبأنّ ثواب الأوّلين الجِنّة وبأنّ عذاب الآخرين النّار. لقد انتهوا إلى هذه الحقائق عن طريق القرآن الكريم المُوحَى به إلى خاتم النبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم.

وفي الشّقّ الآخر من السّورة الكريمة يواصل المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ذكر ما أَوْحَى الله تعالى به إليه ممّا له عَلاقةٌ بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وبكونه ليس عليه صلّى الله عليه وسلّم سوى البلاغ، وبعذاب الكافرين في النّار، وبكون الغيب لا يعلمه إلاّ الله تعالى، باستثناء ما يُظْهِرُهُ الله تعالى لمن ارتضى من رسله، وبكون الحقّ جلّ وعلا قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً. ويَغْلِبُ على السّورة الكريمة الإنذار. وهكذا تأخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم السبت ١٤٢٣/١٢/٧هـ

الموافق ٢٠٠٣/٢/٨م

سابعاً
سورة المُزَّمِّل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ
عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ
هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ
رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا
﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى
ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ
إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ
ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ
شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ
ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن
لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم
مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ

قَرۡضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٠

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((قِيامُ اللَّيْل أَشَدُّ موافَقَةً للقلب، فقم اللّيل أيّها المتزمّل واعبد ربّك، وأنذر قومك، وليؤمنوا بيوم القيامة قبل فوات الأوان))

الآيات (١-١٩)

يا محمّد، يا أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم، يا أيّها المتلفّف في ثيابه هيبةً من الوحي، قم اللّيل داعياً ربّك جلّ وعلا خوفاً وطمعاً ومصلّيا، نصف اللّيل أو انقص من النّصف قليلاً إلى الثّلث، أوزد على النّصف قليلاً إلى الثّلثين، ورتّل القرآن الكريم ترتيلاً يليق بجلاله وعظمته، وأعط كلّ حرفٍ حَقَّهُ ومُسْتَحَقَّه، وأعط آي الكتاب العزيز حقّها من الوقف والابتداء، ومن التّرسّل والاستقامة، ومن الانسياب والتّدفّق، ومن الانسجام بين اللّفظ والمعنى بحيث يبدو المعنى واضحاً جليّا، والمرمى قريباً بعد أن كان قصيّا، واللّفظ كالزَّهَر الأبيض في الوضوح والانسجام والاتّساق، وكالثَّغَر المرتّل في تساوى الأسنان، وترتيبها النّضيد، ونظمها البديع، وشكلها الأنيق وبياضها الفائق وصفائها الرّائق. إنّا سنلقى عليك يا محمّد قولاً ثقيلاً تكاليفه، شاقّةً أعماله. إنّ قيام أيّ ساعةٍ من ساعات اللّيل بعد العِشاء للعبادة ولتلاوة القرآن الكريم في الصّلاة وفي غير الصّلاة هي أشدّ موافقةً للقلب كي يتلقّى، وللعقل كي يتدبّر، وهي كذلك أطوع على اللّسان قيلا، وأسلس قيادا، وأشدّ وضوحا، وأنصع بيانا. إنّ لك يا محمّد في النّهار شغلاً طويلاً، وانهماكاً في أعمالك وفي شئون الحياة الّتى لا تكاد تنتهى حتّى تبدأ، وفي كل ذلك شغلٌ لك عن ترتيل القرآن الكريم ترتيلاً في النّهار، فعليك باللّيل.

واذكر يا محمّد اسم ربّك عزّ وجلّ بقول: بسم الله الرّحمن الرّحيم في كلّ أمورك، واذكر الله تعالى ذكراً كثيراً بالقلب واللّسان والجوارح في كلّ الأوقات والأحوال، وتبتّل إلى ربّك عزّ وجلّ تبتيلاً، وانقطع لعبادته، وتفرّغ لمرضاته، واقصد بكلّ أعمالك وجه ربك الكريم جلّ وعلا تكن أعمالك كلّها عبادة. إنه عزّ وجلّ ربّ مشرق الشّمس والقمر والنّجوم والكواكب ومغربها، لا إله إلاّ هو، ولا معبود بحقّ سواه، فاتّخذه وكيلاً لك في كلّ أمورك ووليّاً ونصيراً.واصبر يا محمّد على ما يقول لك كفّار قومك وعلى تكذيبك حتّى يأتى الله تعالى بالنّصر، واهجرهم هجراً جميلاً لا ضجر معه ولا تأفّف. ودعنى يا محمّد والمكذّبين من قومك أولى التّنعّم وكفران النّعمة، ومهّلهم قليلاً من الزّمن، وبرهةً من الوقت، فربّما انتفعوا من هذا الإمهال حتّى يأخذهم عزّ وجل أخذ عزيز مقتدر إن هم لمن يصدّقوك ويتّبعوك ويتداركوا الأمر. إنّ لدينا يوم القيامة قيوداً تقيّد بها الدّوابّ أساساً نقيّدهم بها، نَكالاً بهم وعبرةً للمعتبرين، وناراً متأججةً يُحْرَقون بها، وطعاماً يَغَصّ في الحلق، فلا ينزل إلى المَعِدَة ولا يخرج من الفم، وعذاباً شديد الإيلام لهم. يوم القيامة تتزلزل الأرض والجبال بعنف، وكانت الجبال رملاً مجتمعاً سائلاً متناثرا. إنّا أرسلنا إليكم يا أهل مكّة رسولاً هو محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم، شاهداً عليكم وبمدى الاستجابة لهذا الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، مثلما أرسلنا إلى فرعون مصر الطّاغية رسولاً، هو موسى عليه السّلام. فعصى فرعون الرّسول فأخذناه أخذاً شديداً بمثابة الوبال عليه والتّنكيل به. فكيف، إن أصررتم على جهودكم يا كفّار مكّة، تتّقون عذاب يومٍ يجعل الولدان الصّغار شيباً، وهو يوم القيامة، السّماء منفطرٌ بذلك اليوم لشدّته وعظم أهواله. كان وعده عزّ

وجل مفعولا. إنّ هذه الآيات الكريمات الّتى تتحدّث عن بعض أهوال يوم القيامة تذكرةٌ وموعظة. فمن شاء اتّخذ إلى ربّه عزّ وجلّ سبيلاً بعمل الصّالحات واجتناب السّيئات.

(٢)

((اقرءوا ما تيسّر من القرآن الكريم في القيام وغير القيام، وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وافعلوا الخير واستغفروا الله تعالى))

الآيات (٢٠)

إنّ ربّك عزّ وجلّ يعلم أنّك تقوم أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم أقلّ من ثلثي اللّيل تعبد الله تعالى وترتّل القرآن الكريم ترتيلا، ونصف اللّيل وثلثه، وكذلك تفعل طائفةٌ من الّذين معك يا محمّد، من الصّحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. والله تعالى يقدّر اللّيل والنّهار ويجعل أحدهما أطول من الآخر أو أقصر، ويجعلهما أحياناً متساويين طولا. عَلِمَ عزّ وجلّ أنّكم لن تستطيعوا أن تؤدّوا الفرض الّذى أوجبه عليكم، ولن تحفظوا مواقيت اللّيل، فأرشدكم جلّ وعلا إلى التّوبة، وتفضّل بقبولها منكم، فاقرءوا ما تيسَّر من القرآن الكريم، وقوموا من اللّيل ما تستطيعون ولا يوقعكم في المشقّة والحرج. عَلِمَ عزّ وجلّ أن سيكون منكم مرضى، وآخرون يضربون في الأرض يبتغون الرّزق من فضل الله تعالى، وآخرون يقاتلون في سبيل الله تعالى حينما يفرض الجهاد في سبيل الله تعالى مستقبلا. ويلاحظ أنّ الأمور الثّلاثة يجمع بينها أنّها من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في مجال الإنباء بالغيب، كما أنّ هذه الأمور الثّلاثة رتّبت بحسب كثرة ورودها في الحياة الدّنيا، إنّ المرض يأتى من حيث الكثرة أوّلا، يليه الضّرب في الأرض للتّجارة ابتغاء فضل

الله تعالى، يليه القتال في سبيل الله تعالى. فاقرأوا أيّها المؤمنون ما تيسّر من القرآن الكريم، في صلاة القيام أو في غيرها. وأقيموا الصّلاة المفروضة، وآتوا الزّكاة المفروضة للفئات الثّمان من المستحقّين، وأقرضوا الله تعالى قرضاً حسناً، وأنفقوا ابتغاء مرضاته عزّ وجلّ بطيب نفس. وما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله تعالى، هو أكثر خيرا، وأعظم أجرا. واستغفروا الله تعالى، إنّ الله سبحانه وتعالى غفورٌ رحيم.

التَّفْسِير

(١)

((قِيامُ اللَّيْلِ أَشَدُّ مُوافَقَةً للقلب، فقم اللّيل أيّها المتزمّل، واعبد ربّك، وأنذر قومك، وليؤمنوا بيوم القيامة قبل فوات الأوان))

الآيات (١-١٩)

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلاً ثَقِيلاً ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ

ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلاً ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلاً ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلاً ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلاً ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلاً ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمًا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولاً ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿١٩﴾

يا أيّها المزّمّل: يا أيّها الملتفّ بثيابه. وإنّما عَنَى بذلك نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم[1]ويا أيّها المتزمّل في ثيابه[2]حين يجيء الوحي له خوفاً منه لِهَيْبَتِهِ[3]

قم اللّيل: صلّ[4]

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٨.

(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٧٨.

(٣) الجلالين.

(٤) الجلالين

أو انقص منه قليلاً: أو انقص من النّصف إلى الثّلث[١]

أو زد عليه: إلى الثّلثين[٢]

ورتّل القرآن ترتيلا: وبيّن القرآن إذا قرأته تبييناً وترسّل فيه ترسّلا[٣]والترّتيل في القراءة الترّسل والتّثبّت والتّبيين والتّفسير[٤]والترّتيل إرسال الكلمة من الفم بسهولةٍ واستقامة[٥]ورتَّلَ الكلام: أحسن تأليفه، وأبانه، وتمهّل فيه. والترّسّل في القراءة الترّسّل فيها والتّبيين من غير بَغْي. وإنّما يتمّ التّبيين بأن يبيّن جميع الحروف ويوفّيها حقّها من الإشباع، تشبيها بالثّغر المرتَّل[٦]والثّغر المرتّل هو الّذى استوت أسنانه وتتابعت وتناسقت وتلاءمت[٧]

قولاً ثقيلا: ثقيلاً العمل به[٨] شديداً لما فيه من التّكاليف[٩]

---

(١) انظر الجلالين.

(٢) الجلالين.

(٣) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٠.

(٤) انظر تفسير الطّبرى ١٩/٨.

(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "رتل" ١/٢٤٩.

(٦) انطر لسان العرب: "رتل"

(٧) ص٢١من مخطوطة دراسة للمؤلّف بعنوان: الاهتمام بتعليم القرآن الكريم.

(٨) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٠.

(٩) الجلالين.

إنّ ناشئة اللّيل: إنّ أيّ ساعةٍ تَهَجَّدَ فيها متهجّدٌ من اللّيل بعد العشاء[١]وإنّ العبادة الّتي تنشأ باللّيل[٢]

هي أشدّ وطَئاً: قراءة القرآن باللّيل أثبت منه بالنّهار وأشدّ مواطأة[٣]وموافقةً للقلب على تفهّم القرآن[٤]

وأقوم قيلا: وأصوب قراءة[٥]وأبين قولا[٦] يقول ابن عبّاس: وأدنى من أن تفقهوا القرآن[٧]

إنّ لك في النّهار سبحاً طويلا: السّبح المَرُّ السّريع في الماء وفي الهواء وسرعة الذّهاب في العمل[٨] إنّ لك في النّهار تصرّفاً في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن[٩]

واذكر اسم ربّك: واذكر يا محمّد اسم ربّك فادعه به[١٠]وقل: بسم الله الرّحمن الرّحيم، في ابتداء قراءتك[١١]

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٨١.
(٢)انظر الكشّاف ٣/٢٨١.
(٣) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٢.
(٤) انظر الجلالين.
(٥) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٢.
(٦) الجلالين.
(٧) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٣.
(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني: "سبح"١/٢٩٢.
(٩) الجلالين.
(١٠) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٣.
(١١) الجلالين.

وتبتّل إليه تبتيلا: وانقطع إليه انقطاعاً لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره. وهو من قولهم: تبتّلت هذا الأمر[١]وتبتّل إلى الله: تفرّغ لعبادته[٢]وانقطع للعبادة[٣]ومنه قيل لأمّ عيسى ابن مريم: البتول، لانقطاعها إلى الله. ويقال للعابد المنقطع عن الدّنيا وأسبابها إلى عبادة الله: قد تبتّل. ومنه الخبر الّذى رُوِيَ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه نهى عن التّبتّل[٤]قال ابن عبّاس: أَخْلِصْ له إخلاصا[٥].

لا إله إلاّهو: لا ينبغى أن يُعْبَد إلهٌ سوى الله الّذى هو ربّ المشرق والمغرب[٦]

فاتّخذه وكيلا: موكولاً له أمورك[٧]فيما يأمرك وفوّض إليه أسبابك[٨]

واهجرهم هجراً جميلاً: الهجر الجميل هو الهجر في ذات الله[٩]وهو الّذى لاعتاب معه ولا جزع فيه[١٠]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٨٣.

(٢) المعجم الوسيط : "بتل".

(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "بتل" ١/٤٦.

(٤) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٣.

(٥) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٣.

(٦) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٤.

(٧) الجلالين.

(٨) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٤.

(٩) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٤.

(١٠) تفسير ابن كثير ٨/٢٨٢والجلالين.

وذرنى والمكذّبين: فدعنى يا محمّد والمكذّبين بآياتى[١]

أولى النَّعمة: أهل التّنعّم في الدّنيا[٢]

ومّهلهم قليلا: وأخّرهم بالعذاب الّذى بسطته لهم قليلاً حتىّ يبلغ الكتاب أجله[٣]وقد مهّلته إذا قلت له مهلا. والمَهْل التّؤدة والسّكون[٤]

أنكالاً: قيوداً ثقالاً، جمع نكل بكسر النّون[٥]

وجحيما: وناراً محرقة[٦]مأخوذة من الجَحْمة وهي شدّة تأجّج النّار[٧]والجَحْمة بفتح الجيم وضمّها النّار الشّديدة التّأجج[٨]

وطعاماً ذا غصّة: وطعاماً يَغَصّ به آكله، فلا هو نازلٌ عن حلقه، ولا هو خارجٌ منه[٩]قال ابن عبّاس: شوكٌ يأخذ بالحلق فلا يدخل ولا يخرج[١٠]

يوم ترجف الأرض والجبال: رجفان ذلك اضطرابه بمن عليه. وذلك يوم القيامة[١١] أي تزلزل[١٢]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٨٤.
(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٨٤.
(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٨٤.
(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "مهل"٢/٦١٦.
(٥) الجلالين وانظر مفردات الرّاغب الأصفهانى: "نكل"٢/٦٥٥.
(٦) الجلالين.
(٧) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "جحم" ١/١١٥.
(٨) المعجم الوسيط: "جحم".
(٩) تفسير الطّبري ٢٩/٨٥.
(١٠) تفسير الطّبري ٢٩/٨٥.
(١١) تفسير الطّبري ٢٩/٨٥.
(١٢) تفسير ابن كثير ٨/٢٨٢والجلالين.

كثيباً: رملاً مجتمعا[١]

مهيلاً: سائلاً متناثراً. والمهيل مفعول من قول القائل: هلت الرّمل فأنا أهيله، وذلك إذا حَرَّك أسفله فانهال عليه من أعلاه[٢]

إنّا أرسلنا إليكم: أيّها النّاس[٣]ويا أهل مكّة[٤]

رسولاً: هو محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم[٥]

شاهداً عليكم: بأعمالكم[٦] يوم القيامة[٧]

كما أرسلنا إلى فرعون: مصر[٨]

رسولا: هو موسى عليه الصّلاة والسّلام[٩]

فأخذناه أخذاً وبيلا: فأخذناه أخذاً شديداً، فأهلكناه ومن معه جميعاً. وهو من قولهم: كلأٌ مُسْتَوْبَلٌ إذا كان لا يُسْتَمْرأ وكذلك الطّعام[١٠]

---

(١) الجلالين.
(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٥.
(٣) تفسير الطّبرى٢٩/٨٦.
(٤) الجلالين.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير ابن كثير ٨/٢٨٢.
(٧) الجلالين.
(٨) تفسير الطّبري ٢٩/٨٦.
(٩) الجلالين والمحرّر الوجيز ١٦/١٥٠.
(١٠) تفسير الطّبري ٢٩/٨٦.

فكيف تتقون: الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر. كيف اسم استفهام في محلّ نصب حال من فاعل تتّقون. تتّقون: في محلّ جزم جواب شرطٍ مقدّر أي: إن جحدتم يوم القيامة فكيف تتّقون[1]

يوماً: مفعولٌ به عامله تتّقون بحذف مضاف، أي عذاب يوم[2]

يجعل الولدان: جمع وليد، ويقال لمن قرب عهده بالولادة[3]

شيبا: جمع أشيب[4] وإنّما تشيب الولدان من شدّة هول يوم القيامة وكَرْبِه[5]

السّماء منفطرٌ به: أي ذات انفطار أي انشقاق بذلك اليوم لشدّته[6]وذكّرت السّماء في هذا الموضع لأنّ العرب تذكّرها وتؤنّثها، فمن ذكّرها وجّهها إلى السّقف كما يقال: هذا سماء البيت لسقفه[7]

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١١/١٣.

(٢) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١١/١٣.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "ولد" ٦٩٠/٢.

(٤) الجلالين.

(٥) تفسير الطّبري ٨٦/٢٩.

(٦) الجلالين.

(٧) تفسير الطّبري ٨٧/٢٩.

إنّ هذه: إنّ هذه الآيات الّتى ذكر فيها أمر القيامة وأهوالها وما هو فاعلٌ فيها بأهل الكفر[١]

تذكرة: عبرةٌ وعظةٌ لمن اعتبر بها والِّعظ[٢]

فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلا: فمن شاء من الخلق اتّخذ إلى ربّه طريقاً بالإيمان به والعمل بطاعته[٣]

يا أيّها الملتفّ بثيابه حين يجيء الوحي خوفاً منه لهيبته، قم اللّيل مصلّياً وداعياً ربّك عزّ وجلّ إلاّ قليلاً منه. قم نصف اللّيل، أو انقص منه قليلاً إلى الثّلث، أو زد على النّصف إلى الثّلثين، ورتّل القرآن الكريم ترتيلا، فأعط كلّ حرفٍ حَقَّهُ ومُسْتَحَقَّه، وأعط كلام ربّك حقّه من الوقف والابتداء، واقرأه بتأنّ، وتدبّر معانيه برويّة، بحيث يكون التّرسَل كالزَّهْر النّضيد، أو كالثَّغْر المرتّل الّذى اتّسقت أسنانه وتساوت، في تناسبٍ بديع، وتناغم رفيع، وترتيب نضيد، وبياضٍ ناصع . إنّا سنلقى عليك يا محمّد قولاً ثقيلاً تكاليفه والعمل به. إنّ قيام ساعات اللّيل للعبادة وتلاوة القرآن الكريم في الصّلاة على جهة الخصوص أشدّ موافقةً للقلب كي يستقبل معاني أي الكتاب العزيز ويَهَشَّ لها، وملاءمةً للعقل كي يتفكّر ويتدبّر، وأقوم قيلا، وأصوب قراءة، وأصحّ نطقا. إنّ لك يا محمّد في النّهار انغماساً في أشغالك فلا تفرغ لتلاوة القرآن الكريم فعليك باللّيل. واذكر اسم ربّك جلّ وعلا في ابتداء أعمالك بقول: بسم الله الرّحمن الرّحيم، واذكر ربّك ذكراً كثيراً بقلبك ولسانك وجوارحك، وانقطع لعبادة الله تعالى، وانْوِ بأعمالك كُلِّها مرضاة ربّك عزّ وجلّ، تكن أعمالك عبادةً لله تعالى.

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٧.
(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٧.
(٣) تفسير الطّبرى ٢٩/٨٧.

إنّه ربّ كلّ مشرقٍ وكلّ مغربٍ للشمس والقمر وكلّ نجمٍ وكوكب، لا إله إلاّ هو، ولا معبود بحقّ أحدٌ سواهُ، فاتّخذه وكيلك وناصرك ومتولّي أمرك. واصبر يا محمّد على ما يقول قومك كفّار مكّة، واهجرهم هجراً جميلاً لا شكوى معه ولا تضجّر حتّى يأتى الله تعالى بالفتح. ودعنى يا محمّد والمكذّبين لك أولى التّنعّم وكفر النّعمة ومهّلهم وقتاً قليلاً، أستدرجهم فيه بالنّعم حتّى آخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر.

إنّ لدينا يوم القيامة قيوداً ثقالاً هي الأنكال الّتى تقيّد بها الدّوابّ أساساً لمنعها من الحركة، وناراً محرقةً شَدِيدَةَ التِّأجّج والاشتعال. كما أنّ لدينا طعاماً كالشّوك والزّقّوم ونحوهما من الطّعام الّذى يَغَصّ به آكله ويَنْشَب في حلقه فلا ينزل إلى المعدة ولا يخرج من الفم، وعذاباً شديد الإيلام. ذلك العذاب يوم تضطرب الأرض والجبال، وكانت الجبال رملاً مجتمعاً سائلاً.

إنّا أرسلنا إليكم يا كفّار مكّة رسولاً شاهداً عليكم يوم القيامة كما أرسلنا إلى فرعون مصر رسولاً هو موسى عليه السّلام. فعصى فرعون الرّسول فأخذناه أخذاً شديدا، فَخُذُوا حذركم يا كفّار مكّة قبل فوات الأوان . فكيف تتّقون إن ظللتم على كفركم وكيف تدفعون عذاب يوم يجعل الأطفال حديثى العهد بالولادة شيباً من شدّةً هول يوم القيامة وكَرْبِه. السّماء منفطرةٌ ومتشقّقةٌ بذلك اليوم. كان وعد الله تعالى بقيام ذلك اليوم والحساب والجزاء فيه مفعولا. إنّ هذه الآيات الكريمات الّتى تتحدّث عن عذاب يوم القيامة تذكرةٌ وموعظةٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السّمع الواعي وهو شهيدٌ بقلبه. فمن شاء النّجاة اتّخذ إلى ربّه عزّوجلّ سبيلاً من الطّاعة، وطريقاً من عمل الصّالحات.

(٢)

((اِقْرَأُوا ما تَيَسَّرَ من القرآن الكريم في القيام وغير القيام، وأقيموا الصّلاة وآتُوا الزّكاة وافعلوا الخير واستغفروا الله تعالى))

الآية (٢٠)

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

والله يقدّر اللّيل والنّهار: أي تارةً يعتدلان، وتارةً يأخذ هذا من هذا، أو هذا من هذا[١]

علم أن لن تحصوه: علم الله تعالى أنّه[٢]لن تحصوا الفرض الّذى أوجبه عليكم[٣]ولن تحفظوا مواقيت اللّيل[٤]وفي الحديث: استقيموا ولن تُحْصوا، واعلموا أنّ خير أعمالكم الصّلاة، أي استقيموا في كلّ شَيْءٍ حتّى لا تميلوا، ولن تطيقوا الاستقامة، من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي لن تطيقوا عدّه وضبطه[٥]

هو خيراً: خيراً مفعولٌ به ثانٍ منصوب[٦]

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/٢٨٤.
(٢) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه١١/١١٤والجلالين.
(٣) تفسير ابن كثير ٨/٢٨٤.
(٤) معانى القرآن للفرّاء ٣/٢٠٠.
(٥) النّهاية في غريب الحديث والأثر١/٣٨٩وانظر ٣٩٧.
(٦) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١/١١٥.

أجراً: تمييز منصوب[1]

إنّ ربّك يا محمّد يعلم أنّك تقوم أقلّ من ثلثي اللّيل، ونصف اللّيل، وثلث اللّيل، ويقوم معك طائفةٌ من الّذين معك يا محمّد من الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم. إن الله تعالى يقدّر اللّيل والنّهار، ويعيّن طولهما وقصرهما خلال العام، علم أنّه لن تحصوا الفرض الّذى أوجبه عليكم ولن تطيقوا ذلك النّوع من قيام اللّيل، فأرشدكم إلى التّوبة، وقَبِل التّوبة منكم، فضلاً منه عزّ وجلّ ونعمة، فاقرأوا الآن[2] في القيام ليلاً وفي غير القيام ما تَيَسَّر من القرآن الكريم.علم أنّه سيكون منكم مرضى، وآخرون يضربون في الأرض يبتغون الرّزق من فضل الله تعالى، وآخرون يقاتلون في سبيل الله تعالى حينما يُفْرَض عليكم الجهاد مستقبلاً في المدينة المنوّرة، فاقرأوا ما تيسّر منه. وأقيموا الصّلاة الرّكن الثّانى من أركان الإسلام بكلّ اركانها وشروطها وواجباتها وسننها، وأعطوا الزّكاة الرّكن الثّالث من أركان الإسلام، فئاتها الثّمان، وأقرضوا الله تعالى قرضاً حسناً، وأنفقوا في سبيل الله تعالى عن طيب نفسٍ ورضا خاطر. وما تقدّموا لأنفسكم في الدّنيا من خيرٍ تجدوه في الآخرة عند الله تعالى، هوخيراُ، وأعظم أجراً، واستغفروا الله تعالى، إنّ الله تعالى غفورٌ رحيم.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١/١١٥

(٢) تأخّر نزول هذه الآية الكريمة عاماً كاملاً بعد نزول صدرها.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١.سورة المزّمّل من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١]

٢.عدد آيات السّورة الكريمة عشرون آيةً كريمة. وعدد كلماتها مائتان وثمانٍ وخمسون كلمة. وعدد حروفها ثمانمائة وثمانية وثمانون حرفاً[٢]

٣. سمّيت السّورة الكريمة سورة المزّمّل لمجيء لفظ المزّمّل في الآية الكريمة الأولى.

٤. سورة المزّمّل الكريمة من أوائل سور القرآن الكريم نزولا. جاء في الإتقان[٣] :"وكان أوّل ما أنزل من القرآن: أقرأ باسم ربّك، ثمّ ن، ثمّ يا أيّها المزّمّل، ثمّ يا أيّها المدّثّر.." وهذا المعنى يؤكّده ما جاء في الصّحيحين[٤]فإنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد أن أَوْحَى الله تعالى إليه بواسطة جبريل عليه السّلام في غار حراءٍ الآيات الخمس الأُوَل من سورة العَلَق " فرجع بها رسول الله

---

(١) انظر–مثلاً– الإتقان ٤٢/١ والجلالين وتفسير ابن كثير٨/ ٢٧٥ وفي ظلال القرآن ٣٧٤٠ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦٦/٢٩ والمحرّر الوجيز ١٤٤/١٦ والبحر المحيط٣٥٨/٨ وتفسير القرطبي ٦٨٢٣.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦٦/٢٩.

(٣) الإتقان ٤٢/١.

(٤) فتح البارى ٢٢/١حديث رقم ٣ كتاب: بدء الوحي وصحيح مسلم ١/ ١٤١حديث رقم ١٦٠باب بدء الوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

صلّى الله عليه وسلّم يرجف فؤاده[1]فدخل على خديجة بنت خويلدٍ ﵂ فقال: زمّلوني، فزمّلوه حتّى ذهب عنه الرَّوع"[2]

وجمهور العلماء على أنّ الآية الكريمة الأخيرة من السّورة الكريمة وفيها التّخفيف والرّحمة من الله تعالى البَرّ الرّءوف الرّحيم قد تأخّر نزولها عن صدر السّورة الكريمة زهاء سنةٍ واحدة[3] وممّا جاء في هذا المعنى ما رواه الإمام مسلم في صحيحه[4] عن سعد ابن هشام بن عامر أنّه دخل على أمّ المؤمنين عائشة ﵂ فسألها عن خُلُق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأجابته ثمّ سألها: "أنبئيني عن قيام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالت: ألست تقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾؟ قلت بلى. قالت: فإنّ الله عزّ وجلّ افترض قيام اللّيل في أوّل هذه السّورة. فقام نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه به حَوْلاً. وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السّماء حتّى أنزل الله في آخر هذه السّورة التّخفيف. فصار قيام اللّيل تطوّعاً بعد فريضة".

---

(١) رواية مسلم: "ترجف بوادره" معنى ترجف ترعد وتضطرب. والبوادر جمع بادرة وهي اللّحمة الّتى بين المنكب والعنق.

(٢) الرّوع هو الفزع.

(٣) انظر –مثلاً– تفسير الطّبرى٢٩/٧٨ وتفسير ابن كثير ٨/٢٨٠و٢٨١وتفسير القرطبى ٦٨٢٦و٦٨٢٨و٦٨٢٩.

(٤) ١/ ٥١٣ حديث رقم ٧٤٦.

٥.شأن سورة المزّمّل شأن سائر المكّيّ من القرآن الكريم الّذى يُعْنَى بأسس العقيدة. وفي السَّورة الكريمة عنايةٌ بقيام اللّيل في أوّلها وفي نهايتها. وقد تجلّت رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين بقيادة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في الآية الكريمة العشرين الّتى كان فيها التّخفيف بشأن قيام اللّيل. وفي السّورة الكريمة تسليةٌ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حينما يتكفّل الحقّ جلّ وعلا بعقاب المكذّبين للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبعذابهم في الأولى والآخرة، وحينما يشار إلى إرسال الحقّ جلّ وعلا موسى عليه السّلام إلى فرعون مصر الّذى أخذه الله تعالى أخذاً وبيلا. وهكذا كان عنصر التّرهيب بارزاً في السّورة الكريمة.

٦. تنادى السّورة الكريمة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في الآية الكريمة الأولى بصفةٍ من صفاته عليه الصّلاة والسّلام: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ وهذا النّوع من النّداء امتدادٌ لنداءات القرآن الكريم له صلّى الله عليه وسلّم وأَهَمّها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾و ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ والمعروف أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم هو النّبيّ الوحيد الّذى ينادَى في القرآن الكريم بإحدى صفاته وليس باسمه عليه الصّلاة والسّلام.

٧. العناية بالقيام في السّورة الكريمة تَعْنِي ضِمْناً العناية بكلّ من العبادة، وبخاصّةٍ الصّلاة، وبتلاوة القرآن الكريم.

٨.إذا كان الحقّ جلّ وعلا قد يسّر القرآن الكريم للذِّكْر أي التّلاوة فإنّ الحقّ جلّ وعلا جعل القرآن الكريم قولاً ثقيل التّكاليف شاقّ التّبِعات. إنّ ثمّة مراحل ثلاثاً ترتبط بالقرآن الكريم وهي التِّلاوة، وفهم المعنى، وتطبيق المراد من القرآن الكريم عَمَلاً. إنّ العمل بالقرآن الكريم هو المرحلة الثّالثة الأشدّ صعوبةً ومشقّة.

٩. تشير السّورة الكريمة إلى بعض أهوال يوم القيامة. ومن هنا كانت السّورة الكريمة تذكرةً وموعظة.

١٠. ممّا أَوْمَأَتْ إليه السّورة الكريمة في مجال الإنباء بالغيب ضرب المسلمين في أرض الله تعالى للتّجارة، وتتمّ هذه العمليّة وقت السِّلْم. والجهاد في سبيل الله تعالى مستقبلاً بعد الهجرة. إنّ كلّ ما أومأ إليه القرآن الكريم في هذا المجال من إعجازه قد تحقّق، بما في ذلك وجود المرضى من المسلمين الّذين شملتهم رحمة الله تعالى بالتّخفيف في مجال القيام ليلاً.

١١.يُشار إلى التّجارة كما يُشار إلى الجهاد في سبيل الله تعالى وفي هذا تنويةٌ بشأن التّجارة.

١٢.في السّورة الكريمة حثٌّ على عمل الكثير من الطّاعات في مجالي الفرض والنّفل على السّواء، ويأتى على رأس الفرائض إقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة.

١٣. ثمّة مجموعةٌ من الألفاظ والصِّيغ لم تأت إلاّ في السّورة الكريمة نذكر منها:
﴿ ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾: ﴿ نِّصْفَهُۥ ﴾ في موضعين اثنين: ﴿ زِد ﴾ : ﴿ وَرَتِّلِ ﴾: ﴿ نَاشِئَةَ ﴾: ﴿وَطْـًٔا ﴾: ﴿ وَتَبَتَّلْ ﴾: ﴿ تَبْتِيلا ﴾ : ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا ﴾: ﴿ وَمَهِّلْهُمْ ﴾:﴿ أَنكَالا ﴾: ﴿ غُصَّة ﴾ : ﴿ كَثِيبًا ﴾: ﴿ مَّهِيلا ﴾ : ﴿ وَبِيلا ﴾ : ﴿ شِيبًا ﴾ : ﴿ مُنفَطِر ﴾: ﴿ يُقَدِّرِ ﴾ : ﴿ لَّن تُحْصُوهُ ﴾.

١٤.نودّ أن نبيّن بإيجازٍ أخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض وَوَحْدَتَهَا العضويّة. تأمّر السّورة الكريمة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بقيام اللّيل، وتبيّن ثِقَلَ تكاليف القرآن الكريم، كما تأمره عليه الصّلاة والسّلام بالانقطاع لعبادة الله تعالى وبالصّبر على تكذيب قومه عليه الصّلاة والسّلام. وهذه التّسلية تتحوّل تهديداً للكافرين، وتحذيراً لهم من أن يكون مصيرهم كمصير قوم فرعون الطّاغية، الّذين اجتمع لهم خزي الأولى والآخرة، فعلى الجميع أن يتّعظ بهذه السّورة الكريمة، وبما جاء فيها من وصف عذاب يوم القيامة الّذى يجعل الولدان شيبا. ثمّ تأتى الآية الكريمة الأخيرة الّتى تَأَخَّرَ نُزُولُها اثني عشر شهراً فيما يقال، وفيها التّخفيفُ من الله تعالى والرّحمةُ بالمؤمنين في مجال القيام وقراءة القرآن

الكريم،خاصّةً في حقِّ المرضى، والمسافرين سفر طاعة، والمجاهدين في سبيل الله تعالى، وقد اقترن بالتّخفيف والرّحمة الحثّ على إقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وإقراض الله تعالى قرضاً حسنا، واستباق الخيرات، واستغفار الله تعالى.

وهكذا تتأكّد الوحدة العضويّة للسّورة الكريمة.

وصلّى الله عليه وسلّم علي سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
مساء يوم الأربعاء ١٤٢٣/١٢/١١هـ
الموافق ١٢/ ٢/٢٠٠٣م

ثامناً
سورة المُدَّثِّر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ
﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ
يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ
يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ
فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ
ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾
لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا
جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ
وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾
نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ

رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾
مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ
ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾
حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ
مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ
مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ
تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ
ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((يا أيّها المتدثّر قم فأنذر قومك يوم القيامة العسير، وأنذر العنيد الّذى زعم أنّ القرآن الكريم قول البشر))

الآيات (١-٢٥)

يا محمّد، يا أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم، يا أيّها المتدثّر المتلفّف بدثاره الّذى يلى الشِّعار الملامس لشعره وجسده، هيبةً من نزول الوحي عليه، ومقابلة جبريل عليه السّلام له، قم فأنذر قومك بين يدي يوم الحساب والجزاء. وربّك ذا الكبرياء فكبّره بقول: الله أكبر في الصّلاة وفي غير الصّلاة، وثيابك فطهّر من النّجاسة وجَسَدَك. والأصنام والأوثان فدم على هجرها. ولا تعط عطيّةً تلتمس بها أفضل منها. ولربّك فاصبر على البلاء والطّاعات.

فإذا نَقَرَ إسرافيل عليه السّلام في النّاقور، ونفخ في البوق النّفخة الثّانية الّتى تُحْيِى بإرادة الله تعالى الخلائق، فذلك اليوم والوقت يومٌ عسير، ووقتٌ شديد الصّعوبة. على الكافرين غير يسير، وعلى المؤمنين بإذن الله تعالى جدّ يسير.

اتركنى يا محمّد ومن خلقته وحيداً، وأخرجته من بطن أمّه لاثياب عليه ولا مال له ولا ولد ولاجاه، ولا تشغل بالك به، فأنا أكفيك أمره، وأدرأ عنك شرّه. وقد جعلت له مالاً واسعاً من الدّنانير والزّروع والضّروع والتّجارة، وبنين يشهدون المجالس، ويحضرون ولا يسافرون للتّجارة وغيرها، فقد كُفوا مئونة السّفر بالخَدَم والحَشَم. ويسَّرت له كلّ أموره تيسيرا. ثمّ يطمع أن أزيده من هذه النّعم وهو الكافر الكفور للنّعم. كلاّ، لن أزيده من

النّعم، إنّه كان لآياتنا البيّنات مُعانِدا، ولرسولنا الكريم مكذّبا، سأكلّفه مشقّةً من العذاب ، وألزمه صعوبةً من العقاب.

إنّه حينما سمع آيات القرآن الكريم فكّر وتدبّر، وقدّر في نفسه ما يطعن به القرآن الكريم واستعدّ وتهيّأ. هلاكٌ له ولعنٌ وطردٌ من رحمة الله تعالى كيف فكّر وتدبّر. ثمّ هلاكٌ له ولعنٌ وطردٌ من رحمة الله تعالى كيف فكّر وتدبّر. ثمّ نَظَر وأنعم النّظر وتأنّى وتروّى. ثمّ عبس وقبض ما بين حاجبيه دليل الحسد والبغض وضيق العَطَن. وكَلَحَ وَجْهُه وزاد عُبوسُه دليل عمى البصر والبصيرة وانحراف الفكر وقصِرَ النّظر. ثمّ أدبر بجسده ونفر بقلبه رغبةً عن سماع صوت الحقّ وبُغْضاً لرسولنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم، واستكباراً في نفسه عن عبادتنا، والسّجود لنا، والانقياد لمشيئتنا. فقال عن القرآن الكريم العجيب النّظم، البديع المعنى: ما هذا الّذى أسمع إلاّ سحرٌ يُنْقَل عن ساحر، ويُرْوَى عن أهل بابل. ما هذا إلاّ قول بنى آدم، وليس كلام ربّ العالمين.

(٢)

((خزنة جهنّم الّتى لا تُبْقِى ولا تذر ملائكة،وجهنّم إحدى الدَّواهى العظام))

الآيات (٢٦–٣٧)

سأدخل هذا الكذّاب الأثيم يوم القيامة سقر.وما أدراك يا محمّد ويا أيّها الإنسان ما سقر. إنّها نارٌ لا تُبْقى أحداً دخلها إلاّ أهلكته، ولا شيئاً إلاّ أَفْنَتْه ، ولا تذر نوعاً من أنواع العذاب إلاّ أتت عليه ومارسته. إنّها محرقةٌ لجلود أصحابها حتّى تكون أشدّ سواداً من اللّيل البهيم. عليها تسعة عشر من الخَزَنَة والزَّبانية.

وما جعلنا خزية جهنّم وزبانيتها إلاّ ملائكةً غلاظاً شدادا. وما جعلنا عددهم تسعة عشر ملكاً إلاّ ابتلاءً لّلذين كفروا كي يزدادوا عمًى إلى عماهم، ليستيقن الّذين أوتوا الكتاب من اليهود والنّصارى أنّ القرآن الكريم موحًى به من ربّ العالمين، الّذى أوحى كلاًّ من التّوراة والإنجيل، وفيهما العدد نفسه، ويزداد الّذين آمنوا من أمّة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم إيماناً بأنّ القرآن الكريم قد أوحاه الله تعالى الّذى أوحى إلى موسى وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام كلاًّ من التّوراة والإنجيل. ولا يشكّ الّذين أوتوا الكتاب من اليهود والنّصارى أنّ الكتب الثّلاثة، التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم موحًى بها من ربّ العالمين. ولا يشكّ كذلك المؤمنون من أمّة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم. ولِيَقُولَ مستقبلاً الّذين فى قلوبهم مرض النّفاق والكافرون من أهل مكّة وغيرهم: ماذا أراد الله تعالى بهذا التّحديد لعدد زبانية جهنّم ، ذلك التّحديد العجيب الغريب الرّهيب الّذى يجرى على الألسنة مجرى الأمثال السّائرة، والأقوال العجيبة الغريبة الطّائرة! لماذا لا يكون العدد على سبيل المثال عشرين بدلاً من العدد تسعة عشر الّذى ينقص عن العشرين واحداً فقط !

كما أضلّ الله تعالى الكافرين وهدى المؤمنين، يضلّ الله تعالى بمثل هذا العدد من يشاء من الكافرين الّذين لا يكفّون عن طرح أمثال هذه الأسئلة الّتى لا فائدة من ورائها، ويهدى من يشاء من المؤمنين الّذين يقولون إنّ كلّ القرآن الكريم من عند ربّنا عزّ وجلّ، فنحن نؤمن بهذا القرآن الكريم ونَهتدى بهداه. وما يعلم جنود ربّك يا محمّد ويا أيّها الإنسان إلاّ هو عزّ وجلّ. وليس عدد الملائكة مقصوراً على التّسعة عشر. وما سقر الّتى عليها تسعة عشر من الملائكة إلاّ موعظةٌ للبشر.

ليس الأمر كما يقول الّذى يزعم أنّه يستطيع أن يكفي المشركين خزنة جهنّم وبطشهم، والقمر إذا صار بدرا، واللّيل إذ أدبر وذهب، والصّبح إذا ظهر واقترب، إنّ سقر لإِحْدَى الدّواهى العظام، نذيراً للبشر، فخذوا حذركم أيّها الأنام، لمن شاء منكم أن يتقدّم إلى الجنّة بفعل الخير والحسنات، أو يتأخّر إلى النّار بفعل الشّرّ والسّيّئات.

(٣)

((بعض أسباب دخول المجرمين جهنّم، ومنها فِرارُهُمْ من سماع القرآن الكريم، وعَدَمُ الإيمان بالبعث، وعَدَمُ الاتّعاظ بالقرآن الكريم))

الآيات (٣٨-٥٦)

كلّ نفسٍ مرهونةٌ بما عملت من معاص. إلاّ أصحاب اليمين الّذين يُؤْتَوْن كتب أعمالهم بأيمانهم ويؤخذ بهم إلى الجنّة ذات اليمين فإنّهم فَكُّوا رهن أنفسهم في الآخرة بأعمالهم الصّالحة في الدّنيا. إنّهم في جنّاتٍ يسأل بعضهم بعضاً عن المجرمين ويحكى بعضهم لبعض سؤالهم للمجرمين. ما أدخلكم في سَقَر وفى أعماق الجحيم. قالوا لم نك من المصّلين ولم نكن نعبد الله تعالى حقّ العبادة، ولم نك نطعم المسكين فلم نؤت زكاةً ولم نقدّم صدقةً ولا بِرّاً ولا معروفا. وكنّا نخوض في حَمْأَةِ الباطل مع الخائضينَ. وكنّا نكذّب بيوم القيامة يوم الجزاء. حتّى أتانا اليقين ونحن لا نزال في ضلالنا المبين. فما تنفعهم شفاعة الشّافعين من الملائكة والنّبيّين والعلماء والشّهداء والصّالحين لأنّ المشفَّع فيهم هم الّذين رضي الله تعالى عنهم من المُوَحِّدين.

فما لكفّار مكّة عن القرآن الكريم التّذكرة والموعظة معرضين. كأنّهم لفرط سفههم حمر الوحش النّافرة بطبعها، الّتى فرّت من أسدٍ هصور، يحبّ مطاردتها وأكلها بمقدار كرهها له وخوفها منه.

ما لهؤلاء المشركين الّذين يفرّون من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فِرار حمر الوحش من الأسد لا يدركون أنّ القرآن كلام ربّ العالمين. بل يريد كلّ واحدٍ منهم أن يُؤْتَى صحفاً منشورةً غير مطويّةٍ مقروءةً ومفهومةً بأنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم رسول ربّ العالمين. ليس الأمر كما يتمنّى كلّ واحدٍ منهم أن يؤتى صحفاً مُنَشَّرَة، بل الحقيقة أنّهم لا يخافون الآخرة ولا يعملون من أجلها. حقّاً إنّ القرآن الكريم موعظة. فمن شاء قرأ القرآن الكريم وفهمه واتعظ به. وما يتّعظون بالقرآن الكريم إلاّ أن يشاء الله تعالى ذلك. إنّ ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن. والله تعالى هو الأهل بأن يُتَّقّى عذابه بفعل الأوامر واجتناب النّواهى، والأهل لأن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب.

التَّفْسِير

(١)

((يا أيّها المتدثّر قم فأنذر قومك يوم القيامة العسير، وأنذر العنيد الّذى زعم أنّ القرآن الكريم قول البشر))

الآيات (١-٢٥)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤
وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧

يا أيّها المدّثّر: يا أيّها المتدثّر بثيابه عند نومه[١]أصله المتدثّر أدغمت التّاء في الدّال، أي المتلفّف بثيابه وعند نزول الوحي عليه[٢] والدِّثار:الثّوب الّذى يكون فوق الشِّعار[٣]والشِّعار: ما وَلِيَ جسد الإنسان دون ما سواه من الثّياب[٤] وما لامس الشّعر من الثّياب.

قم فأنذر: قم يا محمّد من نومك فأنذر عذاب الله قومك الّذين أشركوا بالله وعبدوا غيره[٥]

وربّك فكبّر: وربّك يا محمّد فَعَظِّمْ بعبادته والرّغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد[٦]

وثيابك فطهّر: عن النّجاسة[٧]قال قتادة: هي كلمةٌ من العربيّة. كانت العرب تقولها: طهّر ثيابك أي من الذّنوب[٨]والمعاصى. فكانت العرب تسمّى الرّجل إذا نكث ولم يف بعهد: إنّه دَنِس الثّياب. وإذا وَفَى وأصلح قالوا: مُطَهَّرُ الثّياب[٩]

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٩٠.
(٢) الجلالين وانظر مفردات الرّاغب الأصفهانى: "دثر"١/٢٢٠والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/١١٨.
(٣) المعجم الوسيط: "دثر" وانظر الكشّاف٣/٢٨٤.
(٤) المعجم الوسيط:"شعر".
(٥) تفسير الطّبري ٢٩/٩١.
(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٩١.
(٧) الجلالين وانظر الكشّاف ٣/٢٨٥.
(٨) تفسير الطّبري ٢٩/٩٢.
(٩) تفسير الطّبري ٢٩/٩٢.

والرّجز فاهجر: والأوثان فاهجر عبادتها واترك خدمتها[١]

ولا تمنن تستكثر: قال ابن عبّاس: لا تعط عطيّةً تلتمس بها أفضل منها [٢]

ولربّك فاصبر: على ما لقيت فيه من المكروه[٣]

سبب النّزول:

رَوَى البخاريّ في صحيحه[٤]عن "جابر بن عبد الله[٥]أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحدّث عن فترة الوحي[٦]فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السّماء، فرفعت بصرى قِبَل السّماء فإذا الملك الّذى جاءنى بحراء قاعدٌ على كرسيّ بين السّماء والأرض، فَجُئِثْت[٧] منه حتّى هَوَيْتُ إلى الأرض. فجئت أهلى فقلت: زمّلونى زمّلونى فزمّلونى. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ إلى قوله : ﴿ فَٱهۡجُرۡ ﴾...ثمّ حَمِي الوحي وتتابع .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٩/٩٢وانظر فتح البارى ٨/٦٧٩حديث رقم ٤٩٢٥ورقم ٤٩٢٦وصحيح مسلم١/١٤٣ حديث رقم ١٦١.

(٢) تفسير الطّبري ٢٩/٩٣.

(٣) تفسير الطّبري ٢٩/٩٤.

(٤) فتح البارى ٨/٦٧٩حديث رقم ٤٩٢٦وانظر ٦٧٨حديث رقم ٤٩٢٥وصحيح مسلم ١/ ١٤٣حديث رقم ١٦١.

(٥) زاد مسلم في صحيحه: "الأنصاريّ(وكان من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)" .

(٦) يعنى احتباسه وعدم تتابعه وتواليه فى النّزول. صحيح مسلم١/ ١٤٣هامش ١

(٧) أي فزعت ورعبت. وكذا جئثت. صحيح مسلم هامش ٣.

يا محمّد، يا أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم، يا أيّها المتدثّر بثيابه المتلفّف فيها هيبةً من نزول الوحى عليه، قم من فراشك فأنذر قومك بين يدى يومٍ ذى عذابٍ شديد. وربّك جلّ وعلا فكبّره وعظّمه في الصّلاة وفي غير الصّلاة، فهو عزّ وجلّ أكبر من كلّ كبير، وأعظم من كلّ عظيم. وثيابك فطهّر من النّجاسة، ونفسك من الذّنوب والآثام والمعاصى. والأوثان دُمْ على هجرك ونبذك لها. ولا تُعْط عطيّةً تلتمس بها عطيّةً أكبر منها في المقابل، بل عليك أن تُعْطِى باستمرارٍ من فضل الله تعالى عليك معنويّاً ومادّيّا. ولربّك فاصبر، ولتكن تريد بأعمالك كلّها وَجْهَ ربّك الأعلى. إنّ كلّ عملٍ صالحٍ بمقياس الإسلام يريد المرء به وجه ربّه الأَعْلَى هو عبادةٌ بمعنى العبادة الواسع في الإسلام.

فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

فإذا نقر في النّاقور: فإذا نُفِخ في الصُّور وهو القَرْن، وهو شيءٌ كهيئة البوق[١]النّفخة الثّانية[٢]والنَّقْر قرع الشيء المفضى إلى النَّقْب[٣]ومنه منقار الطّائر لأنّه ينقر به الشّيء حتّى يؤثّر فيه. ونَقَرْتُ الرَّحَى بالمِنْقار، وهي تلك الحديدة. والنَّاقور: الصّور الّذى يَنْفُخُ فيه المَلَك يوم القيامة، وهو ينقر العالمين بقرعه[٤]

عسير: شديد[٥]

فإذا نفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور النّفخة الثّانية الّتى تُحْيى بإرادة الله تعالى الخلائق وتُزْعِجُهُمْ بصوتها وقَرْعِها فذلك يؤمئذٍ يومٌ عسيرٌ شديدٌ وشاقّ. على الكافرين غير يسير، ولكنّه بإذن الله تعالى يسيرٌ على المؤمنين.

---

(١) انظر تفسير الطّبرى ٢٩/٩٥.
(٢) الجلالين.
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "نقر"٢/٦٥١.
(٤) معجم مقاييس اللّغة: "نقر"٥/٤٦٨، ٤٦٩.
(٥) تفسير الطّبرى٢٩/٩٥.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

ذرنى ومن خلقت وحيدا: اتركنى[١]وكِلْ يا محمّد أمر الّذى خلقته في بطن أمّه وحيداً لا شيء له من مالٍ ولا ولدٍ إليّ. وذُكِر أنّه عَنَى بذلك الوليد بن المغيرة المخزومى. وكان يلقّب في قومه بالوَحِيد[٢]

وجعلت له مالاً ممدودا: كثيراً ممدوداً عدده أو مساحته[٣]واسعاً متّصلاً من الزّروع والضّروع والتّجارة[٤]

وبنين شهودا: قيل عشرة وقيل ثلاثة عشر[٥]كانوا يشهدون المحافل[٦]قال مجاهد: لا يَغِيبُون، أي حضوراً عنده لا يسافرون في التّجارات، بل مواليهم وأجراؤهم يتولّون ذلك عنهم وهم قعودٌ عند أبيهم، يتمتّع بهم ويَتّمَلَّى بهم[٧]

ومهّدت له تمهيدا: يقول تعالى ذكره: وبسطت له في العيش بسطا[٨]

---

(١) الجلالين.
(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٦والكشاف ٣/٢٨٦.
(٣) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٧.
(٤) الجلالين والكشّاف ٣/٢٨٦.
(٥) تفسير ابن كثير ٨/٢٩١وتفسير الطّبرى٢٩/٩٧.
(٦) الجلالين.
(٧) تفسير ابن كثير ٨/٢٩١والكشّاف ٣/٢٨٦.
(٨) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٧.

إنّه كان لآياتنا عنيدا: إنّ هذا الّذى خلقته وحيداً كان لآياتنا،وهي حجج الله على خلقه من الكتب والرّسل معانداً للحقّ مجانباً له كالبعير العَنُود[١]

سأرهقه صعودا: سأكلّفه مشقّةً من العذاب لا راحة له منها[٢]والصَّعود بفتح الصّاد: العقبة الشّاقّة والطّريق الصّاعد[٣]والصَّعود والحَدور لمكان الصّعود والانحدار، وهما بالذّات واحد، وإنّما يختلفان بحسب الاعتبار بمن يمرّ فيهما. فمتى كان المارّ صاعداً يقال لمكانه صَعود. وإذا كان منحدراً يقال لمكانه حَدور[٤]

اتركنى يا محمّد ومن خلقته وحيداً لا مال له ولا ولد أَكْفِكَ شرّه، وهو الوليد بن المغيرة المخزومى. لقد خرج من بطن أمّه وحيداً لا ثياب عليه، وقد جعلت له مالاً ممدوداً عَدَدُه ومساحته من الدّنانير والزّروع والضّروع والتّجارة. وبنين كثيرين يشهدون المحافل، ويملأون العين لّذة، والنّفس سعادة. ومهّدت له كلّ أموره ويسّرتها له. ثمّ هو يطمع أن أزيده من كلّ هذا الخير، وهو الّذى لم يقم بما يجب عليه من شكرى، بإفرادى بالعبادة، واتّباع رسولى، والاستمساك بهدىي، كلاّ ليس الأمر كما يتمنّى هذا الكافر الكفور ويطمع. إنّه كان ولازال لآياتنا عنيدا، ولحججنا معاندا، ولآياتنا مكذّبا. سأكلّفه مشقّةً من العذاب، وصُنُوفاً من العقاب، إن لم يَرْعَوِ إلى سبيل الرّشاد، ويَتّبع خير العباد صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٧.

(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٧.

(٣) المعجم الوسيط: "صعد"

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "صعد" ٢/٣٦٨.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾

إنّه فكّر: إنّ هذا الّذى خلقته وحيداً فكّر فيما أنزل الله على عبده محمّد صلّى الله عليه وسلّم من القرآن[١]

وقدّر: فيما يقول فيه[٢]وتَروَّى[٣]وقدّر في نفسه ما يقوله وهَيَّأَه[٤]

فقتل كيف قدّر: ثمّ لُعِنَ كيف قَدَّرَ النّازل فيه[٥]وعلي أيّ حالٍ كان تقديره[٦]

ثمّ نظر: ثمّ أعاد النّظرة والتَّرَوِّى[٧]

ثمّ عبس: ثمّ قبض ما بين عينيه[٨]والعُبُوس قُطُوب الوجه من ضِيق الصّدر[٩]وقَطَب[١٠]أي ضَمَّ حاجبيه[١١]

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٨.
(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٨.
(٣) تفسير ابن كثير ٨/٢٩٢.
(٤) الكشّاف ٣/٢٨٧.
(٥) تفسير الطّبرى٢٩/٩٨.
(٦) الجلالين.
(٧) تفسير ابن كثير ٨/٢٩٢.
(٨) تفسير الطّبرى٢٩/٩٨.
(٩) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "عبس"٢/٤١٦.
(١٠) تفسير ابن كثير ٨/٢٩٢.
(١١) المعجم الوسيط: "قطب".

وبسر: كلح وجهه. ومنه قول توبة بن الحُمَيِّر:

وقد رابنى منها صُدُودٌ رَأَيْتُهُ وإِعْراضُها عن حاجتى وبُسُورُها[1]

ويقال: كلح فلان: زاد عُبوسه.وكَلح الوجه وكلح في وجه غيره[2]والبَسْر الاستعجال بالشّيء قبل أوانه. ومنه قيل لما لم يُدْرك من التّمر بُسْر: ﴿ وَبَسَرَ ﴾ أظهر العُبوس قبل أوانه وفى غير وقته[3]والبُسْر: تمر النّخل قبل أن يُرْطب[4]

فقال إن هذا: فقال ما هذا[5]

إلاّ سحرٌ يؤثر: ينقل عن السّحرة[6]وينقله محمّد عن غيره ممّن قبله ويحكيه عنهم[7]ومنهم أهل بابل[8]

إن هذا إلاّ قول البشر: ما هذا الّذى يتلوه محمّد إلاّ كلام ابن آدم وما هو بكلام الله[9]

إنّ هذا الّذى خلقه الله تعالى وحيداً وغَمَرَهُ بالنِّعَم فبدّل نعمة الله تعالى كفراً قد فكّر في القرآن الكريم كلام ربّ العالمين كي يصرف النّاس عنه، وقدّر في نفسه ما يقول

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٨.
(٢) المعجم الوسيط: "كلح".
(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى: "بسر"١/٥٨.
(٤) المعجم الوسيط: "بسر".
(٥) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/١٢١.
(٦) الجلالين.
(٧) تفسير ابن كثير ٨/٢٩٢.
(٨)الكشّاف ٣/٢٨٧.
(٩) تفسير الطّبرى ٢٩/٩٩.

فيه وتَرَوَّى، فقُتِل كيف قدّر في نفسه وتَروَّى، ولعنه الله تعالى وطرده من رحمته، ثمّ قُتِل كيف قدّر في نفسه وتَرَوَّى، وأنعم النّظر فيما يقول وأدامه. ثمّ أعاد النّظر والتّروّى، ثمّ قبض ما بين حاجيبه دليل انقباض القلب، وضيق الصّدر، ثمّ ازداد العُبُوس وانقباض القلب وضيق الصّدر، فكلح الوجه وازداد العبوس في غير أوانه وموضعه. ثمّ تحوّل عبوس ما بين الحاجبين وبُسُورُ الوجه وكُلُوحُه إِعْراضَ ذلك الوجه، وإدبارَ الجسد، واستكبارَ القلب واستنكافَه أن يوحّد الله تعالى ويفرده بالعبادة. فقال هذا الأعمى البصر والبصيرة ما هذا الّذى نسمعه من محمّد إلاّ سحرٌ ينقله محمّد عن السّحرة السّابقين، ويحكيه عمّن قبله. ما هذا إلاّ قول البشر وكلام بنى آدم، وليس كلام ربّ العالمين!

(٢)

((خَزَنَةُ جهنّم الّتى لا تُبْقِى ولا تذر ملائكة،وجهنّم إحدى الدَّواهى العظام))

الآيات (٢٦-٣٧)

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

سأصليه: سأدخله[١] وسَأَغْمُرُهْ فيها من جميع جهاته [٢]

سقر: من أسماء جهنّم[٣]

لا تبقى ولا تذر: هي نارٌ لا تبقى من فيها حيّاً ولا تذر من فيها ميتاً ولكنّها تحرقهم كلّما جُدِّدَ خَلقُهُمْ[٤]

لوّاحةٌ للبشر: مغيّرة لبشر أهلها[٥] أي جلدهم[٦] قال ابن عبّاس: تحرق بشرة الإنسان[٧] والبشر جمع بشرة[٨]

---

(١) الجلالين.
(٢) تفسير ابن كثير ٢٩٣/٨.
(٣) تفسير الطّبرى ٩٩/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ٩٩/٢٩.
(٥) تفسير الطّبرى ٩٩/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ٩٩/٢٩ والكشّاف ٢٨٧/٣.
(٧) تفسير الطّبرى ١٠٠/٢٩.
(٨) المحرّر الوجيز ١٦١/١٦.

عليها تسعة عشر: ملكاً من الخزنة [١] من مُقَدَّمى الزَّبانَية، عظيمٌ خَلْقهم، غليظٌ خُلُقهم[٢]

وما جعلنا عدّتهم إلاّ فتنةً للّذين كفروا: رُوِيَ أنّ أبا جهل قال لقريش: أيعجز كلّ عشرة منكم أن يبطشوا برجلٍ من خزنة جهنّم![٣]بل إنّ واحداً من حَمْقَى المشركين قال: يا معشر قريش، اكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر، إعجاباً منه بنفسه![٤]

ليستيقن الّذين أوتوا الكتاب: قال ابن عبّاس: إنّها في التوارة والإنجيل تسعة عشر[٥]

ولا يرتاب الّذين أوتوا الكتاب والمؤمنون: ولا يشكّ أهل التّوراة والإنجيل في حقيقة ذلك، والمؤمنون بالله من أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم[٦]

وليقول الّذين في قلوبهم مرض: مرض النّفاق[٧]

والكافرون: بالله من مشركى قريش[٨]

ماذا أراد الله بهذا مثلا: المعنى: أيّ شيءٍ أراد الله بهذا العدد العجيب، وأيّ غرضٍ قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء. ومرادهم إنكاره من أصله وأنّه ليس من عند الله، وأنّه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد النّاقص[٩] فإن قلت: لم سَمَّوْهُ مثلا؟ قلت: هو استعارةٌ من المثل المضروب، لأنّه ممّا غَرُب من الكلام وبَدُع، ـــ

(١) انظر تفسير الطّبرى ٢٩/١٠٠والجلالين.
(٢) تفسير ابن كثير ٨/٢٩٣.
(٣) انظر تفسير الطّبرى ٢٩/١٠٠.
(٤) انظر تفسير ابن كثير ٨/٢٩٤ والكشّاف٣/٢٨٨.
(٥) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠١والكشّاف ٣/٢٨٨.
(٦) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠١.
(٧) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠١.
(٨) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠١.
(٩) الكشّاف ٣/٢٨٩.

استغراباً منهم لهذا العدد واستبداعاً له[١]

كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدى من يشاء: كذلك يضلّ الله من يشاء من خلقه فَيَخْذُله عن إصابة الحقّ. ويهدى من يشاء منهم فيوفّقه لإصابة الصّواب[٢]

وما يعلم جنود ربّك إلاّهو: من كثرتهم[٣]

وماهي: وما النّار الّتى وصفتها[٤]

إلاّ ذكرى للبشر: إلاّ تذكرة ذكرّ بها بنو آدم[٥]

كلاّ: ليس القول كما يقول من زعم أنّه يكفى أصحابه المشركين خزنة جهنّم حتّى يَجْهَضَهُمْ عنها[٦]

واللّيل إذ أدبر: واللّيل إذا وَلَّى ذاهبا[٧]

---

(١) الكشّاف ٣/٢٨٩.
(٢) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠٢.
(٣) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠٢والكشّاف ٣/٢٨٩.
(٤) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠٢.
(٥) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠٢.
(٦) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠٢.
(٧) تفسير الطّبرى ٢٩/١٠٢.

والصّبح إذا أسفر: والصّبح إذا أضاء[١]وأشرق[٢]

إنّها لإحدى الكُبَر: إنّ جهنّم لإحدى الأمور العظام[٣] وإحدى العظائم[٤] والبلايا العظام[٥] والكُبر جمع الكُبرى. والكبرى تأنيث الأكبر[٦]

نذيراً للبشر: نذيراً لبنى آدم[٧]

لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخّر: عن قتادة: لمن شاء منكم أن يتقدّم في طاعة الله أو يتأخّر في معصيته[٨] ولمن شاء أن يتقدّم إلى الخير أو الجنّة بالإيمان، أو يتأخّر إلى الشّرّ أو النّار بالكفر[٩]

سَأُدْخِل هذا الكافر الكفور للنّعم نار جهنّم. وما أدراك يا محمّد ما نار جهنّم! إنّها لا تُبْقى أحداً دخلها حيّا، ولا تترك له أثراً، إنّها تحرق جلود من دخلها وتجعلها أشدّ سواداً من اللّيل البهيم. عليها تسعة عشر مَلَكاً من الزّبانية العظام الخَلْق، الغلاظ الخُلُق. وما جعلنا زبانية جهنّم إلاّ ملائكةً غلاظاً شداداً. وما جعلنا عدّتهم إلاّ فتنةً للّذين كفروا وابتلاءً من الله تعالى لهم ليزدادوا عمًى على عماهم، ليستيقن الّذين أوتوا الكتاب من اليهود والنّصارى أنّ هذا القرآن، الكريم من عند الله تعالى، وذلك لموافقة هذا العدد لكلّ من التّوراة والإنجيل.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٠٢/٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٢٩٧/٨.
(٣) تفسير الطّبرى ١٠٢/٢٩.
(٤) تفسير ابن كثير ٢٩٧/٨.
(٥) الجلالين.
(٦) لسان العرب: "كبر" وانظر الكشّاف ٢٨٩/٣.
(٧) تفسير الطّبرى ١٠٣/٢٩.
(٨) تفسير الطّبرى ١٠٣/٢٩.
(٩) الجلالين.

وليزداد الّذين آمنوا بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم إيماناً بأنّه رسول ربّ العالمين، وبأنّ الكتب السّماويّة كلَّها موحًى بها من عند الله تعالى. ولا يشكّ الّذين أوتوا الكتاب من اليهود والنّصارى والمؤمنون بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم أنّ كلاًّ من التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم موحًى بها من عند الله تعالى. وليقول الّذين في قلوبهم مرض النّفاق والكافرون من أهل مكّة: ماذا أراد الله تعالى من هذا النَّبَأ العظيم المتضمّن عدد زبانية جهنّم التّسعة عشر، ذلك النّبأ الّذى يجرى مجرى المثل لِطَرافَتِه وغرابته وأهمّيّته. وكما أضلّ الله تعالى الكافرين وهدى المؤمنين يُضِلُّ الله تعالى من يشاء إضلاله، ويَهْدِى من يريد هدايته، وما يعلم جنود ربّك يا محمّد ويا أيَّها الإنسان لكثرتهم إلاّ هو جلّ وعلا. وما سَقَرُ إلاّ موعظةٌ لبنى آدم. كلاّ، ليس الأمر كما يظنّ الّذين يستهينون بِخَزَنَة جهنّم وبنار جهنّم، والقمر المنير، واللّيل إذْ مضَى وانقضى ، والصّبح إذا أضاء وأشرق، إنّ سقر لإحدى الدَّواهِى العظام، نذيراً لبنى آدم، لمن شاء منكم أيّها النّاس أن يتقدّم إلى الجنّة بعمل الحسنات، أو يتأخّر إلى النّار بعمل السّيّئات.

(٣)

((بعض أسباب دخول المجرمين جهنّم، ومنها فِرارُهُمْ من سماع القرآن الكريم، وعَدَمُ الإيمان بالبعث، وعَدَمُ الاتّعاظ بالقرآن الكريم))

الآيات (٣٨-٥٦)

كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا
سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ
ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾

كلّ نفسٍ بما كسبت رهينة: كلّ نفسٍ مأمورةٍ منهيّة بما عملت من معصية الله في الدّنيا[١]مرهونةٌ مأخوذةٌ بعملها في النّار[٢] ومعتقلةٌ به[٣]ومحبوسة[٤]

إلاّ أصحاب اليمين: لا يَرْتَهِنُون بذنوبهم ولكن يغفرها الله لهم[٥]وكأنّهم فكّوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم[٦]

يتساءلون: بينهم[٧]

ما سلككم في سقر: ما أدخلكم[٨]

وكنّا نخوض مع الخائضين: وكنّا نخوض فى الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه[٩]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٠٣/٢٩.
(٢) الجلالين.
(٣) تفسير ابن كثير ٢٩٨/٨.
(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى: " رهن" ٢٧٠/١والجدول فى إعراب القرآن وصرفه ١٢٨/١٣.
(٥) تفسير الطّبرى ١٠٤/٢٩.
(٦) الكشّاف ٢٩٠/٣.
(٧) الجلالين.
(٨) الجلالين
(٩) تفسير الطّبرى ١٠٤/٢٩.

حتّى أتانا اليقين: حتّى أتانا الموت الموقن به[1]

فما تنفعهم شفاعة الشّافعين: فما يشفع لهم الّذين شفّعهم الله فى أهل الذّنوب من أهل التّوحيد فتنفعهم شفاعتهم[2]

كلّ نفسٍ مرهونةٌ بما عملت فى الحياة الدّنيا من معاصٍ ومؤاخذةٌ عليه. إلاّ أصحاب اليمين الّذين يُؤْتَوْن كتب أعمالهم بأيمانيهم والّذين كأنّهم فكّوا رهن أنفسهم بكسب الحسنات، فإنّهم يتساءلون بينهم فى الجنّة عن المجرمين المشركين، وينقلون ما جرى على ألسنتهم فى سؤال المجرمين: ما أدخلكم فى سقر، وما سلككم فى أعماق الجحيم؟ قالوا: لم نك من المصلّين فى الدّنيا. والصّلاة رمزٌ لسائر العبادات. والمعنى: لم نكن نعبد الله تعالى كما ينبغى ولم نكن نوحّده. ولم نك نطعم المسكين أو نعطى الزّكاة مستحّقيها والصّدقة أصحابها. وكأنّ السّياق يجمع بين الصّلاة والزّكاة جرياً على عادة القرآن الكريم فى الجمع بين الصّلاة والزّكاة فيما يزيد على ثمانين موضعاً، دليلاً على أهمّيّة كلٍّ من الصّلاة والزّكاة. إنّ الصّلاة عبادةٌ لله تعالى تتّجه إليه عزّ وجلّ مباشرة.وإنّ الزّكاة عبادةٌ لله تعالى تتّجه إليه عزّ وجل مروراً بالإنسان. وكنّا نخوض فى حمأة الباطل وفيما يكرهه الله تعالى مع الخائضين. وكنّا نكذّب بيوم الجزاء، فلا نؤمن بالبعث والنّشور والحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب. حتّى أتانا الموت الموقن به، قبل أن نرعوى إلى طريق الهدى والرّشاد. فما تنفع أولئك المجرمين شفاعة الشّافعين، لأنّ الشّفاعة لا تتمّ إلاّ بإذن الله تعالى فى المشفّع فيهم المرضيّ عنهم الّذين كانوا في الحياة الدّنيا من الموحّدين، الّذين يفردون الله تعالى بالعبادة.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٠٥/٢٩.

(٢) تفسير الطّبرى ١٠٥/٢٩.

فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾

فما لهم عن التّذكرة معرضين: فما لهؤلاء المشركين عن تذكرة الله إيّاهم بهذا القرآن معرضين لا يستمعون لها فيّتعظوا ويعتبروا(١)

كأنّهم حمر: جمع حمار(٢)

مستنفِرة: بكسر الفاء أي نافرة(٣)وحشيّة(٤)والنّفر الانزعاج عن الشّيء وإلى الشّيء كالفزع إلى الشيء وعن الشّيء(٥)

فرّت من قسورة: فرّت من أسد(٦)

بل يريد كلّ امرئٍ منهم أن يؤتى صحفاً منشّرة: بل يريد كلّ رجلٍ منهم أن يؤتى كتاباً من السّماء ينزل عليه(٧) قال قتادة: قد قال قائلون من النّاس: يا محمّد إن سَرَّك أن نَتَّبِعَك فأتنا بكتاب، خاصّة إلى فلان وفلان نؤمر فيه باتّباعك(٨)

---

(١) تفسير الطّبرى ١٠٥/٢٩.
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "حمر" ١٧٣/١.
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى:"نفر" ٦٤٨/٢.
(٤) الجلالين وتفسير ابن كثير ٢٩٨/٨والكشّاف ٢٩١/٣.
(٥) مفردات الرّاغب الأصفهانى:"نفر" ٦٤٧/٢.
(٦) تفسير الطّبرى ١٠٦/٢٩والجلالين وتفسير ابن كثير٢٩٨/٨والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣١/١٣والكشّاف٢٩١/٣.
(٧) تفسير الطّبرى ١٠٧/٢٩والمحرّر الوجيز١٦٨/١٦.
(٨) تفسير الطّبرى ١٠٧/٢٩وانظر الكشّاف٢٩١/٣.

كلاّ بل لا يخافون الآخرة: ما الأمر كما يزعمون من أنّهم لو أوتوا صحفاً منشّرة صدّقوا، لكنّهم لا يخافون عقاب الله ولا يصدّقون بالبعث والثّواب والعقاب، فذلك الّذى دعاهم إلى الإعراض عن تذكرة الله، وهَوَّنَ عليهم ترك الاستماع لوحيه وتنزيله[١]

كلاّ إنّه تذكرة: ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون فى هذا القرآن من أنّه سحرٌ يؤثر وأنه قول البشر ولكنّه تذكرةٌ من الله لخلقه ذكّرهم به[٢]

وما يذكرون: وما يذكرون هذا القرآن فيتّعظون به ويستعملون ما فيه[٣]

هو أهل التّقوى: هو أهلٌ أن يتقى عقابه[٤]ومحارمه[٥]

وأهل المغفرة. وأهلٌ أن يغفر الذّنوب[٦]

فما لهؤلاء المشركين معرضين ومدبرين عن القرآن الكريم الّذى يذكّرهم بالله تعالى. وكأنهم تلك الحمر الوحشيّة النّافرة، الّتى فرّت من الأسد أكبر أعدائها الّذى يطاردها، والّذى يجد فى قتلها وأكلها كبير متعة، وعظيم لذّة.

ما بهؤلاء المشركين الّذين يفرّون من سماع القرآن الكريم فرار الحُمُر من الأَسَد أنّهم لا يعلمون أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، بل يريد كلّ واحدٍ منهم أن يؤتى صحفاً مبسوطةً مقروءة، تدعوه إلى الإيمان، وتبيّن له أنّ محمّداً رسول الله تعالى، وأنّ القرآن الكريم كلام ربّ العالمين.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٠٧/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٠٧/٢٩.
(٣) تفسير الطّبرى ١٠٨/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١٠٨/٢٩وتفسير ابن كثير ١٩٩/٨ والجلالين
(٥) تفسير الطّبرى ١٠٨/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ١٠٨/٢٩.

ليس الأمر كما يزعم المشركون بأنّهم لو جاء كلَّ واحدٍ منهم صُحُفٌ من السّماء مبسوطةٌ يقرأونها لآمنوا وصدّقوا، بل الحقيقة أنّهم لا يخافون الآخرة، ولا يؤمنون بالبعث، ولا يعملون لما بعد الموت. حقاً إنّ القرآن موعظةٌ من الله تعالى وتذكرةٌ وليس كما يزعمون أنّه سحرٌ وأنّه قول بشر. فمن شاء ذكر هذا القرآن وتلاه بلسانه، وفَهِمَهُ بِوَعْيِه، وعَمَلَ بِهَدْيِه. وما يذكرون هذا القرآن الكريم، ويتلونه حقِّ تلاوته، ويهتدون بهديه إلى الطّريقة الّتي هي أقوم، ويعملون بمعانيه وبمراميه إلاّ أن يشاء الله تعالى بكلّ ذلك أو بشيءٍ من ذلك. إنّ ما شاء الله تعالى كان ومالم يشأ لم يكن. وإنّ الله تعالى هو الأهل أن يُتَّقى عذابه وعقابه بفعل الحسنات واجتناب السّيّئات، والأهل أن يَغْفِر ذنب من استغفره وتاب إليه وأناب.

وقد لاحظ العلماء أنّ لكلّ حمارٍ وحشيّ خطوطه الخارجيّة الخاصّة به، وذلك على غرار بصمات الأصابع الخاصّة بكلّ إنسان.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة المدّثّر من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١] جاء في الإتقان [٢]:" وكان أوّل ما أنزل من القرآن: اقرأ باسم ربّك، ثمّ يا أيّها المزّمّل، ثمّ يا أيّها المدّثّر".

٢. عدد آيات السّورة الكريمة ستٌّ وخمسون آيةً كريمة [٣] وعدد كلماتها مائتان وخمسٌ وخمسون كلمة. وعدد حروفها ألفٌ وعشرة حروف[٤].

٣. سمّيت السّورة الكريمة سورة المدّثّر لمجيء لفظ المدّثّر في الآية الكريمة الأُولَى.

٤. تنادى الآية الكريمة الأُولَى لمصطفى صلّى الله عليه وسلّم بصفةٍ من صفاته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾والمعروف أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم هو الشّخص الوحيد الّذى ينادَى في القرآن الكريم بإحدى صفاته دليلاً على رفيع منزلته عليه الصّلاة والسّلام عند بارئه عزّ وجلّ.

٥.سورة المدّثّر المكّيّة شأنها شأن سائر المكّيّ من القرآن الكريم الّذى يُعْنى بقضايا أسس العقيدة من توحيدٍ لله تعالى، وتسلية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويوم القيامة، والقرآن

---

(١) انظر–مثلاً– الإتقان ٤٢/١ والجلالين، وتفسير ابن كثير ٢٨٧/٨ وفتح الباري ٦٧٦/٨ وصحيح مسلم ١/ ١٤٣ حديث رقم ١٦١ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٧٦/٢٩ وفى ظلال القرآن ٣٧٥٠ والكشّاف ٢٨٤/٣ والبحر المحيط ٣٦٨/٨ والمحرّر الوجيز ١٥٤/١٦ وتفسير القرطبي ٦٨٥١.

(٢) ٢٤/١.

(٣) وقع خطأٌ فى الطّبع فقيل ستٌّ وعشرون.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٧٦/٢٩.

الكريم، وإثبات أنّه من عند الله تعالى وليس كما يقول المعاندون إنّه قول بشر، وتصوير أحوال الكفّار فى نار جهنّم، وفى هذه الحياة الدّنيا حينما يَقِفُون من القرآن الكريم والرّسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم موقف التّكذيب.

٦.فى السّورة الكريمة مجموعةٌ من الألفاظ والصّيغ لم تأت في غيرها من سور القرآن الكريم نذكر منها: ﴿ ٱلۡمُدَّثِّر ﴾:﴿ فَكَبِّرۡ ﴾:﴿ وَثِيَابَكَ ﴾ :﴿ فَطَهِّر ﴾ : ﴿ وَٱلرُّجۡز ﴾ ﴿فَٱهۡجُر ﴾:﴿وَلَا تَمۡنُن ﴾:﴿ تَسۡتَكۡثِرُ ﴾:﴿ نُقِر ﴾:﴿ ٱلنَّاقُورِ ﴾:﴿عَسِير﴾ ﴿وَحِيدًا ﴾ ﴿مَّمۡدُودًا ﴾:﴿ ثُمَّ يَطۡمَعُ ﴾:﴿ أَنۡ أَزِيدَ ﴾:﴿ عَنِيدًا ﴾:﴿سَأُرۡهِقُهُۥ﴾:﴿ صَعُودًا ﴾:﴿ فَكَّر ﴾ ﴿ فَقُتِل ﴾:﴿ وَبَسَرَ﴾:﴿ يُؤۡثَر ﴾ ﴿سَأُصۡلِيه﴾:﴿ لَا تُبۡقِى ﴾: ﴿ لَوَّاحَة ﴾: ﴿تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾ ﴿ عِدَّتَهُم ﴾: بالنّصب ﴿ لِيَسۡتَيۡقِن ﴾:﴿ وَيَزۡدَادَ ﴾:﴿ وَلَا يَرۡتَابَ ﴾:﴿ جُنُودَ رَبِّكَ ﴾: بالنصب. ﴿ أَسۡفَر﴾:﴿ ٱلۡكُبَر﴾:﴿ يَتَقَدَّمَ ﴾: ﴿ يَتَأَخَّر ﴾:﴿ رَهِينَة ﴾ ﴿ سَلَكَكُم ﴾: ﴿ ٱلۡخَآئِضِين ﴾: ﴿ تَنفَعُهُم ﴾: ﴿الشَّـٰفِعِين﴾: بالتّعريف: ﴿ ٱلتَّذۡكِرَة ﴾: بالتّعريف. ﴿ حُمُر ﴾: ﴿ مُّسۡتَنفِرَة ﴾:﴿ فَرَّت ﴾: ﴿ قَسۡوَرَة ﴾: ﴿ مُّنَشَّرَة ﴾.

٧.جاءت: ﴿ كَلا ﴾ أربع مرّاتٍ فى السّورة الكريمة، وذلك فى الآيات الكريمات ٥٤,٥٣,٣٢,١٦.

٨.جاءت فاصلة الرّاء فى إحدى وثلاثين آيةً كريمة هي ٢,١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٢، وجاءت فاصلة النّون فى عشر أياتٍ كريمات هي ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩ وقد مهّد لمجيء النون فاصلة مجيء التّاء المربوطة المسبوقة بالنّون وذلك فى الآية الكريمة ٣٨ فى قول الكريم إلاّ

فى هذا الموضع. وهذه التّاء المربوطة جاءت مسبوقةً بالنّون فى هذا الموضع فقط فى السّورة الكريمة. إنّ المعنى هو الّذى يأتى بالألفاظ فى القرآن الكريم وليس العكس. وإنّ لفظة: ﴿ رَهِينَةٌ ﴾ فيها أكثر من دليلٍ على هذه الحقيقة كما تبيّن. وجاءت التّاء المربوطة فاصلةً مسبوقةً براء فى نهاية السّورة الكريمة فى سبع آياتٍ كريماتٍ هى ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦. وجاءت فاصلة الدّال فى سبع آياتٍ كريمات، منها ستّ فواصل مطلقة فى الآيات الكريمات ١١,١٢,١٣,١٤,١٦,١٧وواحدة مقيّدة هي ١٥.

ونحن فى غِنًى عن التّنويه بالتّناغم بين المعنى والمبنى هنا، لأنّ التّناغم سمة كلّ آي الذّكر الحكيم.

٩.نودّ أن نبيّن فى إيجازٍ وَحْدَةَ السّورة الكريمة عضويّا. إنّها تخاطب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم آمرةً له وناهية فى سبع آياتٍ كريمات. ثمّ يكون الحديث عن يوم القيامة فى ثلاث آياتٍ كريمات. وفى الآية الكريمة الثّامنة يكون للقيامة حظّها من الصّوت العنيف فى هيئة النَّقْر فى النّاقور، وحظّها من مجيء: ﴿ نُقِر ﴾ و ﴿ ٱلنَّاقُور ﴾ فى هذا الموضع وَحْدَهُ فى القرآن الكريم. لقد تحقّق نوعان من الطَّرافة، طَرافَة اللّفظ وطَرافَة المعنى. ثمّ يكون الحديث عن الكافر الّذى كان يُلَقَّبُ تارةً بالوحيد وأخرى برَيْحانَة قريش[1] فى خمس عشرة آيةً كريمة، وعن عقابه فى خمس أياتٍ كريمات. ثمّ تأتى أطول آيات السّورة الكريمة وهي الآية الكريمة الحادية والثّلاثون الّتى تتحدّث وَحْدَها فى القرآن الكريم عن

(١) الكشّاف ٢٨٦/٣.

زَبانِيَةِ جهنّم التّسعة عشر. ثمّ يكون الحديث عن سَقَر، أكبر الدّواهي، وعن عذاب المجرمين فى النّار، وثواب المؤمنين فى الجنّة، وأسباب خلود المجرمين فى النّار، وذلك فى سبع عشرة آيةً كريمة. ثم يكون الاستفهام الإنكاريّ عن أسباب فِرار المشركين عن سماع القرآن الكريم من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكأنّهم الحمر الوحشيّة الفارّة من الأسد، وعن حقيقة هؤلاء المشركين الّذين يريدون أن يُؤْتَوْا من الوحي مثلما آتى الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وسلّم، والّذين لا يؤمنون بالآخرة، وعن وجوب الاتّعاظ بالقرآن الكريم، ولا يتمّ ذلك إلاّ إذا شاء الله تعالى الأهل لأن يُتَّقَى عذابه، والأهل لأن يغفر لمن استغفر وتاب وأناب. لقد كان ذلك فى ثمانى آياتٍ كريمات. ويبدو بوضوحٍ حظّ السّورة الكريمة من الإنذار، والحديث المستفيض عن نار جهنّم.

وهكذا تأخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض .

وصلّى الله عليه وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الأربعاء ١٤٢٣/١٢/١٨هـ
الموافق ٢٠٠٣/٢/١٩م

تاسعاً
سورة القِيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن
نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ
لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ
ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا
وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾
بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ
لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾
وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾
ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن
مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ
﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((الله تعالى قادرٌ يوم القيامة على إعادة خلق الإنسان المنكر للبعث، وعلى عقابه، فعليه أن يؤمن بالبعث وأن يعمل للآخرة))

الآيات (١-١٥)

لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنّفس الّتى تلوم ذاتها على تقصيرها فى جنب الله تعالى و الّتى أسرفت على ذاتها، لأنّ البعث بعد الموت والحساب والجزاء حقٌّ، والحقّ غير محتاج لأن يُقْسَمَ عليه. أيظنّ الإنسان الكافر أنّا لن نجمع عظامه المتفرّقة والّتى غَدَتْ رَمِيما. بلى نحن قادرون على جمع تلك العظام وعلى ماهو أبعد من ذلك بأن نُسَوِّيَ بَصَمات الأصابع الّتى لا تشابه بصمةٌ واحدةٌ أخرى. الحقيقة أنّ جنس الإنسان يريد أن يستمرّ فى فجوره بقيّة عمره، وأن يسوّف التّوبة، ويسأل عن يوم القيامة على سبيل الاستبعاد وليس من أجل الاستعداد. فإذا زاغ البصر وفزع ودَهِش وتحيّر لقيام السّاعة. وخسف القمر وذهب نوره، وجُمع بين الشّمس والقمر دليلاً على انفراط عقد الكون بإذن الله تعالى، يقول الإنسان الكافر المعاند المنكر للبعث فى ذلك الوقت أين المفرّ. ليس الأمر كما يزعم المنكر للبعث عناداً واستكبارا. إنّه لا ملجأ من الله تعالى إلا إليه فى ذلك الوقت الّذى يكون عنده عزّ وجلّ موضع الاستقرار، فى الجنّة أو النّار. يُنَبَّأ الإنسان فى ذلك الوقت بما قدّم من خيرٍ أو شرّ، وما أخّر من سُنَّةٍ حسنةٍ أو سيّئة. بل الإنسان له من نفسه جوارح مبصرة، وأعضاء ناطقة، تشهد له أو عليه. فعلى الإنسان أن يأخذ حذره، وأن يتدارِك أمره قبل فوات الأوان، فلن يُصْغَى إليه ولو أَلْقَى كلّ عذر، وجاء بكلّ مبرّر.

ولمّا كان كلّ الخير فى إصغاء المصطفى صلّى الله عليه وسلّم لجبريل عليه السّلام وهو يوحى للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالقرآن الكريم، فإنّ الحقّ جلّ وعلا يرشد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى هذا الخير فى عَدَم تحريكه لسانه وشفتيه حين تلاوة جبريل القرآن الكريم، كما يبشّره عليه الصّلاة والسّلام بأنّه عزّ وجلّ سيجمعه له فى صدره الشّريف فلا ينساه، ويجعله يقرؤه كما أُنْزِل عليه، ويبيّن له معناه.

(٢)

((إنّ علينا يا محمّد جَمْعَ القرآن الكريم فى صدرك،وإقراءَك إيّاه،وتبيينَ معناه))

الآيات (١٦-١٩)

لا تحرّك يا محمّد لسانك بتلاوة القرآن الكريم فى أثناء تلاوة جبريل عليه السّلام له لتأخذه على عجلة مخافة أن يتفلّت منك. إنّ علينا جمعه فى صدرك فلا تنساه، وإقراءك إيّاه كقراءة جبريل عليه السّلام له. فإذا قرأنا القرآن الكريم بقراءة جبريل عليه السّلام له، فاتّبع قراءته، واستمع له، واسكت. ثمّ إنّ علينا تبيين معنى القرآن الكريم وحلاله وحرامه وأحكامه لك يا محمّد، يا أيّها الرّسول الكريم، والنّبيّ العظيم.

(٣)

((يوم القيامة وجوه المؤمنين مشرقة، ووجوه الكافرين كالحة، فاحذروا شدّة آخر ساعات الدّنيا، وأُولَى ساعات الآخرة، واعملوا لما بعد الموت))

الآيات (٢٠-٤٠)

كَلاّ، ليس الأمر كما يظنّ الكافرون بأنّه لا بعث ولا جزاء، بل تحبّون أيّها النّاس الدّنيا العاجلة، ومتعها الزّائلة، وتهملون الآخرة الآجلة. وجوهٌ يوم القيامة مشرقةٌ ناعمةٌ فى جنّات النّعيم. إلى ربّها ناظرةٌ تراه كما ترى القمر ليلة البدر لا تضام فى ذلك بل تنال حظّها من الرّؤية كاملاً غير مبخوسٍ ولا منقوص. ووجوهٌ أخرى كالحةٌ فى نار الجحيم، تعتقد أنّه يُفْعَل بها داهيةٌ تَقْصِمُ فَقار ظهرها. كلاّ، ليس الأمر كما يظنّ المكذّبون بأنّه لا بعث ولا جزاء. إذا بلغت الرُّوحُ التَّراقِيَ والنَّفْسُ الحُلْقُوم، وقال الأهل والأحباب:هل من راق□يَرْقِى وطبيبٍ يَشْفِى. وأيقن الّذى حَضَرَتْهُ أسباب الوفاة أنّه فراق الحياة والأهل والأحباب والأصدقاء والمال والجاه وكلّ شيء. والتفّت أخر ساعات الشِّدّة فى الدّنيا بأُولَى ساعات الشّدّة فى الآخرة. إلى ربّك أيّها الإنسان السَّوْق. إمّا إلى جنّةٍ وإمّا إلى نار. فلا صدّق بكتاب الله تعالى ولا صلّى لله تعالى، ولكن كذّب بقلبه وتَوَلَّى بجوارحه ووجهه وجسده. ثمّ ذهب إلى أهله مختالاً فخورا يتبختر فى مِشْيته. الهلاك والبلاء أَوْلَى لك وألصق بك. ثمّ الهلاك والبلاء أَوْلَى لك وألصق بك. أيحسب جنس الإنسان الكافر أن يُتْرَك هَمَلاً، ويُخْلَق عبثا، فلا تكاليف ولا مشاقّ، ولا ثواب ولا عقاب. ألم يك المنكر للبعث نُطْفَةً من ماءٍ مهينٍ، وَمَنِيًّ يُمْنَى ويُصَبّ من أصلاب الرّجال فى أرحام النّساء. ثمّ كان دماً عالقاً بالرّحم، فخلق الله تعالى منه إنساناً سويّاً كامل الخلق ذا سمعٍ وبصرٍ وعقلٍ وقلبٍ

وإرادةٍ وكلّ نعمةٍ خصّ عزّ وجلّ بها الإنسان وكَرَّمَهُ بها. فجعل عزّ وجلّ من هذا الإنسان الذّكر والأنثى. أليَس الله تعالى الّذى فعل كلَّ ذلك بقادرٍ على أن يحيى الموتى وأن يسوّي بنان كلّ إنسانٍ مرّةً أخرى بِبَصْمَتِهِ الخاصّة به المقصورة عليه الّتى لا تشبه بَصْمَةً أخرى منذ خَلْق آدم عليه السّلام إلى أن يرث عزّ وجلّ الأرض ومن عليها. سبحانك وبَلَى.

التَّفْسِير

(١)

((الله تعالى قادرٌ يوم القيامة على إعادة خلق الإنسان المنكر للبعث، وعلى عقابه، فعليه أن يؤمن بالبعث وأن يعمل للآخرة))

الآيات (١-١٥)

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤

لا أقسم بيوم القيامة: لا زائدةٌ لفظاً لدى بعضهم. والمعنى: أقسم بيوم القيامة. وقيل هي على بابها نافيةٌ فى الموضعين[١]

ولا أقسم بالنّفس اللّوّامة: قال مجاهد: تندم على ما فات وتندم عليه[٢]فهى تلوم صاحبها على الخير والشّرّ وتندم على ما فات [٣]

بنانه: البنان أطراف الأصابع، واحدته بنانة[٤]

لا أقسم بيوم القيامة لأنّ البعث حقٌّ وليس بحاجةٍ إلى أن يُقْسَم عليه. ووراء ذلك فللّه تعالى أن يقسم بماشاء من خلقه. ولا أقسم بالنّفس الحرّة الكثيرة اللّوم لصاحبها على تفصيره فى جنب الله تعالى وعلى عمل الخير الّذى قصّر فيه، والّذى فى إمكانه أن يستكثر منه بإذن الله تعالى، وعلى عمل الشّرّ الّذى كان فى إمكانه بعون الله تعالى أن يتحاشاه. أيظنّ الإنسان المنكر للبعث أنّنا لن نجمع يوم القيامة عظامه الّتى غدت رميماً وطَوَّحَ بها الهواء!ليس الأمر كما يظنّ ذلك المنكر للبعث العاجز عن تصوّر قدرتنا على

---

(١) انظر تفسير الطّبرى ١٠٨/٢٩وتفسير ابن كثير٣٠٠/٨والجلالين والجدول فى إعراب القرآن وصرفه ١٣٥/١٣.

(٢) تفسير الطّبرى ١١٠/٢٩.

(٣) تفسير الطّبرى ١١٠/٢٩.

(٤) المعجم الوسيط: "بنّ".

إعادة جمع العظام الّتى خلقناها أوّل مرّة. نحن قادرون على جمع العظام الّتى غدت رميماً، بل على ما هو أبلغ فى الدّلالة على القدرة بأن نعيد خلق أطراف الأنامل مع احتفاظ كلّ أنملةٍ بشكلها الخاصّ بها، وبَصْمَتِها المقصورة عليها.

ويلاحظ أنّ الحديث فى هذه السّورة الكريمة عن البَصَمات الّتى لا تتشابه مطلقاً، وأنّ الحديث فى السّورة الكريمة المكّيّة السابقة عن الحُمُر الوحشيّة الّتى لا تتشابه خطوط أيّ حمارٍ وحشيّ مع خطوط أيّ حمارٍ وحشيّ آخر. وكلّ ذلك من الأدلّة على القدرة المطلقة للذّات العليّة.

بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦

بل يريد الإنسان ليفجر أَمامه: لكنّ الإنسان يريد أن يمضى أمامه قدماً فى معاصى الله لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبداً، ويسوّف التّوبة[1]

الحقيقة أنّ جنس الإنسان، إلاّ من رحم ربّك، يريد أن يستمرّ فى عمل المعاصى، ومواصلة المشوار الّذى بدأه فى اقتناص الملذّات، ونيل الشّهوات، ومواصلة الفجور، وتسويف التّوبة، والابتعاد عن الله تعالى. بل إنّه يستبعد يوم القيامة وينكر وجوده ويسأل على سبيل الاستبعاد والاستنكار:﴿ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ والمعنى: متى يوم القيامة الّذى أنكره واستبعد وقوعه. إنّ التّشديد وحرف المدّ وزيادة عدد الحروف من: ﴿ أَيَّان ﴾ أفادت المعانِيَ الإضافيّة على المعانى الّتى تفيدها: ﴿ متى ﴾

---

(١) تفسير الطّبرى٢٩/١١١ .

فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠

فإذا برق البصر: فإذا حار البصر وفزع فشقّ وفتح من هول يوم القيامة وفزع الموت[١]ودهِش وتحيّر[٢]

وخسف القمر: ذهب نوره[٣]

وجمع الشّمس والقمر: جمع بينهما[٤]

فإذا زاغ البصر وحار لقيام السّاعة، وذهب نور القمر المستمدّ من ضوء الشّمس، وجُمِعَ الشّمس الّتى ذهب ضوؤها والقمر من الأدلّة على انفراط عقد الكون بإذن الله تعالى. إذا حصل كلّ ذلك يقول الإنسان فى ذلك الوقت الّذى قامت فيه القيامة: أين المفرّ والمهرب.

والمعروف أنّ لكلّ من الشّمس والقمر مساره الخاصّ به، وأنّ الشّمس والقمر إنّما يجتمعان حسّاً حينما تقوم السّاعة بإذن الله تعالى. وثمّة إشارةٌ واحدةٌ فى القرآن الكريم إلى اجتماع الشّمس والقمر، وذلك فى الرّؤيا الّتى قصّها يوسف عليه السّلام على والده نبيّ الله تعالى يعقوب عليه السّلام فى الآية الكريمة الرّابعة من سورة يوسف عليه السّلام.

---

(١) تفسير الطّبرى ١١٢/٢٩.
(٢) الجلالين.
(٣) انظر تفسير الطّبرى ١١٣/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١١٣/٢٩.

كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ
نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

كلاّ لا وزر: ليس هناك فِرارٌ ينفع صاحبه، لأنّه لا ينجيه فراره ولا شيء يلجأ إليه من حصنٍ ولا جبلٍ ولا مَعْقِلٍ من أمر الله الّذى قد حضر(١)ومن معانى الوَزَر الملجَأ ، والحرز، والمنجى(٢)والمَوْئِل(٣)

المستقرّ: مستقرّ الخلائق فيحاسبون ويجازون(٤)والمنتهى(٥)والمرجع والمصير(٦)وموضع الاستقرار(٧)

ينبّأ الإنسان بما قدّم: من عمل خير أو شرّ أمامه ممّا عمله فى الدّنيا قبل مماته(٨)

وأخّر: بعد مماته من سيّئةٍ وحسنةٍ أو سيّئةٍ يُعْمَلُ بها من بعده(٩)

بل الإنسان على نفسه بصيرة: بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله ويشهدون عليه به (١٠) ومن جوارحه بصيرةٌ تبصره فتشهد له وعليه يوم القيامة(١١)

---

(١) تفسير الطّبرى ١١٣/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١١٤/٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير ٣٠٢/٨.
(٤) الجلالين.
(٥) تفسير الطّبرى١١٤/٢٩.
(٦) تفسير ابن كثير ٣٠٢/٨.
(٧) المحرّر الوجيز١٧٤/١٦.
(٨) تفسير الطّبرى١١٤/٢٩.
(٩) تفسير الطّبرى١١٤/٢٩.
(١٠) تفسير الطّبرى١١٥/٢٩.
(١١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى: "بصر"٦٣/١.

ولو ألقى معاذيره: ولو جاء بكلّ مَعْذِرَة ما قبلت منه[1]ومعاذير جمع مَعْذِرَة على غير قياس[2]

ليس هناك ملجأٌ ولامنجًى من يوم القيامة والحساب والجزاء. إلى ربّك أيّها الإنسان يوم القيامة المنتهى والمرجع والمصير. ينبّأ الإنسان يومئذٍ بما قدّم فى الحياة الدّنيا مدّة حياته من خيرٍ أو شرّ، وما أخّر بعد مماته من خيرٍ أو شرّ وسنّ من سنّةٍ حسنة أو سيّئة. بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون له أوعليه ، ومن جوارحه ما يبصره ويشهد له أو عليه يوم القيامة. ولو جاء المذنب بكلّ مَعْذِرَةٍ ما قُبِلَتْ منه.

---

(١) الجلالين.

(٢) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣٩/١٣.

(٢)

((إنّ علينا يا محمّد جَمْعَ القرآن الكريم فى صدرك،وإقراءَك إيّاه، وتبيينَ معناه))

الآيات (١٦-١٩)

لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

لا تحرّك به لسانك لتعجل به: لا تحرّك يا محمّد بالقرآن لسانك لتأخذه على عجلة[١]وقيل له ذلك لأنّه كان إذا نزل عليه منه شيءٌ عَجِل به يريد حفظه من حبّه إيّاه فقيل له لا تعجل به فإنّا سنحفظه عليك[٢]

إنّ علينا جمعه: فى صدرك[٣]

وقرآنه: قال ابن عبّاس: إنّ علينا جمعه فى صدرك وتقرؤه بعد[٤]وقراءتك إيّاه أي جريانه على لسانك[٥]

فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه: فإذا قرأنا القرآن الكريم بقراءة جبريل عليه السّلام له فاستمع قراءته وأنصت له ثمّ اقرأه كما أقرأك[٦]

ثمّ إنّ علينا بيانه: ثمّ إنّ علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه وأحكامه لك مفصّلة[٧]أي بعد حفظه وتلاوته نبيّنه لك ونوضّحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشَرَعْنا[٨]

---

(١) انظر الكشّاف ٢٩٣/٣وانظر تفسير الطّبرى ١١٦/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١١٦/٢٩.
(٣) تفسير الطّبرى ١١٨/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١١٨/٢٩.
(٥) الجلالين.
(٦) انظر تفسير الطّبرى ١١٨/٢٩ وتفسير ابن كثير ٣٠٣/٨والجلالين وفتح البارى ٢٩/١حديث رقم ٤و٦٨٣/٨.
(٧) تفسير الطّبرى ١١٩/٢٩.
(٨) تفسير ابن كثير ٣٠٣/٨.

سبب النّزول

رَوَى البخاريّ فى صحيحه[1]:"...قال حدّثنا سعيد بن جبير عن ابن عبّاس فى قوله تعالى﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعالج من التّنزيل شِدّة، وكان ممّا يحرّك شفتيه[2] فقال ابن عبّاس: فأنا أحرّكهما لكم كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحرّكهما. وقال سعيد: أنا أحرّكهما كما رأيت ابن عبّاس يحرّكهما. فحرّك شفتيه. فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال جمعه لك فى صدرك وتقرأه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال فاستمع له وأنصت : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ ثمّ إنّ علينا أن تقرأه. فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع. فإذا انطلق جبريل قرأه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما قرأه" وجاء فى رواية الإمام مسلم[3]:" فكان إذا أتاه جبريل أطرق"وجاء فى رواية أخرى للإمام مسلم[4]: "فإذا انطلق جبريل قرأه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما أقرأه"

---

(١) فتح البارى ٢٩/١حديث رقم ٤وانظر ٦٨٠/٨حديث رقم ٤٩٢٧و٦٨١حديث رقم ٤٩٢٨و٦٨٢حديث رقم ٤٩٢٩و٨٨/٩حديث رقم ٥٠٤٤و٤٩٩/١٣حديث رقم ٧٥٢٤وصحيح مسلم ٣٣٠/١حديث رقم ٤٤٨.

(٢) معناه: كان كثيراً ما يفعل ذلك، وقيل معناه: هذا شأنه ودأبه. صحيح مسلم ٣٣٠/١هامش ١.

(٣) ٣٣٠/١.

(٤) ٣٣١/١.

لا تحرّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم بالقرآن الكريم لسانك حينما يقرؤه جبريل عليه السّلام ويتلوه عليك لتعجل بقراءته لتحفظه[1] ولتعجل بحفظه[2]قال تعالى مخاطباً حبيبه صلّى الله عليه وسلّم فى هذا المعنى فى سورة طه[3]: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ إنّ علينا جمعه فى صدرك فلا تنساه، وقراءته كما أقرأك جبريل عليه السّلام. فإذا قرأناه عليك بقراءة جبريل عليه السّلام فاتّبع قراءته واستمع له، وأنصت، واقرأ بعد ذلك. ثمّ إنّ علينا أن نبيّن لك حلاله وحرامه وأحكامه، ونوضّح لك معناه، ونلهمك مغزاه.

مناسبة الآيات الكريمات:

جاء فى فتح البارى[4]:" وقد ذكر الأئمّة لها مناسبات: منها أنّه سبحانه وتعالى لمّا ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصّر عن العمل لها حبّ العاجلة، وكان من أصل الدّين أنّ المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبّه على أنّه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجلّ منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهّم ما يرد منه. والتّشاغل بالحفظ قد يصدّ عن ذلك، فأمر أن لا يبادر إلى التّحفّظ لأنّ تحفيظه مضمونٌ على ربّه، ولْيُصْغِ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتّبع ما اشتمل عليه. ثمّ لمّا انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلّق بالإنسان المبدأ ذكره ومن هو من جنسه"

---

(١) انظر فتح البارى١/٣٠.
(٢) تفسير الطّبرى ١١٧/٢٩.
(٣) الآية ١١٤.
(٤) ٦٨٠/٨.

(٣)

((يوم القيامة وجوه المؤمنين مشرقة، ووجوه الكافرين كالحة، فاحذروا شدّة آخر ساعات الدّنيا وأُولَى ساعات الآخرة، واعملوا لما بعد الموت))

الآيات (٢٠-٤٠)

كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾

كلاّ: ليس الأمر كما تقولون أيّها النّاس من أنّكم لا تُبْعَثُون بعد مماتكم ولا تُجازون بأعمالكم[١]

ناضرة: من النّضارة أي حسنة بهيّة مشرقة مسرورة[٢]مضيئة[٣]ناعمة من السّرور والنّعم والغبطة[٤]حسنة جميلة من النّعم. يقال من ذلك: نَضَر وجه فلان إذا حَسُنَ من النَّعمة. ونضّر الله وجهه إذا حسّنه كذلك[٥]والنَّضْرة الحُسْن كالنَّضارَة[٦]

إلى ربّها ناظرة: تنظر إلى ربّها نظرا[٧]وتراه عِيانا[٨]

رَوَى البخاريّ فى صحيحه[٩]عن جرير بن عبد الله قال: كنّا جلوساً عند النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنّكم سترون ربّكم كما ترون هذا القمر لا تضامُون [١٠] فى رؤيته،فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشّمس

---

(١) تفسير الطّبرى ١١٩/٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٣٠٤/٨.
(٣) الجلالين.
(٤) تفسير الطّبرى ١١٩/٢٩.
(٥) تفسير الطّبرى ١١٩/٢٩.
(٦) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "نضر"٦٤١/٢.
(٧) تفسير الطّبرى ١١٩/٢٩.
(٨) تفسير ابن كثير ٣٠٤/٨.
(٩) فتح البارى ٤١٩/١٣حديث رقم ٧٤٣٤وانظر الحديث رقم ٧٤٣٦وانظر صحيح مسلم ١٦٣/١حديث رقم ١٨٢و١٦٧/١حديث رقم ١٨٣.
(١٠) بتحفيف الميم من الضّيم ومعناه لا تُظْلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض فتح ٤٢٧/١٣.

وصلاةٍ قبل غروب الشّمس فافعلوا. وفى رواية[1]: "قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّكم سترون ربّكم عِيانا" جاء فى سورة الأنعام[2]قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[3]وجاء فى سورة يونس[4]قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[5]وجاء فى سورة المطفّفين[6]عن الفجّار قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾

باسرة: كالحة[7]

فاقرة: الفاقرة: الدّاهية الكاسرة للفَقار أي تكسر الظّهر. والفَقار والفِقَر جمع الفِقْرة والفَقْرة والفَقارة، بالفتح. وفَقار الظّهر ما انتضد من عظام الصُّلب من لدن الكاهل إلى العَجْب.وللإنسان أربع وعشرون فَقارة. والفقير معناه المفقور، أي المكسور الفَقار[8]

---

(١) فتح البارى ٤١٩/١٣حديث رقم ٧٤٣٥.

(٢) الآية ١٠٣.

(٣) درسنا الآية الكريمة فى التّفسير البسيط ٢٤٥/٧.

(٤) الآية ٢٦.

(٥) درسنا الآية الكريمة فى التّفسير البسيط ١٧٣/١١.

(٦) الآية ١٥.

(٧) تفسير الطّبرى ١٢٠/٢٩.

(٨) انظر لسان العرب: "فقر" ومفردات الرّاغب الأصفهانى: "فقر" ٤٩٦/٢.

كلاّ، ليس الأمر كما يظنّ منكرو البعث بأنّه لا نشور ولا حساب ولا جزاء، بل الحقيقة أنّكم أيّها المنكرون للبعث تحبّون الدّنيا العاجلة الفانية، وتتركون الآخرة وتهملونها فلا تعملون من أجلها. وجوهٌ يوم القيامة ناضرةٌ حسنةٌ مشرقة. إلى ربّها عزّ وجلّ ناظرة، فلا تُمْنع من رؤية وجه ربّها الكريم جلّ وعلا ولا تُضام، بل تُمْنَحُ فى الجنّة هذه الزّيادة من الرّبّ الكريم، وتُهْدَى هذا الخير العميم، فى جنّات النّعيم. ووجوهٌ أخرى يوم القيامة كالحةٌ مسودّة كئيبة. يوقن أصحابها أنّهم سوف يُفْعَل بالواحد منهم الدّاهية العظمى الّتى تكسر الفَقار، والبليّة الكبرى الّتى تَقْصِم الظّهر، وذلك بدخول النّار، وبئس القرار.

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾
وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

كلاّ إذا بلغت التّراقى: ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء المشركون من أنّهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربَّهم. بلى إذا بلغت نفس أحدهم التّراقى عند مماته وحَشْرَجَ بها[١]والتّراقى جمع تَرْقُوه، وهى عظمة مشرفة بين ثُغرة النّحر والعاتق[٢]وثُغرة النّحر نُقرة النّحر[٣]والعاتق مابين المَنْكِب والعُنُق[٤]والمَنْكِب مجتمع رأس العَضُد والكتف[٥]ولكلّ أحدٍ تَرْقُوَتان. والتّراقى موازية للحلاقيم[٦]

وقيل من راق: وقيل هل من راقٍ يَرْقِي[٧]فهل من طبيبٍ شافٍ ومداو[٨] ونحو هذا ممّا يتمنّاه أهل المريض[٩]

وظنّ أنّه الفراق: وأيقن الّذى قد نزل ذلك به أنّه فراق الدّنيا والأهل والمال والولد[١٠]

والتفّت السّاق بالسّاق:عن ابن عبّاس:التفّ آخر يومٍ من الدّنيا وأوّل يوم من

---

(١) تفسير الطّبرى ١٢١/٢٩.
(٢) المعجم الوسيط: "التّرقوة".
(٣) المعجم الوسيط: "ثغر".
(٤) المعجم الوسيط:" عتق".
(٥) المعجم الوسيط: "نكب"
(٦) المحرّر الوجيز ١٧٨/١٦.
(٧) تفسير الطّبرى ١٢١/٢٩.
(٨) تفسير الطّبرى ١٢١/٢٩.
(٩) المحرّر الوجيز ١٧٨/١٦.
(١٠) تفسير الطّبرى ١٢١/٢٩.

الآخرة فتلقي الشّدّة بالشّدّة إلاّ من رحم الله[1]وعن ابن عبّاس: التفّت الدّنيا بالآخرة وذلك ساق الدّنيا والآخرة. ألم تسمع أنّه يقول: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾[2] وقال آخرون: قلّ ميّتٌ يموت إلاّ التفّت إحدى ساقيه بالأخرى[3]وقال آخرون: بل معنى ذلك التفّت ساقا الميّت إذا لفّتا فى الكفن[4]ويقول الطّبرى[5]: "وأَوْلى الأقوال فى ذلك بالصّحّة عندى قول من قال: معنى ذلك والتفّت ساق الدّنيا بساق الآخرة. وذلك شدّة كرب الموت بشدّة هول المطلع. والّذى يدلّ على أنّ ذلك تأويله قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ والعرب تقول لكلّ أمرٍ اشتدّ قد شمّر عن ساقه، وكشف عن ساقه" ويقول[6] : "عَنَى بقوله: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾ التصقت إحدى الشّدّتين بالأخرى"

إلى ربّك يومئذٍ المساق: أي السّوق[7] والمرجع والمآب[8] وإلى حكم ربّك وعَدْلِه[9]

كلاّ، ليس الأمر كما يظنّ المنكرون للبعث بأنّهم لن يبعثوا ولن يعاقبوا. بل إذا

---

(١) انظر تفسير الطّبرى ١٢٢/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٢٢/٢٩.
(٣) تفسير الطّبرى ١٢٢/٢٩ و١٢٣.
(٤) تفسير الطّبرى ١٢٢/٢٩.
(٥) تفسير الطّبرى ١٢٣/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ١٢٣/٢٩.
(٧) الجلالين.
(٨) تفسير ابن كثير ٣٠٧/٨.
(٩) المحرّر الوجيز ١٧٩/١٦.

بلغت الرّوح عظم الحلق والحُلْقوم، وقيل من الرّاقى الّذى يَرْقِى هذا المريض، ومَنِ الطّبيب الّذى يستطيع أن ينقذه من الموت الّذى هو صائرٌ إليه. وأيقن الّذى حَضَرَتْه أسباب الموت أنّه فراق الدّنيا والأهل والأحباب والأصحاب. والتفّت شدّة آخر ساعةٍ فى الدّنيا وهى ساعة الاحتضار وكرب الموت، وشدّة أولى ساعات الآخرة وهول مطلعها. إلى ربّك وحده لا شريك له فى ذلك الوقت السّوق والمرجع والمآب.

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ
﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾

فلا صدّق ولا صلّى: فلا صدّق بكتاب الله ولا صلّى لله[١]

ولكن كذّب وتولّى: ولكن كذّب بكتاب الله وتولّى عن طاعة الله[٢]

ثمّ ذهب إلى أهله تمطّى: ثمّ مضى إلى أهله منصرفاً إليهم يتبختر فى مشيته[٣]إعجاباً[٤]ويختال[٥] وقيل إنّها كانت مشية بنى مخزوم. وهي مأخوذة من المطا وهو الظّهر لأنّه يتثنّى فيها[٦]ويمدّ مطاه أي ظهره. والمطيّة ما يُرْكب مطاه من البعير. وقد امتطيته ركبت مطاه[٧]

أَوْلَى لك فأوْلَى: ثمّة وجه شبه بين الآية الكريمة وبين القول فى الآية الكريمة العشرين من سورة محمّد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ فَأَوۡلَىٰ لهم ﴾ وسبق أن قلنا[٨] فى هذا الشّأن: "وقد اختلف العلماء فيه أهو اسم أو فعل[٩] والأكثرون على أنّه اسم، فقيل هو

---

(١) تفسير الطّبرى ١٢٤/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٢٤/٢٩.
(٣) تفسير الطّبرى ١٢٤/٢٩.
(٤) الجلالين.
(٥) تفسير ابن كثير ٣٠٨/٨.
(٦) المحرّر الوجيز ١٨٠/١٦.
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "مطى"٦٠٨/٢.
(٨) مخطوط التّفسير البسيط ١١٨/٢٦والمطبوع ١٢٩/٢٦.
(٩) البحر المحيط ٧١/٨.

مشتقٌ من الوَلْي وهو القُرْب[1]ويقول ابن عطيّة[2]:والمشهور من استعمال أَوْلى أنّك تقول: هذا أولى بك من هذا أي أحقّ. وقد تستعمل أَوْلَى فقط على جهة الحذف والاختصارلما معها من القول،فتقول على جهة الزّجر والتّوعّد: أولى لك يا فلان، وهذه الآية من هذا الباب. أ. هـ.

فى ضوء ما سبق نستطيع أن نذهب إلى القول بأنّ ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ ﴾ و: ﴿ فَأَوْلَىٰ لهم ﴾إنّما يكون فى الشّر. وهو فى حكم الدّعاء على كلّ من المنافقين والكافرين بأن يكون المكروه قريباً منهم، والشّرّ لا حقاً بهم، والهلاك محيطاً بهم[3]" ويقول الزّمخشرى[4] : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ ﴾ بمعنى ويلٌ لك، وهو دعاءٌ عليه بأن يليه ما يكره". : "معناه العقاب أولى لك وبك"[5]

فلا صدّق هذا الكافر المنكر للبعث بكتاب الله تعالى الموحى به إلى محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا صلّى لله تعالى. والمعروف أنّ الصّلاة عمود الدّين فمن حَفِظَها حَفِظَ الدّين، ومن ضيّعها ضيّع الدين. ولكنّ هذا الكافر المنكر كذّب بقلبه ولسانه، وأعرض بوجهه وجسده. ثمّ ذهب إلى أهلهِ يتمطّى فى مشيته ويتبختر، يختال ويتمايل، سعيداً بموقفه المناوئ لدعوة الحقّ، مفتخراً بقباحته ووقاحته. الهلاك أولى لك، والبلاء أحقّ بك. ثمّ الهلاك أولى لك، والبلاء أحقّ بك.

---

(١) البحر المحيط ٨/٧١و٨١.

(٢) المحرّر الوجيز ١٥/٦٧.

(٣) تأمّلات فى سورة محمّد صلّى الله عليه وسلّم للمؤلّف ٢٠١الطّبعة الثّانية.

(٤) الكشّاف ٣/٢٩٥.

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "ولي" ٢/٦٩٤.

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى

﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

أن يترك سدى: أن يترك هَمَلاً لا يُؤْمَر ولا يُنْهَى ولا يُتَعَبَّد بعبادة[١]

نطفةً: ماءً قليلاً فى صلب الرّجل من منيّ[٢]

من منيّ يمنى: من منّي يصبّ فى الرّحم[٣]ويراق من الأصلاب فى الأرحام[٤]

ثمّ كان علقة: ثمّ كان دماً[٥]

فخلق: الله منها الإنسان[٦]

فسوّى: فسوّاه بشراً سويّاً ناطقاً سميعاً بصيرا[٧]

أيظنّ الإنسان الّذى خلقه الله تعالى فى أحسن تقويم وميّزه بالعقل والإرادة أن يُتْرَكَ هملاً وأنّه خُلِق عَبَثاً، فلا تكليف ولا حساب ولا جزاء! ألم يك هذا الإنسان الكافر ماءً قليلاً من منيّ فى الأصلاب يُصَبّ ويُراق فى أرحام النّساء. ثمّ كان المنيّ دماً عالقاً بالرّحم ، فخلق عزّ وجل العلقة مُضْغَة، فخلق المضغة عظاما، فكسا العظام

---

(١)تفسير الطّبرى ١٢٤/٢٩.

(٢)تفسير الطّبرى ١٢٥/٢٩.

(٣)الجلالين.

(٤)تفسير ابن كثير ٣٠٨/٨.

(٥)تفسير الطّبرى ١٢٥/٢٩و٧/١٨.

(٦)الجلالين.

(٧)تفسير الطّبرى ١٢٥/٢٩.

لحماً وخلق بشراً سوياً كاملاً عاقلاً سميعاً بصيرا. فجعل عزّ وجلّ من ذلك الإنسان المخلوق الزّوجين الذّكر والأنثى، وقد خُلِق الإنسان أساساً من ماءٍ مَهِين. إنّ الله تعالى هو الّذى فعل كلّ ذلك. أليس الله تعالى القادر على ذلك وعلى كلّ شيءٍ بقادرٍ على أن يحيى المَوْتَى يوم القيامة للحساب والجزاء، الثّواب والعقاب. بَلَى.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا قرأ ذلك قال: بَلَى. وفى رواية: قال: سبحانك وبَلَى[1]

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٩/١٢٥.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة القيامة من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١]

٢. عدد آيات السّورة الكريمة أربعون آيةً كريمة. وعدد كلماتها مائةٌ وتسعٌ وتسعون كلمة. وعدد حروفها ثلاثمائة واثنان وخمسون حرفاً[٢]

٣. سمّيت السّورة الكريمة سورة القيامة لمجئ لفظ القيامة فى الآية الكريمة الأولى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾وكذلك فى الآية الكريمة السادسة: ﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ثمّ إنّ يوم القيامة وملابساته من الموت وانفراط عقد الكون ومصير المنكرين ليوم القيامة وللبعث بعد الموت هو المحور الّذى تدور حوله السّورة الكريمة وموضوعها الأساس. ثمّ إنّ حديث السّورة فى ختامها عن تبختر المنكر للبعث فى مِشيته افتخاراً بجراءته على الله تعالى ورسوله، وحديثها عن بعض مراحل نموّ هذا المنكر للبعث فى بطن أمّه حتّى خروجه إنساناً كامل الخَلْق، كلّ ذلك من أجل حمل المنكر للبعث على تدارك خطئه والعودة إلى جادّة الصّواب. ومن هنا كان الإنذار الصّفة الّتى تتّصف بها السّورة الكريمة.

---

(١) انظر–مثلاً– الإتقان ١/٤٢ والجلالين، وتفسير ابن كثير ٨/ ٣٠٠وفى ظلال القرآن ٣٧٦٥ وفتح الباري ١/٢٩والمحرّر الوجيز ١٦/١٧٠والكشّاف ٣/٢٩١ والبحر المحيط ٨/٣٨وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٩/٩٥ وتفسير القرطبى ٦٨٨٢.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٩/٩٥.

٤. المطلع فى السّورة الكريمة: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ كأنّه إشارةٌ إلى موضوع السّورة الكريمة من المطلع إلى الختام[١]

٥. رُوِيَ عن عمر بن الخطّاب ﷺ أنّه قال: من سأل عن القيامة أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها فليقرأ هذه السّورة[٢]

٦. جاء فى الآية الكريمة الرّابعة عشرة بعد المائة من سورة طه قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ وجاء ما يشبه التّفصيل لهذا المعنى فى الآيات الكريمات من السّادسة عشرة إلى التّاسعة عشرة فى سورة القيامة. قال عزّ من قائل: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩ ﴾ إنّ فى الموضعين نهياً للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن العجلة فى أخذ القرآن الكريم من جبريل عليه السّلام. وفى آيات سورة القيامة مزيد تفصيل لهذا المعنى. وإنّ فى الآية الكريمة من سورة طه الدّعاء: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ وفى سورة القيامة بيانٌ لهذه الزّيادة فى العلم: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ﴾ وحينما نتبيّن أنّ هذه الآيات الكريمات المتعلّقات بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّم الّذى أنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم تأتى فى أثناء الحديث عن الإنسان الشّقيّ المكذّب للقرآن الكريم، نتبيّن بوضوحٍ من تضادِّ الموقفين من القرآن الكريم درك الشّقاء الّذى هوى إليه المكذّب للقرآن الكريم، وللرّسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم، المنكر للبعث.

---

(١) انظر هنا فى ظلال القرآن ٣٧٦٦.

(٢) المحرّر الوجيز ١٦/١٧٠.

٧. عناية الآية الكريمة الرّابعة بالأنامل أو رءوس الأصابع وذلك فى قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ لفت الانتباه إلى بَصَمات الأصابع. وقد انتهى العلماء إلى أنّ البَصْمَة خاصّةٌ بصاحبها ولا تتكرّر البَصْمَةُ بحالٍ من الأحوال. فسبحان الله تعالى الكبير المتعال.

٨. الجمع بين الشّمس والقمر حسّاً كما بيّنت الآية الكريمة التّاسعة: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ من علامات قيام السّاعة.

٩. الآيات الكريمات من السّادسة عشرة إلى التّاسعة عشرة الّتى ترشد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم إلى عدم تحريك لسانه وشفتيه وفمه عليه الصّلاة والسّلام في اثناء قراءة جبريل عليه السّلام الوحي عليه صلّى الله عليه وسلّم، والّتى تبشّره عليه الصّلاة والسّلام بأنّه لن ينسى شيئاً من القرآن الكريم وبأنّ الله تعالى سيبيّن له معنى القرآن الكريم وحلاله وحرامه وأحكامه، هي أياتٌ كريماتٌ تتحدّث فى هذه المعانى بشيءٍ من التّفصيل تختصّ به هذه السّورة الكريمة.

١٠. فهم أهل السّنّة والجماعة من الآية الكريمة الثّالثة والعشرين ومن غيرها من الآيات الكريمات، وكذلك الأحاديث النّبويّة الشّريفة، أنّ المؤمنين يوم القيامة سوف يَرَوْن الله تعالى عِياناً فى جنّات النّعيم. قال تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

١١. ثمّة بلاغةٌ بالحذف فى الآيتين الكريمتين الرّابعة والثّلاثين والخامسة والثّلاثين. قال تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾

١٢. عن الانسجام بين المعنى والمبنى فى السّورة الكريمة يقال الّذى يقال عن كلّ سور القرآن الكريم. ونودّ أن نومئ إلى الفواصل. جاء فى ستّ آياتٍ كريماتٍ أوّلاً فاصلة التّاء المربوطة الّتى تتحوّل حال الوقوف هاءً هي هاء ضمير الغائب الّتى جاءت فاصلة، لقد

جاءت الفاصلة تاءً مربوطة فى ثلاث آياتٍ كريمات هي ١، ٢، ٦. كما جاءت هاء ضمير الغائب فى ثلاث آياتٍ كريمات هي ٣، ٤، ٥. وقد جاءت الميم قبل حرف الفاصلة فى خمس آيات كريمات. وجاءت النّون قبل حرف الفاصلة فى الآية الكريمة الرّابعة وَحْدَها. وجاءت فاصلة الرّاء فى سبع آياتٍ كريمات هي ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ وجاءت التّاء المربوطة الّتى تتحوّل حال الوقف هاءً، كما جاءت هاء ضمير الغائب فى اثنتي عشرة آيةً كريمة هي ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥. وقد جاءت التّاء المربوطة فى سبع آياتٍ كريمات هي ١٤,٢٠,٢١,٢٢,٢٣,٢٤,٢٥ وجاء ضمير المفرد الغائب فاصلة فى خمس آيات كريماتٍ هي١٥,١٦,١٧,١٨,١٩وجاءت الياء المسبوقة بالقاف فى الآية الكريمات السادسة والعشرين. قال تعالى:﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ وجاءت فاصلة القاف في الآيات الكريمات ، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠. وحرف القاف هنا سبقه فى الآية الكريمة السّادسة والعشرين فاصلة الياء المسبوقة بالقاف الموطئة لتحوّل الفاصلة قافاً. ثمّ تأتى الألف المقصورة فاصلةً فى عشر آياتٍ كريمات تمام الأربعين آية. وهذه الآيات الكريمات هى ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠.

١٣. فى السّورة الكريمة عددٌ من الألفاظ والصِّيغ لم تأت فى غيرها من سور القرآن الكريم، نذكر منها: ﴿ ٱللَّوَّامَة ﴾: ﴿ نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾: ﴿ نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ :﴿ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾: ﴿ بَرِقَ ﴾:﴿ ٱلْقَرُّ ﴾:﴿ وَزَرَ ﴾: ﴿ ٱلْمُسْتَقَرُ ﴾ :بصيغة التّعريف بالألف واللّام: ﴿ وَأَخَّرَ ﴾: ﴿مَعَاذِيرَهُۥ ﴾:﴿ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾: بنصب تعجل ﴿ جَمْعَهُۥ ﴾: ﴿بَيَانَهُۥ ﴾:﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾: ﴿ بَاسِرَةٌ ﴾: ﴿ فَاقِرَةٌ ﴾: ﴿ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ :﴿ رَاقٍ ﴾:﴿ ٱلْمَسَاقُ ﴾: ﴿ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾: ﴿ سُدًى ﴾:﴿ مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾

١٤. يَغْلب على السّورة الكريمة الإنذار. وتكاد البشارة تنحصر فى الآيتين الكريمتين الثّانية والعشرين والثّالثة والعشرين. قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ومع أنّ البشارة تكاد تنحصر فى هاتين الآيتين الكريمتين، فَأَعْظِمْ بها من بشارةٍ وأَكْرِمْ. وأيّ بشارةٍ تفوق الوجوه المشرقة الوضيئة الّتى تنظر فى جنّات النّعيم لربّ العالمين.

١٥. نودّ أن نبيّن بإيجاز الوَحْدَة العضويّة للسّورة الكريمة. تدور السّورة الكريمة حول يوم القيامة وموقف جنس الإنسان من قضيّة البعث بعد الموت. إنّ الكثيرين آنذاك كافرون منكرون للبعث، ومن هنا كان الإنذار هو الطّابع الغالب على السّورة الكريمة. وإنّ القليلين مؤمنون عاملون لما بعد الموت. ومن هنا كان حظّ البشارة فى السّورة الكريمة من حيث عَدَدُ الآيات الكريمات محدودا. وبناءً على الموقفين المختلفين من البعث كان ثمّة حديثٌ عن النّفس اللّوّامة، وعن النّفس البصيرة. والنّفس اللّوّامة تلوم صاحبها على تقصيره فى عمل الحسنات وعلى عمل السّيّئات إن كانت نفساً مؤمنة، أو تلوم صاحبها على عمل السّيّئات إن كانت نفساً غير مؤمنة. وهذه النّفس مبصرةٌ وشاهدةٌ على صاحبها وله، وكذلك أعضاؤه وجوارحه.

وفى أثناء الحديث عن ملابسات يوم القيامة والبعث بعد الموت والحساب و الجزاء تأتى الآيات الكريمات الأربع الّتى تختصّ بمعلّم البشريّة صلّى الله عليه وسلّم. إنّه عليه الصّلاة والسّلام هو الأسوة الحسنة للمؤمنين، وإنّ نفسه الكبيرة عليه الصّلاة والسّلام يختصّها الله تعالى بالمزيد من الفضل ومن الوحي ومن العلم ومن التّوجيه والإرشاد.

وهكذا يتأكّد وجوب طلب العلم، كما يتأكد أنّ نفس المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أتقى النّفوس وأخشاها لله تعالى هى دائماً وأبداً فى حاجةٍ إلى مزيد الفضل من الله

تعالى. ما أَعْظَمَ الدُّرُوسَ المستفادة من هذه الآيات الكريمات الأربع الّتى تتحدّث عن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم .

ثمّ يعود الحديث إلى النّوعين الطّبيعين من النّفوس المطمئنّة فى جنّات النّعيم، والمعذّبة فى نار الجحيم. إنّ أصحاب النّفوس المطمئنّة آمنوا وعبدوا الله تعالى حقّ العبادة واستعدّوا للقاء الله واستدلّوا بخلق الله تعالى لهم على قدرته عزّ وجلّ على خلقهم يوم القيامة مرّةً أخرى. وقد عملوا وفق هذا العلم فَنَجَوْا. وإنّ الآخرين كفروا، وقصّروا فى جنب الله تعالى، وعطّلوا عقولهم، وأنكروا يوم القيامة واستهزءوا به حتّى أتاهم الموت. وإذا كان مصير المؤمنين الجنّة وكانت وجوههم ناضرة إلى ربّها ناظرة، فإن مصير الكافرين النّار، وكانت وجوهم كالحة، وإنّهم عن ربّهم يوم القيامة لمحجوبون.

إنّ السّورة الكريمة تتحدّث فى هذه المعانى الّتى يأخذ بعضها برقاب بعض، فى نظمٍ بديع، ومعنًى رفيع، هذا إلى تلاؤمٍ صوتّيِ عجيب، وفاصلةٍ حرّةٍ مستقرّة.

وصلّى الله عليه وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الأحد ١٤٢٣/١٢/٢٢هـ
الموافق ٢٠٠٣/٢/٢٣م

عاشراً
سورة الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ
إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ
ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾
وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ
لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾
فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً
وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ
وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا
كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا
وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ
وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا

۝٢٣ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلاً ۝٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ
ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا ۝٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ
وَسَبِّحۡهُ لَيۡلاً طَوِيلاً ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا
ثَقِيلاً ۝٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ ۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلاً ۝٢٨
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ
لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ۝٣١

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((خَلَقَ الله تعالى آدم عليه السّلام من طين، وخَلَقَ ذرّيّته من ماءٍ مهين، وهداهم السّبيل، فمنهم الشّكور وله أجرٌ عظيم، ومنهم الكفور وله عذابٌ أليم))

الآيات (١-٦)

قد أتى على الإنسان، أبينا آدم عليه السّلام، حينٌ من الزّمان، لم يكن شيئاً مذكوراً ذا شأن، وذلك حينما كان لا يزال طيناً. إنّا خلقنا الإنسان، ابن آدم عليه السّلام، من نطفةٍ وماءٍ قليلٍ لكلّ□من الرّجل والمرأة، أمشاجٍ وأخلاط. فجعلنا الإنسان سميعاً بصيراً فى أحسن تقويم. إنّا هدينا الإنسان سواء السّبيل، إمّا شاكراً مهتدياً موحّدا، وإمّا كفوراً ضالاً مشركا. إنّا أعددنا للكافرين يوم القيامة سلاسل يُسْحَبُونَ بها من أرجلهم إلى النّار، وأغلالاً تشدّ أيديهم إلى أعناقهم شدّاً، وناراً ذات لهبٍ تحرقهم. إنّ الأَبرار الّذين بَرُّوا الله تعالى بطاعتهم إيّاه وعمل الحسنات واجتناب السّيّئات يشربون فى الجنّة كأس خمرٍ كان مزاجها كافوراً معروفاً بلذاذته وبرودته. عين ماءٍ طعمها الكافور يشرب منها عباد الله تعالى الأبرار يفجّرونها حيث شاءوا تفجيرا.

(٢)

((بعض نعوت الأبرار، وبعض جزائهم يوم القيامة))

الآيات (٧-٢٢)

مِنْ نعوت الأبرار أنّهم يوفون بالنّذر الّذى نذروه فى طاعة الله تعالى، ويخافون يوماً، هو يوم القيامة، كان شرّه منتشرا. ويطعمون الطّعام مع حبّهم له وشدّة حاجتهم له مسكيناً أسكنه الفقر، وطفلاً فقد أباه ولا شيءٍ له وهو اليتيم، وأسيراً من أهل الحرب أو محبوساً فى حقّ من أهل القِبْلَة. إنّ لسان حالهم إن لم يكن لسان المقال يقول: إنّما نطعمكم لوجه الله تعالى الّذى أمر بذلك، لا نريد منكم جزاءً مادّيّاً ولا شكراً معنويّا. إنّا نخاف من ربّنا عزّ وجلّ يوماً يجعل الوجوه عابسةً كالحةً بسبب عُبُوسِه وكُلُوحِه الشّديدين. فوقاهم الله تعالى شرّ ذلك اليوم وأعطاهم إشراقاً فى الوجه، وسروراً فى النَّفس. وأثابهم بسبب صبرهم جنّةً ينعمون فيها وحُلَلَ حريرٍ يرفلون فيها. متّكئين على جنوبهم فيها على الأسرّة المفروشة المنمّقة تحت القباب وخارجها، لا يرون فى الجنّة شمساً يؤذيهم حرّها، ولابرداً يؤذيهم قُرُّه. ودانيةً عليهم ظلال أشجارها، وذُلِّلَتْ ثمارها تذليلاً فينالها القائم والقاعد والمضطجع، ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضّةٍ للطّعام والشّراب، وأكوابٍ لا عُرَى لها ولاخراطيم للشّراب من فضة، كانت فى الصّفاء كالقوارير والزّجاج، وكانت فى البياض كالفضّة. إنّها تجمع بين صفاء الزّجاج وبياض الفضّة. وهذا الجمع لا يكون إلاّ فى أقداح الجنّة. وقد قدّر الطّائفون تلك الأكواب على قدر رِيّ الشّاربين فلا زيادة ولا نقصان.

ويُسْقَون فى الجنّة كأس خمرٍ كان طعم الماء الّذى تُمْزج به زنجبيلاً معروفاً بلذاذته وحرارته كي يعتدل الحال مع الكافور اللّذيذ البارد. كان مزاجها زنجبيلاً عين ماءٍ ذلك هو طعمها تُسَمّى سلسبيلا، لسلاستها فى الحلق وسرعة انحدارها وطعمها اللّذيذ. ويطوف عليهم لأجل الخدمة وِلْدانٌ مخلَّدون لا يشيبون. إذا رأيتهم يا محمّد ويا أيّها المؤمن حسبتهم لصغر سنّهم، وبياضهم، وحسنهم، ولطف انتشارهم لؤلواً منثورا. وإذا رأيت هنالك فى الجنّة رأيت بكلتا عينيك نعيماً لا نهاية له، وملكاً عظيما.

عالِيَ الأبرار وفوقهم ثياب سندسٍ ورقيق الدّيباج خضرٌ هي الظَّهائر، وإستبرقٌ وغليظ الدّيباج هو البَطائن، وحلاّهم ربّهم فى معاصمهم أساور من فضّة، وسقاهم ربّهم شراباً غايةً فى الطّهارة. يقال لهؤلاء الأبرار، إنّ هذا النّعيم كان لكم جزاءً على حسن عملكم فى الحياة الدّنيا، وكان سعيكم مشكورين عليه مِنّا، ومثابين عليه.

(٣)

((لقد نزّلنا عليك يا محمّد القرآن الكريم، فاصبر على البلاء والطّاعات، وثواب المهتدين، وعذاب الظّالمين))

الآيات (٢٣–٣١)

إنّا نحن نزّلنا عليك يا محمّد القرآن الكريم تنزيلاً يليق بجلاله فى أسمى طرق الوحي. فاصبر لحكم ربك على البلاء وعلى الطّاعات ولا تطع من كافرى قومك آثماً كثير الآثام، أو كفوراً شديد الكفر بالله تعالى، شديد الكفران للنَّعم. واذكر اسم ربّك ذكراً كثيراً بكرةً

وأصيلاً. فى كلّ الأوقات وفى كلّ الأحوال. فى الصّلاة وفى غير الصّلاة. فى صلاة الصّبح بكرة، وفى صلاة العصر أصيلاً، وقبلها صلاة الظّهر. وفى صلاة اللّيل فى المغرب والعشاء. وسبّحه ليلاً طويلاً فى صلاة القيام. وهكذا تتأكّد أهمّيّة الصّلاة المشتملة على ذكر الله تعالى، والسّجود، والتّسبيح.

إنّ هؤلاء المشركين يحبّون الحياة الدّنيا العاجلة الزّائلة، ويهملون وراءهم يوم القيامة الثّقيل إلاّ على من رحم ربُّك.نحن خلقناهم فى أحسن تقويم، وقوّينا خلقهم وسائر أعضاء جسدهم، وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا، واستبدلنا بهم غيرهم لن يكونوا أمثالهم.

إنّ هذه السّورة الكريمة تذكرةٌ وموعظة، فمن شاء اتّخذ سبيلاً إلى ربّه عزّ وجلّ وجنّات نعيمه وإلاّ فإنّ السُّنّة ماضية والعقاب واقع. وما تشاءون أيّها النّاس إلاّ أن يشاء الله تعالى فاسألوه وتضرّعوا له وأفردوه بالعبادة. إنّ الله تعالى كان دائماً وأبداً عليماً حكيما. يدخل فى رحمته من يشاء إدخاله لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه. والمشركين الظّالمين أعدّلهم عذاباً أليماً فى نار جهنّم.

التَّفْسِير

(١)

((خَلَقَ الله تعالى آدم عليه السّلام من طين،وخَلَقَ ذرّيّته من ماءٍ مهين، وهداهم السّبيل،
فمنهم الشّكور وله أجرٌ عظيم، ومنهم الكفور وله عذابٌ أليم))

الآيات (١–٦)

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣

هل أتى على الإنسان حينٌ من الدّهر: قد أتى على الإنسان. وهل فى هذا الموضع خبر[١] لا جَحْد[٢] وذلك كقول القائل لآخر يقرّره: هل أكرمتك وقد أكرمه، أو هل زرتك وقد زاره. وقد تكون حجداً فى غير هذا الموضع وذلك كقول القائل لآخر: هل يفعل مثل هذا أحد، بمعنى أنّه لا يفعل ذلك أحد[٣]والإنسان هو آدم صلّى الله عليه وسلّم[٤]. قال قتادة: كان آدم صلّى الله عليه وسلّم آخر ما خلق من الخلق[٥]وقد أتى عليه صلّى الله عليه وسلّم حينٌ من الدّهر وزمانٌ الله تعالى أعلم بحقيقته[٦]

لم يكن شيئاً مذكورا: لم يكن شيئاً له نباهةٌ ولا رفعةٌ ولا شرف، إنّما كان طيناً لازبًا وحَمَأً مَسْنُونا[٧]

---

(١) المراد بالخبر هنا الاستفهام التقريرىّ.
(٢) المراد بالجحد هنا الاستفهام الإنكاريّ.
(٣) تفسير الطّبرى ١٢٥/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١٢٥/٢٩.
(٥) تفسير الطّبرى ١٢٥/٢٩.
(٦) انظر تفسير الطّبرى ١٢٦/٢٩ومفردات الرّاغب الأصفهانى: "حين"١٨٢/١.
(٧) تفسير الطّبرى ١٢٦/٢٩والطّين اللّازب: اللّاصق واللّازق. والحمأ المسنون: الطّين الأسود المتغيّر.

إنّا خلقنا الإنسان: إنّا خلقنا ذرّيّة آدم عليه السّلام[١]

من نطفة: من ماء الرّجل وماء المرأة. والنّطفة كلّ ماءٍ قليلٍ فى وعاء[٢]

أمشاج: أخلاط واحدها مَشَج ومشيج[٣]قال ابن عبّاس:ماء المرأة وماء الرّجل يختلطان[٤] وقال مجاهد: أيّ الماءين سبق أشبه عليه أعمامه وأخواله[٥]

نبتليه: نختبره[٦]

قد أَتَى على آدم عليه السّلام حينٌ من الدّهر وحيّزٌ من الزّمان لم يكن شيئاً مذكوراً ذا أهمّيّة، لأنّه كان طينا. إنّا خلقنا الإنسان من ذرّيّة آدم عليه السّلام من نطفةٍ وماءٍ قليلٍ هو ماء الرّجل وماء المرأة. وهذا الماء القليل أمشاج، أي أخلاطٌ من ماء الرّجل وماء المرأة. نبتليه ونختبره ونصيّره مكلّفا. لقد جعلناه ذا سمع وذا بصر، كي يقوم بما يجب عليه من شكر لله تعالى بإفراده عزّ وجلّ بالعبادة. إنّا هديناه السّبيل إلى الخير وهو بعد ذلك إن اهتدى إلى الخير وعمل به كان شكوراً لربّه عزّ وجلّ، وإلاّ كان كفوراً للنِّعم جحوداً كنودا.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٢٦/٢٩.

(٢) تفسير الطّبرى ١٢٦/٢٩.

(٣) تفسير الطّبرى ١٢٦/٢٩والمعجم الوسيط: "مشج" ومفردات الرّاغب الأصفهانى: "مشج" ٦٠٦/٢وانظر المحرّر الوجيز ١٨٣/١٦واللّسان: "مشج".

(٤) تفسير الطّبرى ١٢٦/٢٩.

(٥) تفسير الطّبرى ١٢٧/٢٩.

(٦) تفسير الطّبرى ١٢٧/٢٩.

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۠ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا

إنآ أعددنا وهيّأنا للكافرين بالله تعالى الكفورين للنّعم سلاسل فى أرجلهم يسحبون بها ويجرّون إلى نار جهنم، وأغلالاً فى أيديهم تشدّ الأيدى إلى الأعناق شدّاً، وسعيراً ولَهَباً وحريقاً فى نار جهنّم.

إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ۝٦

إنّ الأبرار: إنّ الّذين بّروا بطاعتهم ربّهم فى أداء فرائضه واجتناب معاصيه[١] والأبرار جمع بَرّ. والبررة جمع بارّ[٢].

يشربون من كأس: وهو كلّ إناء كان فيه شراب[٣] والقدح مادام فيه الخمر، وهي مؤنّثة[٤]

كان مزاجها: كان مزاج ما فيها من الشّراب[٥]

كافورا: يعنى فى طيب رائحتها كالكافور[٦] وقد علم مافى الكافور من التّبريد والرّائحة الطّيّبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللّذاذة فى الجنّة[٧]

عيناً: بدل من: ﴿ كَافُورًا ﴾ منصوب[٨] كان مزاج الكأس الّتى يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكافور فى طيب رائحته[٩] وفيها رائحته[١٠]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٢٨/٢٩.
(٢) المعجم الوسيط: "بر".
(٣) تفسير الطّبرى ١٢٨/٢٩.
(٤) المعجم الوسيط: "الكأس".
(٥) تفسير الطّبرى ١٢٨/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ١٢٨/٢٩.
(٧) تفسير ابن كثير ٣١٢/٨.
(٨)الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ١٤٩/١٣.
(٩) تفسير الطّبرى ١٢٨/٢٩.
(١٠) الجلالين.

يشرب بها عباد الله: يروى بها وينتفع [١] وقيل يشرب منها[٢]

عباد الله: أولياؤه[٣]

يفجّرونها تفجيرا: يقودونها ويصرفونها حيث شاءوا[٤] وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالّهم[٥]

إنّ الأبرار الّذين برّوا ربّهم عزّ وجلّ بطاعتهم إيّاه واستباق الخيرات واجتناب السّيّئات، يشربون فى الجنّة من كأسٍ مفعمةٍ بخمرٍ كان مزاجها كافوراً فى طيب رائحتها وكانت برداً وسلاماً بحقّ شاربيها، إضافةً إلى كونها اللّذة فى غايتها، والنّعيم فى منتهاه. كان مزاجها عين ماءٍ يشرب منها عباد الله تعالى يفجّرونها متى شاءوا وكيف شاءوا تفجيرا فى القصور والدُّور، وفى المجالس والمنازل.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٢٨/٢٩.

(٢) الجلالين.

(٣) الجلالين.

(٤) تفسير الطّبرى ١٢/٢٩

(٥) تفسير ابن كثير ٣١٢/٨.

(٢)

((بعض نعوت الأبرار، وبعض جزائهم يوم القيامة))

الآيات (٧-٢٢)

يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾

يوفون بالنّذر: بطاعة الله تعالى من الصّلاة والزّكاة والحجّ والعمرة وما افترض عليهم[١] والنّذر هو كلّ ما أوجبه الإنسان على نفسه من فعل[٢]

مستطيرا: ممتدّاً طويلا فاشيا[٣]

على حبّه: على حبّهم إيّاه، وشهوتهم له [٤]

ويتيماً: هو الطّفل الّذى قد مات أبوه ولا شيء له[٥]

وأسيرا: هو الحربيّ من أهل دار الحرب يؤخذ قهراً بالغلبة، أو من أهل القبلة فيؤخذ فيحبس بحقّ [٦]

عبوساً: تعبس فيه الوجوه من شدّة مكارهه [٧]

قمطريرا: شديداً [٨]

هؤلاء الأبرار يوفون بالنّذر الّذى نذروه فى طاعة الله تعالى من صلاةٍ وصدقةٍ

---

(١) تفسير الطّبرى ١٢٩/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٢٩/٢٩.
(٣) تفسير الطّبرى ١٢٩/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١٢٩/٢٩.
(٥) تفسير الطّبرى ١٢٩/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ١٢٩/٢٩.
(٧) تفسير الطّبرى ١٣١/٢٩.
(٨) تفسير الطّبرى ١٣١/٢٩ومفردات الرّاغب الأصفهانى: "قمطر" ٥٣٣/٢.

وحجّ وعمرة وسائر الطّاعات،ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً، وأذاه واسعاً. إنّه يوم القيامة الّذى يأخذ الأبرار حذرهم من التّقصير فى حقّه مستعينين بالله تعالى ومتوكّلين عليه. ويلحق بالإيفاء بالنّذر أنّ الأبرار يطعمون الطّعام مع حبّهم إيّاه وشهوتهم له، مسكيناً قد أسكنه الفقر وهدّه، ويتيماً قد فقد والده ولا شيء له، وأسيراً من أهل الحرب، أو من أهل القبلة قد حُبِس فى حقّ.

إنّ لسان حال أولئك الأبرار، وكذلك المقال يقول لمن يطعمونه الطعام من المحتاجين: إنّما نطعمكم لوجه الله تعالى الّذى أمرنا بإطعامكم، لا نريد منكم جزاءً مادّيّاً ولا شكراً معنويّا، ولكنّا نريد الجزاء من الله تعالى.

ويلحق بخوفهم اليوم الّذى كان شرّه واسعاً وأذاه منتشراً أنّهم يعلنون أنّهم يخافون من ربّهم عزّ وجلّ يوم القيامة الّذى تعبس فيه الوجوه وتنقبض من هوله، وتكلح ويشتدّ انقباضها من شدّة وطأته.

فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ
وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا
عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ
قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾
قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا
﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ
حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ
ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾

ولقّاهم: وأعطاهم(١)

نضرة: فى وجوههم(٢)

وسرورا: فى قلوبهم(٣)

متّكئين: الاتّكاء قيل الاضطجاع(٤)**والميل على أحد الشّقّين**(٥) **وقيل التّربّع فى الجلوس. وهو أشبه بالمراد ههنا. ومنه الحديث الصّحيح: أمّا أنا فلا آكل متّكئاً. فيه القولان**(٦)

---

(١) الجلالين والكشّاف ٢٩٧/٣.
(٢) تفسير الطّبرى ١٣١/٢٩و١٣٢.
(٣) تفسير الطّبرى ١٣١/٢٩و١٣٢.
(٤) تفسير ابن كثير ١٥٢/٥.
(٥) لسان العرب: "وكأ".
(٦) تفسير ابن كثير ١٥٢/٥وانظر ٣١٥/٨ولسان العرب: "وكأ".

على الأرائك: قال المفسّرون: الأرائك السّرر فى الحِجال[1]والحِجال جمع الحَجَلة. والحَجَلة:مثل القبّة. وحجلة العروس: بيتٌ يزّين بالثّياب والأسرّة والسّتور[2] وقال الزّجّاج: الأرائك الفرش فى الحِجال. وقيل: هي الأسرّة. وهي فى الحقيقة الفرش، كانت في الحِجال أو في غير الحِجال. وقيل: الأريكة سريرٌ منجَّد مزيّنٌ فى قبّةٍ أو بيت. فإذا لم يكن فيه سريرٌ فهو حَجَلة[3]

لا يرون فيها شمساً: فيؤذيهم حرّها[4]

ولا زمهريرا: وهو البرد الشّديد فيؤذيهم بردها[5]

ودانيةً عليهم ظلالها: وقربت منهم ظلال أشجارها[6] وهي معطوفة على متّكئين[7]

وذلّلت قطوفها تذليلا: وذلّل لهم اجتناء ثمر شجرها كيف شاءوا، قعوداً وقياماً ومتّكئين[8]وأدنيت ثمارها[9]

---

(١) لسان العرب: "أرك".

(٢) لسان العرب: "حجل".

(٣) لسان العرب: "أرك" وانظر التّفسير البسيط١٥/٢٨٦.

(٤) تفسير الطّبرى ٢٩/١٣٢.

(٥) تفسير الطّبرى ٢٩/١٣٢.

(٦) تفسير الطّبرى ٢٩/١٣٢.

(٧) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ١٣/١٥٣.

(٨) تفسير الطّبرى ٢٩/١٣٢.

(٩) الجلالين.

ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضّة: ويطاف على هؤلاء الأبرار بآنيةٍ من الأوانى التي يشربون فيها شرابهم هي من فضّة[١]

وأكواب: أقداح بلا عُرًى والمفرد كُوب[٢] وبلا خراطيم[٣]

قوارير من فضّة: هي فى صفاء القوارير والزّجاج، ولها بياض الفضّة[٤] والقوارير لا تكون إلاّ من زجاج. فهذه الأكواب هي من فضّة، وهي مع هذا شفّافةٌ يُرَى ما في باطنها من ظاهرها. وهذا ممّا لا نظير له فى الدّنيا[٥]

قدّروها تقديرا: قدّروا تلك الآنية الّتى يطاف عليهم بها تقديراً على قدرِ رِيِّهم، لا تزيد ولا تنقص عن ذلك[٦]

كان مزاجها زنجبيلا: فتارةً يمزج لهم الشّراب بالكافور وهو بارد.وتارةً بالزّنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر [٧]

سلسبيلا: سلسلة منقاداً ماؤها[٨] وصفت بالسّلاسة فى الحلق [٩] أي سهلاً لذيذاً سلسا[١٠]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٣٣/٢٩.
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "كوب"٢/٥٧٠والجلالين.
(٣) تفسير ابن كثير ٣١٦/٨.
(٤) انظر تفسير الطّبرى ١٣٣/٢٩.
(٥) تفسير ابن كثير ٣١٦/٨.
(٦) تفسير الطّبرى ١٣٤/٢٩.
(٧) تفسير ابن كثير ٣١٧/٨.
(٨) تفسير الطّبرى ١٣٥/٢٩.
(٩) تفسير الطّبرى ١٣٥/٢٩.
(١٠) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "سل"٣١٢/١.

إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا: إذا رأيت يا محمّد هؤلاء الولدان مجتمعين أو مفترقين تحسبهم فى حسنهم ونقاء بياض وجوههم وكثرتهم لؤلؤاً مبدّداً أو مجتمعاً مصبوبا[١]

ثَمّ: الجنّة[٢]

رأيت نعيماً: لا يوصف[٣]

وملكاً كبيرا: واسعاً لا غاية له [٤]

عاليهم: فوقهم[٥] ظرف مكان منصوب متعلّق بمحذوف خبر مقدّم للمبتدأ ثياب[٦]

سندس: السّندس مارقّ من الدّيباج[٧] وهو الظَّهائر[٨]

وإستبرق: الإستبرق ما غَلُظَ من الدّيباج[٩] وهو البَطائن[١٠]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٣٦/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٣٦/٢٩والكشّاف ٢٩٩/٣.
(٣) الجلالين.
(٤) الجلالين.
(٥) الجلالين وانظر الكشّاف ٢٩٩/٣.
(٦) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ١٥٦/١٣والجلالين.
(٧) تفسير الطّبرى ١٣٧/٢٩.
(٨) الجلالين.
(٩) تفسير الطّبرى ١٣٧/٢٩.
(١٠) الجلالين.

وحُلّوا أساور: وحلاّهم ربّهم أساور، وهي جمع أَسْوِرَة[1] أي أنّ أسورة جمع الجمع، وأنّ الأساور جمع السّوار بكسر السّين وبضمّها، سوار المرأة [2] وهو حِلْيَةٌ من الذّهب مستديرةٌ كالحَلْقة تُلْبس فى المِعْصم أو الزّند. وقيل إنّ الجمع أسورة وأساور[3]

شراباً طهورا: مبالغة فى طهارته ونظافته بخلاف خمر الدّنيا[4]

فوقاهم الله تعالى شرّ ذلك اليوم الّذى يجعل الوجوه الغاية فى العُبُوس والسّواد، وأعطاهم إشراقاً فى الوجوه، وسروراً فى النّفوس. وجزاهم بما صبروا جنّات النّعيم، وألبسهم أنواع الحرير. متّكئين فى تلك الجنّات، على الفراش الوثير، فوق كلّ سرير، وتحت أنواع القباب، أوفى الفضاء الواسع. لا يرون فى جنّات النّعيم شمساً حارقةً تضرّهم، ولا برداً قارساً يؤذيهم، ولكنّه الظّلّ الظّليل، والهواء العليل، والنّسيم البليل. ودانيةً على الأبرار ظلال الأغصان والأشجار، وذلّلت قطوفها تذليلاً، وأدنيت ثمارها للقائم والقاعد والمضطجع. ويطوف عليهم الّذين يخدمونهم بآنيةٍ من فضّةٍ وأقداحٍ بلا عُرًى ولا خراطيم. وهذه الأقداح كانت فى صفاء الزّجاج، وبياض الفضّة. وقد قدّر تلك الآنية الطّائفون تقديراً على قدر رِيّ الشّاربين، دون زيادةٍ ولا نقصان. ويسقون فيها كأس خمرٍ كان مزاجها زنجبيلا. والزّنجبيل معروفٌ بلذاذته وحرارته، والكافور معروفٌ بلذاذته وبرودته. فثمّة توازنٌ بين الحرارة والبرودة. كان مزاجها عين ماء هي

---

(١) تفسير الطّبرى ١٣٧/٢٩.

(٢) لسان العرب: "سور".

(٣) المعجم الوسيط: "سور".

(٤) الجلالين.

الغاية فى السّلاسة والانسياب فى الحلق واللّذاذة.

ويطوف على الأبرار للخدمة ولدانٌ مخلّدون لا يشيبون. إذا رأيتهم يا محمّد ويا أيّها المؤمن حسبتهم لجمالهم، ولطفهم، وبياضهم، وانتشارهم، لؤلؤاً منثورا. وإذا رأيت يا محمّد فى الجنّة ويا أيّها المؤمن وأرسلت بصرك فى أيّ اتّجاه رأيت نعيماً لا يوصف، وملكاً عظيما. فوق الأبرار ثيابُ سندسٍ من رقيق الدّيباج خُضْرُ الألوان، بطائنها من إستبرق وغليظ الدّيباج. وحلاّهم ربّهم عزّ وجلّ فى معاصمهم أساور من فضّة هي الغاية فى الحسن والجمال، وسقاهم ربّهم عزّ وجلّ شراباً هو الغاية فى الطّهارة والجلال. ويقال للأبرار وهم فى ذلك النّعيم يَرْفُلُون: إنّ هذا الثّواب العظيم، كان لكم جزاءً من الرّبّ الكريم، وكان سعيكم مشكورا، وربّكم غفورا.

(٣)

((لقد نزّلنا عليك يا محمّد القرآن الكريم، فاصبر على البلاء والطّاعات، وثواب المهتدين، وعذاب الظّالمين))

الآيات (٢٣-٣١)

إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ
ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ
ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾

إنّا نحن يا محمّد نزّلنا عليك القرآن الكريم تنزيلاً يليق بجلاله وعظمته. لقد أنزلناه عليك فى أسمى طرق الوحي بواسطة أميننا على الوحي جبريل عليه السّلام. فاصبر يا محمّد لحكم ربّك فيهم، ولا تستعجل لهم، ولا تطع منهم آثماً مذنباً، أو كفوراً، شديد الكفر بالله تعالى، والكفران للنعم. واذكر يامحمّد اسم ربّك فى الصّلاة وفى غير الصّلاة ذكراً كثيرا. اذكر اسم ربك بكرةً فى صلاة الفجر، وأصيلاً فى صلاة العصر والصّلاة الّتى قبلها صلاة الظّهر. ومن اللّيل فاسجد له فى صلاة المغرب والعشاء. وسبحّه ليلاً طويلاً فى صلاة القيام. اذكر اسم ربّك عزّ وجلّ وسبّح بحمده فى كلّ الأوقات والأحوال.

إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

وشددنا أسرهم: وشددنا خَلْقَهُمْ[1] إشارة إلى حكمته تعالى فى تراكيب الإنسان المأمور بتأمّلها وتدبّرها فى قوله تعالى[2]: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[3]

إنّ هؤلاء المشركين المصرّين على التّكذيب يحبّون العاجلة ويؤثرون الحياة الدّنيا على الآخرة، ويهملون وراءهم يوماً ثقيلاً وموقفاً عصيباً يوم القيامة. نحن خلقناهم فى أحسن تقويم، وشددنا خلقهم وقوّيناه وأتقنّاه، كي يبصروا فى أنفسهم، وكي يشكروا لله تعالى نعمه، وكي يفردوه بالعبادة. وإذا شئنا بدّلنا أمثال هؤلاء المشركين تبديلاً، فأهلكناهم وأنشأنا من بعدهم قوماً آخرين يخلفونهم، ولن يكونوا أمثالهم. إنّ هذه السّورة الكريمة تذكرةٌ لمن يتذكّر، وموعظةٌ لمن يتّعظ. فمن شاء اتّخذ إلى ربّه عزّ وجلّ سبيلاً وإلى طاعته طريقاً فليفعل، وليبادر قبل فوات الأوان، وإلاّ فالسّنّة ماضية، والوعد لا يتخلّف.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٣٩/٢٩.
(٢) سورة الذّاريات ٢١.
(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "أسر"٢١/١.

وعليكم أن تعلموا أيّها النّاس أنّكم ما تشاءون إلاّ أن يشاء الله تعالى، فالشّأن كلّه لله تعالى. إنّ ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن. فتضرّعوا إلى الله تعالى أن يهديكم سواء السّبيل، وأن يأخذ بأيديكم إلى أقوم سبيل. إنّ الله تعالى كان عليماً بمن يستحقّ أن يهديه ومن يستحقّ أن يضلّه، حكيماً فى كلّ شيء، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه. يدخل الله تعالى فى رحمته من يشاء إدخاله، فله الحياة الطّيّبة فى الأولى والآخرة، ويضلّ الظّالمين الّذين لهم فى الأولى المعيشة الضّنك والحياة الضيّقة الشّديدة، ولهم فى الآخرة العذاب الأليم، الّذى أعدّه الله تعالى لهم فى نار الجحيم.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة الإنسان مُخْتَلَفٌ فيها. فمن العلماء من رجّح أنّها مكّيّة أو ذهب إلى أنّها مكّيّة[١] ومن العلماء من رجّح أنّها مدنيّة أو ذهب إلى أنّها مدنيّة[٢]

٢. عدد آيات السّورة الكريمة إحدى وثلاثون آيةً كريمة[٣] وعدد كلماتها مائتان وأربعون كلمة. وعدد حروفها ألفٌ وثلاثةٌ وخمسون حرفاً[٤]

٣. تسمّى السّورة الكريمة سورة الإنسان لمجيء لفظ الإنسان فى الآية الكريمة الأولى وكذلك الثّانية. ومن العلماء من يسمّيها سورة الدَّهْر[٥] وسمّيت سورة الدّهر لمجيء لفظ الدّهر فى الآية الكريمة الأولى.

٤. رَوَى الإمام مسلم فى صحيحه[٦] عن ابن عبّاس أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة: آلم تنزيل السّجدة، وهل أتى على الإنسان حينٌ من الدّهر، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ فى صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣١٠/٨وفى ظلال القرآن ٣٧٧٧والكشّاف ٢٩٥/٣والمحرّر الوجيز١٨٢/١٦وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٠٧/٢٩والجلالين.

(٢) الإتقان ٤٣/١وتفسير القرطبى ٦٩٠٩والبحر المحيط ٣٩١/٨.

(٣) المصحف الشّريف.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٠٧/٢٩.

(٥) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٠٧/٢٩والبحر المحيط ٣٩١/٨.

(٦) ٥٩٩/٢حديث رقم ٨٧٩.

٥.أفاضت السّورة الكريمة فى وصف جزاء الأبرار فى جنّات النّعيم. ويكاد يكون وصف النّعيم هنا تالياً لوصف السّابقين المقرّبين وأصحاب اليمين فى سورة الواقعة.

٦.تُعْنى السّورة الكريمة بقضايا أسس العقيدة الّتى يُعْنَى بها المكّيّ من القرآن الكريم من توحيدٍ لله تعالى وتصديقٍ للرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وللقرآن الكريم وإيمانٍ بالبعث. وربّما كان الحديث المستفيض عن نعيم الأبرار فى جنّات النّعيم من أدلّة الّذين يقولون بأنّ السّورة الكريمة من المكّيّ من القرآن الكريم، باعتبار الحديث عن هذا النّعيم من الوسائل لإقناع المكذّبين بيوم القيامة وبالبعث.

٧. تذكر السّورة الكريمة مجموعةً من نعوت الأبرار.

٨.ثمّة وجه شبه كبير بين ختام هذه السّورة الكريمة وختام سورة المدّثّر المكّيّة فى إسناد المشيئة لله تعالى، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن.

٩.الإنذار أَحَدُ موضوعات السّورة الكريمة. وهو محدود بالقياس إلى التّبشير بالنّعيم فى جنّات عدنٍ للأبرار. إنّ للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا، وهم مصرّون على إثمهم وكفرهم، ويحبّون العاجلة ويهملون يوم القيامة الثّقيل الّذى وراءهم وخلف ظهورهم ولا يعملون من أجله، وهم لا يُبْصِرون فى أنفسهم ولا يقومون بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى على نعمه وذلك بإفراده عزّ وجلّ بالعبادة. ولا يخفى اهتمام السّورة الكريمة بيوم القيامة الّذى يصحّ أن يقال عنه إنّه هو المحور الّذى تدور حوله السّورة الكريمة من زوايتي التّرغيب فى الجنّة والتّرهيب من النّار.

١٠.إذا رجح أنّ السّورة الكريمة المكّيّ من القرآن الكريم يكون الجزء التّاسع والعشرون فى مجموعه من المكّيّ من القرآن الكريم، ويكون الجزء الثّامن والعشرون فى مجموعه من المدنيّ من القرآن الكريم.

١١.جاء فى السّورة الكريمة مجموعةٌ من الألفاظ والصّيغ لم تأت فى غيرها من السّور الكريمات.نذكر منها: ﴿ مَّذْكُورًا ﴾:﴿ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾:﴿سلاسل﴾: في صيغة النَّصب. ﴿ مِزَاجُهَا ﴾:فى موضعين اثنين ﴿ كَافُورًا ﴾:﴿ يُفَجِّرُونَهَا ﴾:﴿ بِٱلنَّذْر ﴾ فى صيغة التّعريف:﴿ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾:﴿ وَيُطْعِمُون ﴾:﴿وَأَسِيرًا ﴾:﴿ نُطْعِمُكُم ﴾ ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾:﴿ وَلَقَّىٰهُمْ ﴾:﴿ نَضْرَةً ﴾:بالتّنوين: ﴿ وَسُرُورًا ﴾ ﴿وَجَزَىٰهُمْ ﴾ ﴿ جَنَّةً ﴾:منصوبةً منوّنة: ﴿ وَحَرِيرًا ﴾: منصوبة﴿شَمْسًا ﴾:﴿ زَمْهَرِيرًا ﴾: ﴿ وَدَانِيَة﴾ بالنّصب:﴿ ظِلَٰلُهَا ﴾:﴿ وَذُلِّلَت ﴾:﴿ تَذْلِيلا ﴾: ﴿ بِءَانِيَة ﴾:جمع إناء. ﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴾ فى موضعين اثنين : ﴿ قَدَّرُوهَا ﴾:﴿ زَنجَبِيلا ﴾: ﴿ تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾:﴿ حَسِبْتَهُمْ ﴾ ﴿ نَعِيمًا ﴾:﴿ عَٰلِيَهُمْ ﴾: ﴿ خُضْرٌ ﴾: بالضّمّ:﴿ وَإِسْتَبْرَق ﴾: بالضّمّ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم ﴾ بالضّمّ ﴿ ءَاثِمًا ﴾: ﴿ أَسْرَهُم ﴾

١٢.جاءت فاصلة الرّاء فى عشرين آيةً كريمة، وجاءت فاصلة اللّام فى تسعٍ آياتٍ كريمات هى ١٤، ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٨,٢٧، ٢٩ وجاءت فاصلة الميم فى آيتين كريمتين هما ٣٠، ٣١.

١٣.نودّ أن نبيّن بإيجاز الوَحْدَةَ العضويّة للسّورة الكريمة. تتحدّث السّورة الكريمة عن الإنسان حينما لم يكن شيئاً مذكوراً بل منسيّا، وذلك حينما كان آدم عليه السّلام طيناً، كما تتحدّث عن ذرّيّة آدم عليه السّلام الّذين خلقهم الله تعالى من سلالةٍ من ماءٍ مهين. وقد هدى الله تعالى الإنسان إلى سواء السّبيل، وثمّة الشّكور الّذى له جنّات النّعيم،والكفور الّذى له نار الجحيم، وتبيّن السّورة الكريمة بعض نعوت الأبرار، وتفيض فى

وصف نعيمهم فى موضعٍ من أطول المواضع فى القرآن الكريم وصفاً لنعيم الأبرار يوم القيامة.

ولمّا كان القرآن الكريم يهدى للطّريقة الّتى هي أقوم فقد كان ثمّة تحوّلٌ إلى القرآن الكريم وأمرٌ له صلّى الله عليه وسلّم بأنّ يصبر على إعراض الكافرين وأذاهم، وأن يذكر الله تعالى ذكراً كثيراً فى الصّلاة وفى غير الصّلاة. وتبيّن السّورة الكريمة حَقِيقَةَ المكذّبين الّذين يحبّون الدّنيا العاجلة ويهملون يوم القيامة الثّقيل الشّديد. إنّ عليهم أن يفهموا بأنّ الله تعالى الّذى خلقهم أوّل مرّةٍ قادرٌ على أن يستبدل بهم غيرهم في الحياة الدّنيا وأن يعيد خلقهم يوم القيامة. إنّ عليهم أن يتّعظوا بهذه السّورة الكريمة، وبكلّ آي الذّكر الحكيم وأن يتّخذوا سبيلاً إلى ربّهم عزّ وجلّ كي يدخلوا جنّات النّعيم، وأن يعلموا أنّ الهداية لا تكون إلاّ بمشيئة الله تعالى العليم الحكيم. إنّ من شاء الله تعالى هدايته هداه وأدخله فى رحمته. ومن شاء الله تعالى ضلاله أضلّه وأعَدّ له يوم القيامة عذاباً أليما.

وهكذا تأخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض.

وصلّى الله عليه وسلّم علي سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
مساء يوم الجمعة ١٤٢٣/١٢/٢٧هـ
الموافق ٢٠٠٣/٢/٢٨م

حادِيَ عشر
سورة المُرْسَلات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ
فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا
ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ
أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ
مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ
﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ
﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ
صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ
﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ
قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا
يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

بين يَدَيِ التَّفْسِير

(١)

((أُقْسِمُ بالرّياح المرسلة، والملائكة المنزلة، أنّ عذاب يوم القيامة لواقع، وبعض علامات قيام السّاعة ويوم الفصل))

الآيات (١-١٥)

أُقْسِمُ بالرّياح الرّخاء المرسلات المتتابعات كالشَّعْر على عنق الفَرَس، فالرّياح العاصفات بشدّة، والرّياح النّاشِرات السّحاب والمطر. وأُقْسِمُ بالملائكة الّتي تَفْرُقُ بين الحقّ والباطل، والّتي تبلّغ الرّسل وحي الله تعالى، إعذاراً من الله تعالى إلى خلقه وإنذاراً لهم. إنّما توعدون أيّها النّاس من البعث بعد الموت لواقع.

فإذا النّجوم ذهب ضوؤها. وإذا السّماء انشقّت. وإذا الجبال نُسِفَتْ من أصلها فكانت هباءً منبثّا. وإذا الرّسل جُمِعَتْ لوقتٍ معلوم. لأيّ يومٍ أُجِّلت الرّسل. ليوم الفصل بين النّاس يوم القيامة. وما أدراك يا محمّد ويا أيّها الإنسان ما يوم الفصل العظيم هَوْلُه ! عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

(٢)

((بعض مظاهر القدرة الإلهيّة دليلاً على القدرة على البعث))

الآيات (١٦-٢٨)

ألم نهلك الأوّلين المكذّبين. ثمّ نلحق بهم المكذّبين اللّاحقين. كذلك نفعل بالمجرمين بعد ذلك مثل كفّار مكّة ومن شاكلهم. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

ألم نخلقكم أيّها النّاس من ماءٍ مهين ضعيف. فجعلناه فى رحمٍ استقرّ فيها الماء فتمكّن. إلى وقتٍ معلومٍ يخرج فيه الجنين فى أحسن تقويم. فقدرنا فنعم القادرون نحن على فعل كلّ شيءٍ أردناه. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

ألم نجعل الأرض وعاءً لكم وموضعاً. أحياءً على ظهرها. وأمواتاً فى بطنها. وجعلنا فيها جبالاً ثابتاتٍ شاهقاتٍ. وأسقيناكم من السّماء ماءً عذباً.عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

(٣)

((بعض مظاهر عذاب المكذّبين وثواب المتّقين يوم القيامة))

الآيات (٢٩-٥٠)

انطلقوا أيّها الكافرون إلى ما كنتم به تكذّبون من البعث والعذاب، انطلقوا إلى دخانٍ ذى ثلاث فرقٍ إذا خرج من جهنّم وعلا عليها، إنّه لا يظلّ من الحرّ ولا يحمى من لهب النّار. إنّ جهنّم ترمى بشرارٍ كالقصر العظيم حجم الشّرارة الواحدة منه، كأنّ الشّرار الجِمالُ السُّودُ اللّون المائل إلى الصّفرة. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

هذا يوم لا ينطق فيه الّذين كانوا ينكرونه فى الدّنيا، ولايُسْمَحُ لهم بالقول فيعتذرون. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

هذا يوم الفصل بين النّاس جَمَعْناكُمْ فيه أيّها المكذّبون، وجمعنا فيه المكذّبين السّابقين. فإن كان لكم حيلةٌ كي تدفعوا العذاب عنكم فافعلوا وهيهات. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

إنّ المتّقين فى ظلال أشجارٍ وفى عيونٍ متدفّقة. وفواكه ممّا يشتهون أكله. كلوا هنيئاً، واشربوا مريئاً بما كنتم تعملون فى الحياة الدّنيا من صالح الأعمال. إنّا فى مثل هذه الطّريقة نجزى المحسنين. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

كلوا وتمتّعوا قليلاً فى الحياة الدّنيا إنّكم مجرمون. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

وإذا قيل لهم صلّوا مع المصلّين لا يصلّون. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

فبأيّ حديثٍ بعد هذا الكتاب العزيز يؤمنون!

التَّفْسِير

(١)

((أُقْسِمُ بالرّياح المرسلة، والملائكة المنزلة، أنّ عذاب يوم القيامة لواقع، وبعض علامات قيام السّاعة ويوم الفصل))

الآيات (١-١٥)

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧

والمرسلات عرفا: والرّياح المرسلات يتبع بعضها بعضا[١] كَعُرْف الفَرَس يَتْلُو بعضه بعضا[٢] وعرف الفرس بضمّ العين وسكون الرّاء شَعْر عُنُق الفَرَس[٣]

فالعاصفات عصفا: فالرّياح الشّديدة[٤]

والنّاشرات نشرا: والرّياح تنشر المطر [٥] أو السّحاب[٦] أو والملائكة الّتى تنشر الرّياح[٧]

فالفارقات فرقا: فالملائكة الّتى تفرق بين الحقّ والباطل[٨] والهُدَى والغَيّ والحلال والحرام[٩]

فالملقيات ذكرا: فالملائكة المبلّغات وحي الله رسله[١٠]

عذراً أو نذرا: فالملقيات ذكراً إلى الرّسل إعذاراً من الله إلى خلقه وإنذاراً منه لهم[١١]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٠/٢٩.
(٢) الجلالين.
(٣) المعجم الوسيط: "عرف".
(٤) الجلالين وتفسير الطّبرى ١٤١/٢٩وتفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(٥) الجلالين وتفسير الطّبرى ١٤٢/٢٩وتفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(٦) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "نشر"٦٣٦/٢.
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "نشر"٦٣٦/٢وتفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٢/٢٩.
(٩) تفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(١٠) تفسير ابن كثير ٣٢١/٨.
(١١) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.

وتلقى إلى الرّسل وحياً فيه إعذارٌ إلى الخلق، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره[١]

والرّياح المرسلات المتتابعات تتابع الشَّعْر على عنق الفَرَس، والرّياح الشّديدات العاصفات الّتي تجعل ما تعصف به عَصْفاً وحُطامَ نبت متكسّر[٢] والرّياح النّاشرات للسّحاب والمطر نشرا. فالملائكة الفارقة بين الحقّ والباطل، الحلال والحرام فرقاً، فالملقيات إلى رسل الله تعالى ذكراً ووحيّا، إعذاراً من الله تعالى إلى خلقه وإنذاراً منه لهم. إنّما توعدون أيّها النّاس من البعث بعد الموت والحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب، لواقعٌ لا محالة.

:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[٣]:﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧ ﴾[٤]

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٢١/٨.

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني: "عصف" ٤٣٨/٢.

(٣) سورة المائدة ١٩.

(٤) سورة الأنعام ١٥٥-١٥٧.

فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

فإذا النّجوم طمست: فإذا النّجوم ذهب ضياؤها[١]

وإذا السّماء فُرِجَتْ: وإذا السّماء شُقِّقَتْ وصُدِّعَتْ[٢]

وإذا الجبال نسفت: وإذا الجبال نسفت من أصلها فكانت هباءً منبثّا[٣]

وإذا الرّسل أقّتت: وإذا الرّسل أجّلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة[٤] وجمعت لوقت[٥]

لأيّ يومٍ أجّلت: لأيّ يومٍ أجّلت الرّسل ووقّتت. ما أعظمه وأهوله[٦]

ليوم الفصل: يوم يفصل فيه بين النّاس بأعمالهم إلى الجنّة وإلى النّار[٧]

وما أدراك ما يوم الفصل: وأيّ شيءٍ أدراك يا محمّد ما يوم الفصل. معظِّماً بذلك أمره وشدّة هوله[٨]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٣/٢٩.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٧) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩

فإذا النّجوم ذهب ضوؤها وانظفأت. وإذا السّماء انشقّت. وإذا الجبال نُسِفَتْ نسفاً وغدت هباءً منثورا. وإذا الرّسل جُمِعَت لوقتٍ معلوم، ويومٍ مشهود. لأيّ يومٍ مهيب ووقتٍ عصيب أُجّل موعد اجتماع الرّسل. ليوم الفصل بين النّاس بأعمالهم والأخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة، أو ذات الشّمال إلى النّار. وما أدراك يا محمّد ويا أيّها الإنسان ما يوم الفصل بين النّاس يوم القيامة. ما أعظمه وأشدّ هوله. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين رسل الله تعالى إليهم وبالبعث بعد الموت والحساب والجزاء.

(٢)

((بَعْضُ مظاهر القدرة الإلهيّة دليلاً على القدرة على البعث))

الآيات (١٦-٢٨)

أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

ألم نهلك المكذّبين السّابقين. ثمّ نُلْحِقْ بهم المكذّبين المتأخرّين عنهم زمناً. وكما أهلكنا المجرمين السّابقين نفعل بالمجرمين اللّاحقين من كفّار مكّة ومن شاكلهم من المكذّبين الضّالّين. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيد للمكذّبين فى كلّ زمانٍ ومكان.

أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

من ماءٍ مهين: من نطفةٍ ضعيفة[١]

فجعلناه فى قرارٍ مكين: فجعلنا الماء المهين فى رحمٍ استقرّ فيها فتمكّن[٢] معدٌّ لذلك، حافظٌ لما أُودِعَ فيه من الماء [٣]

إلى قَدرٍ معلوم: إلى وقتٍ معلوم– لخروجه من الرّحم–عند الله [٤]

فقدرنا فنعم القادرون: فملكنا فنعم المالكون[٥]

ألم نخلقكم أيّها النّاس من ماءٍ مهين ونطفةٍ ضعيفةٍ تخرج من صلب الرّجل. فجعلنا ذلك الماء الضّعيف فى رحم استقرّ فيها فتمكّن. إلى وقتٍ معلوم وموعدٍ محدّد ينتهى فيه الحمل ويخرج الجنين بإذن الله تعالى فى أحسن تقويمٍ، وأجمل صورة. فقدرنا على فعل ذلك الخلق العجيب، فنعم القادرون نحن، فلا يعجزنا شيءٌ أردناه، إنّما نقول له كن فيكون. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٢) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير ٣٢٣/٨.
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٤/٢٩.
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٥/٢٩.

أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

ألم نجعل الأرض كفاتا: ألم نجعل الأرض وعاء. تقول: هذا كِفْتُ هذا[1] وكَفِيتُه[2] إذا كان وعاءه[3]

أحياءً وأمواتا: أحياءً على ظهرها وأمواتاً فى بطنها[4]

رواسي: جبالاً ثابتات[5]

شامخات: شاهقات[6]

وأسقيناكم ماءً فراتا: العرب تقول إذا سقت الرّجل ماءً شربه أو لبناً أو غيره سقيته، بغير ألف، إذا كان لسقيه. وإذا جعلوا له ماءً لشرب أرضه أو ماشيته قالوا أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته. وكذلك إذا استسقت له قالوا: أسقيته واستسقيته[7]

فراتاً: عذبا[8]

ألم نجعل الأرض وعاءً وموضعاً لأحيائكم على ظهرها، ولموتاكم فى بطنها. وجعلنا فى الأرض جبالاً راسخاتٍ شاهقات. وأسقيناكم ماءً عذباً نازلاً من السّماء أساسا. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

---

(١) كفت بكسر الكاف وسكون الفاء. لسان العرب: "كفت".
(٢) كفيت: بفتح الكاف وكسر الفاء. لسان العرب: "كفت".
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٥/٢٩.
(٤) الجلالين ولسان العرب: "كفت".
(٥) تفسير الطّبرى ١٤٥/٢٩.
(٦) تفسير الطّبرى ١٤٥/٢٩.
(٧) تفسير الطّبرى ١٦/١٤.
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.

(٣)

((بعض مظاهر عذاب المكذّبين وثواب المتّقين يوم القيامة))

الآيات (٢٩-٥٠)

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

انطلقوا إلى ظلّ: انطلقوا إلى ظلّ دخان[١]

ذى ثلاث شعب: دخان جهنّم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق أو ثلاث شعب لعظمته[٢]

لا ظليل: لا هو يظلّهم من حرّها [٣]

ولا يغنى من اللّهب: ولا يكنّهم من لهبها[٤] ولا يردّ عنهم شيئاً[٥]

إنّها ترمى بشرر: الشَّرر الشّرار والواحدة شَرَرة. والشّرر أجزاءٌ صغيرة متوهّجة تنفصل عادةً من جسمٍ يحترق[٦] وشرار النّار ما تطاير منها. وسمّيت بذلك لاعتقاد الشّرّ فيه[٧]

كالقصر: العظيم[٨] ومن البناء فى عِظَمِه وارتفاعه[٩]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.
(٢) انظر تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩ والجلالين .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.
(٤) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.
(٥) الجلالين.
(٦) المعجم الوسيط: " شرر".
(٧) مفردات الرّاغب الأصفهانى: "شرر" ٣٣٩/١.
(٨) تفسير الطّبرى ١٤٦/٢٩.
(٩) الجلالين.

كأنّه جمالة: جمع جمل[1] أي أينق[2]

صفر: أي أينق سود. وقالوا الصّفر فى هذا الموضع بمعنى السّود. قالوا: وإنّما قيل لها صفر وهي سود لأنّ ألوان الإبل سود تضرب إلى الصّفرة، ولذلك قيل لها صفر. كما سمّيت الظّباء أدماً لما يعلوها فى بياضها من الظّلمة[3]

انطلقوا أيّها المجرمون إلى ما كنتم به تكذّبون من عذاب يوم القيامة. انطلقوا إلى دخان جهنّم الّذى إذا ارتفع افترق لعظمته إلى ثلاث فرق. لا هو يظلّهم من حرّ جهنّم ولا هو يحميهم من لهبها. إنها ترمى بشرارٍ يتطاير منها كأنّ الشّرارة الواحدة القصر الكبير. وكأنّ الشَّرار الجِمالُ السّودُ المائلة إلى الصّفرة شكلاً ولوناً. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

---

(١) الجلالين.

(٢) تفسير الطّبرى ١٤٧/٢٩.

(٣) تفسير الطّبرى ١٤٧/٢٩.

هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾

هـذا يـوم لا ينطـق المجرمـون فى بعـض أجزائـه لطولـه وشـدّة هولـه. ولا يـؤذن لهـم فيتكلّمون ويعتذرون عمّا بَدَرَ منهم في الحياة الدّنيا من سوء اعتقادٍ وعمل. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

هـذا يـوم الفصـل بـين النّـاس جمعنـاكم فيـه أيّهـا المكـذّبون مـع المكـذّبين السّـابقين للحساب والجزاء. فإن كان لكم كيدٌ كي تتخلّصوا من الحساب فافعلوا، أو كان لكم حيلةٌ كي تنجوا من العذاب فهلمّوا. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾

إنّ الّذين اتّقوا عذاب الله تعالى بفعل الطّاعات واجتناب المعصيات فى ظلال أشجار باسقات، وفى عيون ماءٍ متدفّقات. وفى فواكه ممّا يشتهون أكله ويطلبون. ويقال لهم: كلوا هنيئاً واشربوا مريئاً بسبب ما كنتم تعملون فى الحياة الدّنيا من أعمالٍ صالحة. إنّا كما جزينا هؤلاء المتّقين نجزى كلّ المحسنين. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

كلوا وتمتّعوا قليلاً فى الحياة الدّنيا أيّها المجرمون المكذّبون المنكرون للبعث. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

وإذا قيل لهؤلاء المكذّبين فى الحياة الدّنيا اركعوا مع المؤمنين المصلّين لا يركعون ولا يصلّون دليلاً على الإدبار عن الصّراط المستقيم والإقبال على طريق الجحيم. عذابٌ شديدٌ وهلاكٌ أكيدٌ للمكذّبين.

فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

فبأيّ حديثٍ بعد القرآن الكريم، كلام ربّ العالمين، الّذى نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، على الرّسول العظيم محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم يؤمنون ويهتدون. إنّهم إذا كان على قلوبهم الأقفال الّتى تمنع نور القرآن الكريم من الاستقرار فى تلك القلوب، فَأَحْرىَ بهم إلاّ يؤمنوا ويهتدوا بأيّ حديثٍ غيره، وأيّ كلامٍ سواه.

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاطٍ إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة :

١. سورة المرسلات من المكّيّ من القرآن الكريم الّذى نزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١]

٢. عدد آيات السّورة الكريمة خمسون آيةً كريمة[٢] وعدد كلماتها مائةٌ وإحدى وثمانون كلمة. وعدد حروفها ثمانمائة وستّة عشر حرفا[٣]

٣. رَوَى البخاريّ في صحيحه[٤] عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فى غارٍ (بمنى)[٥] إذ نزلت عليه : ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ ﴾ فإنّه ليتلوها وإنّ لأتلقّاها من فيه، وإنّ فاه لرطبٌ بها، إذ وثبت علينا حيّة. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: اقتلوها. فابتدرناها فذهبت. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: وُقِيَتْ شرّكم كما وقيتم شرّها.

٤ .رَوَى مسلم فى صحيحه[٦] عن ابن عبّاس قال: إنّ أمّ الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ: ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴾ فقالت: يا بُنَيّ، لقد ذكّرتنى بقراءتك هذه السّورة. إنّها لآخر ما سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ بها فى المغرب.

---

(١) انظر–مثلاً–الإتقان ٤٢/١والجلالين وتفسير ابن كثير ٣٢٠/٨وفى ظلال القرآن ٣٧٨٨وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٦/٢٩والكشّاف ٣٠١/٣والبحر المحيط ٤٠٢/٨والمحرّر الوجيز ١٩٦/١٦وتفسير القرطبى ٦٩٤٤وفتح البارى ٦٨٨/٨ وحديث رقم ٤٩٣٤و٦٨٩.

(٢) المصحف الشّريف والكشّاف ٣٠/٣والبحر المحيط ٤٠٢/٨ وتفسير القرطبى ٦٩٤٤.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٦/٢٩.

(٤) فتح البارى ٦٨٨/٨حديث رقم ٤٩٣٤و٦٨٥ حديث رقم ٤٩٣٠و٤٩٣١.

(٥) فتح البارى ٦٨٨/٨ حديث رقم ٤٩٣٤ وص ٦٨٩.

(٦)١/ ٣٣٨ حديث رقم ٤٦٢

٥.المحور الّذى تدور حوله السّورة الكريمة البعث بعد الموت. والسّورة الكريمة شأنها شأن السّور المكّيّة الّتى تُعْنَى بأسس العقيدة.

٦. فى السّورة الكريمة عددٌ من الألفاظ والصّيغ الّتى لم تأت فى غيرها من سور القرآن الكريم. نذكر منها: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾:﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾:﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾ ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾:﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ﴾:﴿ نُذْرًا ﴾:﴿ طُمِسَتِ ﴾: ﴿ فُرِجَتِ ﴾ ﴿ نُسِفَتِ ﴾:﴿ أُقِّتَت ﴾:﴿ أُجِّلَت ﴾:﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ ﴾:﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ ﴿ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾:بالتّعريف ﴿ شَٰمِخَٰت ﴾:﴿فُرَانًا ﴾:﴿ ٱنطَلِقُوٓا ﴾:في موضعين اثنين ﴿ شُعَبٍ ﴾:﴿ ظَلِيلٍ ﴾:﴿ تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴾ بتعريف القصر. ﴿ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ ﴿ جَمَعْنَٰكُمْ ﴾: ﴿ لَا يَرْكَعُونَ ﴾

٧.جاء القول: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عشر مرّات وهي الآيات الكريمات ١٩,١٥ ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩.

٨. نودّ أن نبيّن بإيجاز أخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض. يقسم الحقّ جلّ وعلا بالرّياح وبالملائكة بأنّ يوم القيامة واقعٌ لا محالة. ثمّ يكون الحديث عن بعض الأمور المتعلّقة بيوم القيامة دليلاً على قيام السّاعة حسّاً، وذلك بذهاب ضوء النّجوم وانشقاق السّماء ونسف الجبال، ومعنًى، وذلك بجمع الرّسل لوقتٍ معلوم هو يوم الفصل بين الخلائق. ثمّ تتحدّث السّورة الكريمة عن بعض الأدلّة على قدرة الله تعالى كي يستدلّ المكذّبون على قدرة الله تعالى على إعادة الحياة إلى الخلائق يوم القيامة. ومن الأدلّة على قدرة الحقّ جلّ وعلا المطلقة إهلاك المكذّبين، وخلق الإنسان من ماءٍ مهين، وجعل الأرض وعاءً للنّاس، أحياءً على ظهرها وأمواتاً فى بطنها، وجعل الجبال الشّامخات فى الأرض لإرسائها، وإنزال الماء العذب من السّماء من أجل النّاس فى المقام الأوّل. ثمّ

يكون الحديث عن بعض مظاهر عذاب الكافرين فى النّار، يوم الفصل بين النّاس، وعن بعض مظاهر ثواب المؤمنين. وتنعى السّورة الكريمة فى ختامها على الكافرين الّذين يأكلون ويتمتّعون كما تتمتّع الأنعام الغافلة عن مصيرها الأليم، والّذين لا يصلّون مع المصلّين، والّذين لا يؤمنون بهذا القرآن الكريم كلام ربّ العالمين.

وصلّى الله عليه وسلّم علي سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة: الرّصيفة.
مساء يوم الاثنين ١٤٢٣/١٢/٣٠هـ
الموافق ٢٠٠٣/٣/٣م
السّاعة العاشرة والنّصف مساءً
وكانت بداية كتابة هذا التّفسير
عام ١٤٠٣هـ أي قبل ما يزيد
على عشرين عاماً ولله الحمد والمنّة.

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنية البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة
ورئيس لجنة تحكيم مسابقة الملك
عبد العزيز الدّولية لتلاوة القرآن
الكريم وتجويده وتفسيره.

ملحوظة :

بفضل الله تعالى تمّ تفسير
الجزء الثّلاثين سابقاً ، وقد كتبت
مقدّمته صبيحة يوم الاثنين ٣٠/ ١٢/ ١٤١٥هـ
الموافق ٢٩/ ٥/ ١٩٩٥م وتمّ استلال عملين منه ،
أوّلهما التّفسير المبسّط وقد طُبع سنة ١٤١٧هـ
كما أنّي سجّلته بصوتي للمِطْبَعَة . وآخرهما التّفسير الميسّر وهو مخطوط .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الآيات	رقم الصّفحة
المقدّمة		٣
أوّلاً : سورة المُلْك		٥
بين يدي التَّفْسِير		٧
التَّفْسِير		١٤-٤١
١ – تَمَجَّدَ الله تعالى الّذي خلق الموت والحياة والسّماوات السّبع ، وزيّن السّماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً	١-٥	١٥
٢ – للّذين كفروا عَذابُ السّعير ، وللّذين يخشون ربّهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير ، وإلى الله تعالى العليم الرّزّاق النُّشور	٦-١٥	٢١
٣– ما أَشَدَّ إنذارَ اللهِ تعالى البصير بكلّ شيءٍ للكافرين وإنْكارَهُ عليهم ، وما أشدّ ذُلَّهم في الأُولَى وخِزْيَهُمْ في الآخرة	١٦-٢٤	٢٧
٤–الكافرون عمي البصر والبصيرة يستعجلون بعذاب	٢٥-٣٠	٣٤
تعقيب		٣٧
ثانياً: سورة القَلَم		٤٢
بين يدي التَّفْسِير		٤٥
التَّفْسِير		٥٠-٨٣
١– محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم ذو الخُلُقِ العظيم ليس بمجنون. ولا تُطِعْ يا محمّد المكذّبين الضّالّين	١-١٦	٥١

٢– اِبْتَلَى الله تعالى كفّار مكّة بالسّنين كما ابتلى أصحاب الجنّة بذهاب الثّمر، فعليهم أن يتوبوا وإلاّ كان العذاب الأكبر في الآخرة	١٧–٣٣	٦٠
٣–لا يستوى المتّقون أصحاب الجنّة والمجرمون أصحاب النّار	٣٤–٤٣	٦٦
٤ –اِصبر يا محمّد لِحُكْمِ ربّك في المكذّبين لك وللقرآن الكريم، ولا تكن في نفاد الصّبر كصاحب الحوت	٤٢–٥٢	٧١
تعقيب		٧٨
ثالثاً: سورة الحاقّة		٨٤
بين يدي التَّفْسِير		٨٧
التَّفْسِير		٩١–١١٣
١–أهلك الله تعالى الطّغاة الّذين عَصَوْا رسل ربّهم جلّ وعلا	١–١٢	٩٢
٢– بعض ملابسات يوم القيامة، وثَوابُ من أُوتِيَ كتابه بيمينه، وعِقابُ من أُوتِيَ كتابه بِشِمالِه	١٣–٣٧	١٠٠
٣– الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ليس شاعراً ولا كاهنا، والقرآن الكريم حقّ اليقين	٣٨–٥٢	١٠٧
تعقيب		١١١
رابعاً:سورة المعَارِج		١١٤
بين يدي التَّفْسِير		١١٧
التَّفْسِير		١٢١–١٣٥

١– يَسْأَلُ الكافرون عن يوم القيامة على سبيل الاستهزاء، وما أَصْعَبَ ذلك اليَوْمَ عليهم	١–٨	١٢٢
٢– بعض نعوت المؤمنين المصلّين الّذين يكرمهم الله تعالى في جنّات النّعيم	١٩–٣٥	١٢٨
٣– بعض صفات الكافرين، وبعض مظاهر عذابهم يوم القيامة	٣٦–٤٤	١٣١
تعقيب		١٣٤
خامساً:سورة نُوحٍ عليه السّلام		١٣٦
بين يدي التَّفْسِير		١٣٨
التَّفْسِير		١٤٢–١٥٦
١– نوحٌ عليه السّلام يدعو قومه إلى الله تعالى في كلّ الأوقات والأحوال	١–١٤	١٤٣
٢– نوحٌ عليه السّلام يذكّر قومه المعاندين بِخَلْقِ الله تعالى السّماوات والأرض وخلقهم،وتسخير ما في السّماوات والأرض لهم،وبالبعث بعد الموت	١٥–٢٠	١٤٨
٣– يُصِرُّ قوم نوحٍ عليه السّلام على الكفر وعبادة الأصنام فيدعو الله تعالى عليهم فيغرقهم ويحرقهم في نار جهنّم وينجّى الله تعالى المؤمنين والمؤمنات	٢١–٢٨	١٥٠
تعقيب		١٥٤
سادساً:سورة الجِنّ		١٥٧
بين يدي التَّفْسِير		١٦٠

التَّفْسِير		١٦٤-١٨٥
١- الجِنُّ يَسْتَمِعُون القرآن الكريم فيؤمنون به ويوحّدون الله تعالى ويؤمنون بالبعث وينذرون قومهم	١-١٥	١٦٥
٢- الله تعالى يبلونا بالشّرّ والخير فتنة، وليس على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلاّ البلاغ، وعذاب الكافرين شديدٌ في الأولى والآخرة .	١٦-٢٨	١٧٣
تعقيب		١٨٠
سابعاً:سورة المزّمّل		١٨٦
بين يدي التَّفْسِير		١٨٩
التَّفْسِير		١٩٤-٢١٢
١- قِيامُ اللَّيْلِ أَشَدُّ مُوافَقَةً للقلب، فقم اللّيل أيّها المتزمّل، واعبد ربّك، وأنذر قومك، وليؤمنوا بيوم القيامة قبل فوات الأوان	١-١٩	١٩٥
٢- اِقْرَأُوا ما تَيَسَّرَ من القرآن الكريم في القيام وغير القيام، وأقيموا الصّلاة وآتُوا الزّكاة وافعلوا الخير واستغفروا الله تعالى	٢٠	٢٠٥
تعقيب		٢٠٨
ثامناً: سورة المدّثّر		٢١٣
بين يدي التَّفْسِير		٢١٦
التَّفْسِير		٢٢٢-٢٤٨

١– يا أيّها المتدثّر قم فأنذر قومك يوم القيامة العسير، وأنذر العنيد الّذى زعم أنّ القرآن الكريم قول البشر	١–٢٥	٢٢٣
٢– خَزَنَةُ جهنّم الّتى لا تُبْقِى ولا تذر ملائكة،وجهنّم إحدى الدَّواهى العظام	٢٦–٣٧	٢٣٣
٣– بعض أسباب دخول المجرمين جهنّم، ومنها فِرارُهُمْ من سماع القرآن الكريم، وعَدَمُ الإيمان بالبعث، وعَدَمُ الاتّعاظ بالقرآن الكريم	٣٨–٥٦	٢٣٩
تعقيب		٢٤٥
تاسعاً: سورة القِيامة		٢٤٩
بين يدي التَّفْسِير		٢٥١
التَّفْسِير		٢٥٦–٢٨٤
١– الله تعالى قادرٌ يوم القيامة على إعادة خلق الإنسان المنكر للبعث، وعلى عقابه، فعليه أن يؤمن بالبعث وأن يعمل للآخرة	١–١٥	٢٥٧
٢– إنّ علينا يا محمّد جَمْعَ القرآن الكريم فى صدرك،وإقراءَك إيّاه،وتبيينَ معناه	١٦–١٩	٢٦٤
٣– يوم القيامة وجوه المؤمنين مشرقة، ووجوه الكافرين كالحة، فاحذروا شدّة آخر ساعات الدّنيا وأُولَى ساعات الآخرة، واعملوا لما بعد الموت	٢٠–٤٠	٢٦٨
تعقيب		٢٧٩

عاشراً: سورة الإنسَان		٢٨٥
بين يدي التَّفْسِير		٢٨٨
التَّفْسِير		٢٩٣-٣١٦
١- خَلَقَ الله تعالى آدم عليه السّلام من طين،وخَلَقَ ذرّيّته من ماءٍ مهين، وهداهم السّبيل، فمنهم الشّكور وله أجرٌ عظيم، ومنهم الكفور وله عذابٌ أليم	١-٦	٢٩٤
٢- بعض نعوت الأبرار، وبعض جزائهم يوم القيامة	٧-٢٢	٣٠٠
٣- لقد نزّلنا عليك يا محمّد القرآن الكريم، فاصبر على البلاء والطّاعات، وثواب المهتدين، وعذاب الظّالمين	٢٣-٣١	٣٠٩
تعقيب		٣١٣
حاديَ عشر: سورة المرسلات		٣١٧
بين يدي التَّفْسِير		٣٢٠
التَّفْسِير		٣٢٤-٣٤٢
١- أُقْسِمُ بالرّياح المرسلة، والملائكة المنزلة، أنّ عذاب يوم القيامة لواقع، وبعض علامات قيام السّاعة ويوم الفصل	١-١٥	٣٢٥
٢- بَعْضُ مظاهر القدرة الإلهيّة دليلاً على القدرة على البعث	١٦-٢٨	٣٣٠
٣- بعض مظاهر عذاب المكذّبين وثواب المتّقين يوم القيامة	٢٩-٥٠	٣٣٤
تعقيب		٣٤٠
فهرس الموضوعات		٣٤٣